

المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية  
كلية الدعوة و الاعلام بالرياض  
الدراسات العليا  
قسم الدعوة والاحتساب

## الحوار في دعوة موسى - عليه السلام - في ضوء الكتاب والسنة

اعداد الطالبة  
أسماء بنت عبد العزيز الداود  
المعيدة في قسم الدعوة والاحتساب

إشراف الدكتور  
عبد الله بن محمد الرشيد  
الأستاذ المساعد بكلية الدعوة و الاعلام  
قسم الدعوة و الاحتساب

الجزء الثاني

العام الجامعي

١٤١٨ - ١٤١٩ هـ

## الفصل الثالث

## **الفصل الثالث**

**الحوار في دعوة موسى -عليه السلام- مع المدعوين**

**ويحتوي على مبحثين:**

**المبحث الأول:** الحوار في دعوة موسى -عليه السلام- مع أصحاب السلطة

**المبحث الثاني:** الحوار في دعوة موسى -عليه السلام- مع عامة الناس

## تمهيد :

إن الدعوة التي حملها الرسل -عليهم الصلاة والسلام- لم تواجه -وهي تسير في طريقها إلى قلوب عامة الناس وعقولهم - من العقبات التي تحول دون تقبل الناس لدين الله عز وجل دين الفطرة أعنت وأشد وأنكى عليها من عليّة القوم .

والم تأمل في القصص القرآني، يجد أن القرآن الكريم، حين يذكر مواقف الأمم من رسلها يجعل الحديث منصّباً على هذا الصنف الذي جاء وصفه في القرآن بنحو:

١- الأحرار والرهبان .

٢- المملأ<sup>(١)</sup>

٣- الأكابر .

٤- المترفين .

٥- أئمة الكفر .

٦- الملوك .

كما نجد أن هذا الصنف من الناس، هو الذي وقف في وجه الدعوة إلى الله تعالى، وأن الفساد في الأرض، والفسوق، والاستعباد، والاستعلاء عن قبول الحق،

---

١- قال الراغب الأصفهاني : ( المملأ جماعة يجتمعون على رأي فيملأون العيون رواءً ومنظراً، والنفوس بهاءً وجمالاً، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ، البقرة ٢٤٦ ، وقال تعالى ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ ﴾ المؤمنون ٣٣ ، وقال عز وجل ﴿ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ ﴾ القصص ٢٠ ، وغير ذلك من الآيات يقال فلان ملأ العيون : أي معظّم عند من رآه كأنه ملأ عينه من رؤيته ... ) ( المفردات في غريب القرآن ص ٤٧٣ ) .

٢- وقال ابن منظور : ( والمملأ الرؤساء، سموا بذلك لأنهم ملأ بما يحتاج إليه، والمملأ مهموز مقصور : الجماعة . وقيل : أشرف القوم ووجهائهم ورؤساؤهم ومقدموهم الذين يرجع إلى قولهم . ) ، ( لسان العرب ١ / ١٥٣ فصل الميم حرف الهمزة ) .

٣- وقال الزمخشري : ( وقام به المملأ والأملأ : الأشرف الذين يتمالئون في النوائب ) أساس البلاغة، ص ٤٣١ لجار الله أبي القاسم الزمخشري الطبعة الأولى ١٩٩٦ م الناشر : مكتبة لبنان ) .

واحتقار المؤمنين المستضعفين، وتحريف الحق الذي جاء من عند الله سبحانه، وصرف الناس بأساليب مختلفة عن دين الله، كل ذلك إنما كان مصدره هذا الصنف من الناس. وليس لعامة الناس - في الغالب - من موقف سوى اتباع هذه الفئة والسير وراءهم بعامل القهر والغلبة والسلطان، أو بعامل التضليل والتلبيس.

وانظر مدى ما يصوره القرآن الكريم، من حال المقهورين المستعبدين الذين لا يملكون حتى اعتناق الحق الذي اطمأنت إليه نفوسهم، يقول الله تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ<sup>(١)</sup> مِّن قَوْمِهِ<sup>(٢)</sup> عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ<sup>(٣)</sup>﴾.

وكانت الدوافع وراء هذا الإعراض عن الحق، ووراء هذا الصد عن دين الله سبحانه ما يعتقده من أن (عقيدة التوحيد) التي أرسل الله - عز وجل - بها رسله، تُهدد مكانتهم وامتيازاتهم وكبرياءهم، فالعقيدة - في نظرهم - تهدد وضعهم الاجتماعي، القائم على أوهام الوثنية وتقاليد الجاهلية.

ولم يكن يخفى على كبرائهم ما في عقائدهم من تهافت، وما في دين الله من تماسك، كما لم يخف عليهم ما في دين الله من سمو وارتفاع وامتياز.

ولم يكن هناك مانع يحول بينهم وبين اعتناق الحق واتباعه، سوى كراهيتهم للحق، لا عدم إدراك الحق، ولا الشك في صدق الرسل - عليهم الصلاة والسلام - فما عهدوا عليهم كذباً قط على الناس، فكيف يكذبون على الله تعالى، ويدعون عليه ما

---

١ - الذرية أصلها الصغار من الأولاد، وإن كان قد يطلق على الصغار والكبار معاً في التعارف ويستعمل للواحد والجمع وأصله الجمع. (انظر المفردات في غريب القرآن ص ١٧٨) والمراد بالذرية في الآية قيل مؤمن آل فرعون وآسية بنت مزاحم وخازن فرعون وامراته وعدد قليل من الشباب (انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١٣٦/٣).

٢ - رجح ابن كثير أن الضمير في قوله ﴿من قومه﴾ عائد على فرعون، وأن المعنى: إلا ذرية من قوم فرعون هم الشباب وهو قول ابن عباس - رضي الله عنهما - وأما بنو إسرائيل فأمنوا كلهم بدليل الآية التي بعد هذه وهي قوله تعالى: ﴿وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾ يونس ٨٤، تفسير القرآن العظيم ٤٢٨/٢.

٣ - يونس: ٨٣.

يدعون؟ وقد فطن هرقل<sup>(١)</sup> لهذه الحقيقة حين قال لأبي سفيان<sup>(٢)</sup>:

«وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت: أن لا. فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله»<sup>(٣)</sup>.

فهؤلاء الكبراء إذن إنما يكرهون الحق لأنه يُصادم أهواءهم، ويقف في طريق شهواتهم، وهم أضعف من أن يُغالِبوا أهواءهم وشهواتهم.

ولما كان العامة لا يملكون سوى اتباع الملأ وأصحاب السلطة، جعل الله سبحانه إرسال الرسل كآنة خاص بهم، لأنهم إذا آمنوا بالرسول واتبعوه، زالت العقبات المانعة لعامة الناس من معرفة الحق واتباعه.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وهذا لا يعني براءة الأتباع من تحمل المسؤولية أمام الله سبحانه ولا يُعفيهم مما هم عليه، من محاولة التخلص من الظلم والقهر والاضطهاد، بل واجبهم أن لا يُمكنُوا للظالم في الأرض، وأن لا يكونوا أعواناً له على جبروته وطغيانه، وإلا فالندامة ستدركه جميعاً.

وقد أخبر الله سبحانه عن حال التابع والمتبوع، يوم يلعن بعضهم بعضاً، ويتبرؤ بعضهم من بعض حين لا ينفع شيء من ذلك، يقول الله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ وقال الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يَرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾<sup>(٥)</sup>.

١- هو هرقل بن بوسطينوس لقبه قيصر، كان ملكاً للروم وقت ظهور الإسلام وهو الذي ضرب الدينارين والدراهم الهرقلية وكان ملكه خمس عشرة سنة (انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر ٣٠٦/١ للمؤرخ أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي تحقيق وتعليق: الشيخ قاسم الشماخي الرفاعي الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ الناشر: دار القلم بيروت - لبنان، وانظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٣٣/١).

٢- هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، رأس قريش وقائدهم يوم أحد ويوم الخندق أسلم يوم الفتح، وشهد حنيناً والطائف، كان من دهاة العرب ومن أهل الرأي والشرف فيهم، إبنته هي أم حبيبة زوج النبي ﷺ. وقد كان أسن من النبي ﷺ بعشر سنين. وتوفي -يرحمه الله- بالمدينة سنة إحدى وثلاثين وله من العمر تسعون سنة (انظر سير أعلام النبلاء ٢/١٠٥-١٠٧).

٣- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي ١/٤-٦.

٤- الاعراف: ١٠٣.

٥- البقرة: ١٦٦-١٦٧.

## المبحث الأول: الحوار في دعوة موسى -عليه السلام- مع أصحاب السلطة:

### المطلب الأول: تناول الأكابر على الإيمان وإصرارهم على الكفر

أمر الله عز وجل موسى وهارون -عليهما السلام- أن يتجها بالدعوة إلى فرعون الذي طغى وتجبر بأسلوب اللين والرفق، لأن القول اللين لا يثير العزة بالإثم ولا يهيج الكبرياء الذي يتصف به الطغاة، ومن شأنه أن يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان<sup>(١)</sup>.

أمرهما أن يذهبا إليه غير يائسين من هدايته راجيين أن يتذكر ويخشى . فالداعية الذي ييأس من اعتداء أحد بدعوته لا يبلّغها بحرارة، ولا يثبت عليها عند الجحود والإنكار . والله يعلم ما يكون من فرعون -من قبول أو إعراض-، ولكن الأخذ بالأسباب في الدعوات وغيرها لا بد منه، والله يحاسب الناس على ما يقع منهم بعد أن يقع في عالمهم، وهو عالم بأنه سيكون، فعلمه تعالى بمستقبل الحوادث كعلمه بالحاضر منها والماضي في درجة سواء . فما الذي كان بين موسى وفرعون وملئه؟

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> (يا فرعون) .. لم يقل له: يا مولاي كما يقوله الذين لا يعرفون من هو المولى الحق، ولكن ناداه بلقبه في أدب واعتزاز، ناداه ليقرر له حقيقة أمره، كما يقرر له أضخم حقائق الوجود ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup> حقيقة ربوبية الله الواحد للعالمين جميعاً.. ألوهية واحدة، وعبودية شاملة.

١- انظر المطلب الثاني من الفصل الثاني ص ٢٩٩ .

٢، ٣- الأعراف: ١٠٤ .

ثم أخذ فرعون يسأل موسى عليه السلام عن صميم دعواه، ولكن في تجاهل وهزاء وسوء أدب في حق الله الكريم .

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup> يسأل -قبحه الله- عن رب العالمين الذي يزعم موسى -عليه السلام- أنه رسول من عنده وهو سؤال المتنكر للقول، المتهكم بالقائل، فيجيبه موسى -عليه السلام- بجواب يكافئ ذلك التجاهل ويغطيه: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ مُوقِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup> فهو ربُّ هذا الكون الهائل الذي لا يبلغ إليه سلطانك يا فرعون ولا علمك، لأن قصارى ما ادعاه فرعون أنه إله لهذا القطر المصري، وهو مقدار ضئيل في ملكوت السماوات والأرض وما بينهما فجواب موسى -عليه السلام- في حوارهِ مع فرعون كان يحمل في طياته استصغار ما يدعيه فرعون مع بطلانه .

ثم لم يلبث موسى -عليه السلام- في حوارهِ مع فرعون أن قدم له صفة أخرى من صفات رب العالمين ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾<sup>(٣)</sup> وهذه أشد مساساً بفرعون ودعواه وأوضاعه، فهو يواجهه بحقيقة مهمة بأن رب العالمين هو ربه أيضاً ورب قومه وهو رب آبائهم الأولين، ورب المشرق والمغرب وما بينهما. فالمشرق والمغرب مشهذان معروضان للأنظار كل يوم، ولكن القلوب لا تنتبه إليهما لكثرة تكرارهما وشدة ألفتهما . وهذان الحدثان العظيمان لا يجروا فرعون ولا غيره من المتجبرين أن يدعي تصريفهما فمن يصرفهما إذن؟

فموسى -عليه السلام- استخدم في حوارهِ مع فرعون وقومه المنهج الفكري في توجيه عقولهم ولفت أنظارهم إلى بديع صنع الله وعجيب خلقه مما هو ملموس

---

١- الشعراء: ٢٣ .

٢- الشعراء: ٢٤ .

٣- الشعراء: ٢٦ .



مشاهد في أرجاء هذا الكون، وقد تعرض القرآن الكريم لهذا المنهج الفكري على لسان موسى -عليه السلام- في موضع آخر في سورة طه قال تعالى .

﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى \* قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى \* قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى \* قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى \* الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى \* كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى \* مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾<sup>(١)</sup>

ففرعون -قبّحه الله- يسأل موسى وهارون من ربهما الذي يتكلمان باسمه عندما قالوا له : ﴿ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾<sup>(٢)</sup> وكأنه لا يريد أن يعترف بأن رب موسى وهارون ربه، لذلك نجده يسألهما في حوارهما ﴿ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴾<sup>(٣)</sup> فيجيبه موسى -عليه السلام- بعرض صفات الله بإحكام وإتقان : ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾<sup>(٤)</sup> فهو ربنا الذي وهب الوجود لكل موجود في الصورة التي أوجده بها وفطره عليها، ثم هدى كل شيء إلى وظيفته التي خلقه لها .

فقد أعطى كل ذي خلق ما يصلحه من خلقه، ولم يجعل للإنسان من خلق الدابة، ولا للدابة من خلق الكلب، ولا للكلب من خلق الشاة، وأعطى كل شيء ما ينبغي له من النكاح وهياكل كل شيء على ذلك ليس شيء منها يشبه شيئاً من أفعاله في الخلق والرزق والنكاح<sup>(٥)</sup> .

١- طه الآيات من : ٤٩ - ٥٥ .

٢- طه : ٤٧ .

٣- طه : ٤٩ .

٤- طه : ٥٠ .

٥- تفسير القرآن العظيم ٣ / ١٥٦ .

ثم يستمر موسى عليه السلام في مخاطبة فرعون فيعرض عليه آثار تدبير الله في الكون وآلائه على بني الإنسان، فيختار بعض هذه الآثار المحيطة بفرعون :

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى \* كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى \* مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ (١).

فالمخالق المدبر الذي جعل الأرض مهداً، شق للبشر فيها طرقاً وأنزل من السماء ماءً، ومن هذا الماء تتكون الأنهار فيخرج النبات أزواجاً شتى للأكل والمرعى هو المستحق للعبادة وحده دون سواه.

فالتأمل لهذا السياق القرآني المُعجز يرى الأمور الآتية :

أولاً: أن موسى -عليه السلام- حرص في حوارهِ مع فرعون على دقائق الأمور وجلالها -مما نعرف ونجهل- بالله عز وجل : ﴿إنا قد أوحى إلينا...﴾، ﴿ربنا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾، ﴿علمها عند ربي﴾، ﴿لا يضل ربي ولا ينسى﴾، ﴿الذي جعل لكم الأرض .. وسلك لكم ... وأنزل من السماء...﴾ ويتبدل الأسلوب فجأة من الماضي إلى المضارع ﴿فأخرجنا به ..﴾، ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم...﴾، فلقد فوض علم عالمي الغيب والشهادة إلى العليم الخبير في كلمات وجيزة عظيمة مبينة، وهذه أساس العلوم في الإسلام وأساس المنهج الفكري في الدعوة.

ثانياً: تصحيح التصورات الخاطئة في الألوهية والربوبية، إذ عبد المصريون القدماء فرعون ومظاهر الكون كالشمس والنيل .. فإله تعالى : ﴿أوحى .. وأعطى ..

وهدى ... وعلم ... ولا يضل ... ولا ينسى ﴿ فهو صاحب التصرف المطلق في الأرض والسماء .

ثالثاً: التذكير بالمبدأ و المعاد، فكما أن الله يُخرج بالماء نباتاً حياً يانعاً من الأرض الميتة الخاوية تأكلونه وترعى فيه أنعامكم، كذلك خلقكم من الأرض نفسها وأخرجكم منها، وفيها يعيدكم، ومنها يخرجكم تارة أخرى<sup>(١)</sup>.

وللتذكير بالأرض هنا مناسبة في مشهد الحوار مع فرعون الطاغية المتكبر، الذي يتسامى إلى مقام الربوبية، وهو من هذه الأرض وإليها، وهو شيء من الأشياء التي خلقها الله في الأرض وهداها إلى وظيفتها ومع ذلك كذب وعتا: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴾<sup>(٢)</sup>.

فبالرغم من وضوح الآيات الدالة على صدق ما جاء به موسى وهارون -عليهما السلام- إلا أن فرعون وملاه كان شأنهم وموقفهم من ذلك هو الاستكبار، واحتقار الرسل وأتباعهم الذين هم من جنسهم قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ \* إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْهُ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ \* فَقَالُوا أَنْزُلْ مِنَّا لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ \* فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

فبنو إسرائيل كانوا مسخرين خاضعين لفرعون، وكان ذلك أدعى للاستهانة بموسى وهارون -عليهما السلام- في نظر فرعون وملئه، لذلك لم يلقوا بالاً للمعجزات التي أيدهما الله تعالى بها فكان فرعون وملاه -لكثرة استعلائهم- يقولون كيف نؤمن بموسى وهارون ونطيعهما، وقومهما عبيد لنا؟

وكيف نكون قراء لأولئك الأقوام، الذين هم أدنياء في المهنة، ونحن على ما نحن عليه من العظمة والقوة<sup>(٤)</sup>؟

١- الدعوة إلى الله تعالى دراسة مستوحاة من سورة النمل ص ١٨٥ .

٢- طه : ٥٦ .

٣- المؤمنون : ٤٥ - ٤٨ .

٤- انظر دعوة الرسل إلى الله تعالى ص ٢٥٣ .

وقال تعالى عن استعلاء فرعون على الإيمان وانخداعه بما آتاه الله من الملك :  
﴿وَنَادَىٰ فرعونُ في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار<sup>(١)</sup> تجري من تحتي أفلا تبصرون \* أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين \* فلولا أُلقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين \* فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قومًا فاسقين﴾<sup>(٢)</sup>.

يفتخر فرعون بما هو فيه من الأبهة والملك، ويقول لقومه: أفلا تبصرون أيها القوم ما أنا فيه من النعيم والخير، وما فيه موسى من الفقر وعي اللسان<sup>(٣)</sup>.

وحسب أن الذي هو فيه من الملك ناله بيده وقوته، وأن موسى -عليه السلام- لم يصل إلى الذي يصفه؛ فنسبه من أجل ذلك إلى المهانة، محتجاً على جهلة قومه بأن موسى -عليه السلام- لو كان محقاً فيما يأتي به من الآيات والعبر ولم يكن ذلك سحراً، لأكسب نفسه من الملك والنعيم مثل الذي هو فيه، جهلاً بالله واغتراراً منه بإملائه إياه<sup>(٤)</sup> ﴿فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قومًا فاسقين﴾<sup>(٥)</sup>.

فاستخفاف الطغاة بالجماهير أمراً لا غرابة فيه، فهم يعزلون الجماهير أولاً عن كل سبل المعرفة، ويحجبون عنهم الحقائق حتى ينسوها، فلا يبحثوا عنها، ويلقون في

١- قال الراغب: (النهر مجرى الماء الفائض وجمعه أنهار) المفردات في غريب القرآن ص ٥٠٦.

٢- الزخرف: ٥١ - ٥٤.

٣- قال ابن كثير يرحمه الله: (وقوله: ﴿ولا يكاد يبين﴾ افتراء أيضاً، فإنه إن كان قد أصاب لسانه في حال صغره شيء من جهة تلك الجمرة، فقد سأل الله عز وجل أن يحل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله، وقد استجاب الله تبارك وتعالى له ذلك في قوله: ﴿قد أوتيت سؤالك يا موسى﴾ طه آية: ٣٦. وبتقدير أن يكون قد بقي شيء لم يسأل إزالته -كما قاله الحسن البصري- وإنما سأل زوال ما يحصل معه الإبلاغ والإفهام، فالأشياء الخلقية التي ليست من فعل العبد، لا يعاب بها ولا يذم عليها...) (تفسير القرآن العظيم ٤ / ١٣٠).

وذكر الألوسي في معنى ولا يكاد يبين احتمالاً آخر: وهو (أن يكون فرعون أراد أن موسى -عليه السلام- ليس معه من العدد وآلات الملك والسياسة ما يعتضد به، وهو في نفسه مُخل بما يعتضد به الرجال من اللسان وإبانة الكلام...) (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٢٥ / ٩٠).

٤- انظر جامع البيان في تفسير القرآن ٢٤ / ٤٨.

٥- الزخرف: ٥٤.

رَوْعَهُمْ مَا يَشَاءُونَ مِنَ الْمَثَرَاتِ حَتَّى تَنْطَبِعَ نَفُوسُهُمْ بِهَذِهِ الْمَثَرَاتِ الْمَصْطَنَعَةَ، وَمَنْ ثُمَّ يَسْهَلُ الْاسْتِخْفَافَ بِهِمْ .

وقارون وهو من قوم موسى -عليه السلام- تزينت له الدنيا فافتتن بها، فأعطى من كنوزها كثيراً ودرت عليه أموالاً طائلة، ولقد وعظه صالحوا قومه بأن لا يَبْطُرَ بما آتاه الله من كثرة المال، وأن يشكر الله تعالى، ويستعمل ما وهبه الله تعالى من المال في طاعة ربه والتقرب إليه، مع تمتعه في هذه الحياة بما أحل الله له من زينة الحياة الدنيا ومُتعتها وأن يقابل إحسان الله إليه بالإحسان دون إفساد ولا تكبر. قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ<sup>(١)</sup> مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ \* وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(٢)</sup> لقد آتى الله عز وجل قارون مالا كثيراً يصور القرآن الكريم كثرته بأنه كنوز وبأن مفاتيح هذه الكنوز تُعْبي المجموعة من أقوياء الرجال عند حملها من أجل هذا بغى قارون على قومه ولا يذكر فيما كان البغي، فلربما بغى عليهم بظلمهم وغصبهم أرضهم وأشياءهم، وربما بغى عليهم بحرمانهم حقهم من ذلك المال -حق الفقراء في أموال الأغنياء- وربما بغى عليهم بهذه وبغيرها من الأسباب .

وعلى أية حال فقد وجد من قومه من يحاول رده عن هذا البغي، وإرجاعه إلى المنهج القويم، الذي يرضاه الله في التصرف بهذا الثراء، وهو نهج لا يحرم الأثرياء ثراءهم ولا يحرمهم المتاع المعتدل بما وهبهم الله من مال، ولكنه يفرض عليهم القصد والاعتدال، وقبل ذلك يفرض عليهم مراقبة الله الذي أنعم عليهم، ومراعاة الآخرة وما فيها من حساب .

---

١- الكنز جعل المال بعضه على بعض، وحفظه وأصله من كنزتُ التمر في الوعاء ومنه قوله تعالى ﴿لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ كُنُزٌ﴾ هود آية ١٢، أي مال عظيم. (انظر المفردات في غريب القرآن ص ٤٤٢) .  
٢- القصص: ٧٦-٧٧ .

فقابل هذا النصح بالتطاول والإعراض، ونكران الجميل والطغيان: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يَسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

يقول قارون: ولماذا أنفق؟ ولقد جمعت أموالي نتيجة علمٍ حصلته لم يمنحني الله إياه!

ألا يعلم هذا الكافر المغرور أن الله قد أهلك المجرمين الذين كانوا أشدَّ منه قوة وأكثر أموالاً. ثم ماذا كانت نتيجة هذا التطاول والنكران:

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup> فلم يستطع أن يحمي نفسه من غضب الله وعذابه لا بما له ولا أتباعه.

وهامان وهو وزير فرعون الشخصي، وأحد كبار الملأ من قومه، كان له أثر بارز في الصّد عن دين الله، بدليل ورود ذكره في القرآن أكثر من مرة، يصدر فرعون أمره إليه بأن يطبخ الآجر ويبني له صرحاً يأخذ في السماء صُعداً حتى ينالها ويطلع إلى إله موسى وقد كانت أوامر الملوك في العصور الماضية تدار بواسطة الوزير فكان الوزير هو المنفذ لأوامر الملك بواسطة أعوانه من كتّاب وأمرأ ووكلاء ونحوهم كلٌ فيما يليق به.

قال الله تعالى حكاية عن فرعون:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقَدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ<sup>(٣)</sup> فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا<sup>(٤)</sup> لَعَلِّي أَطْنَعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾<sup>(٥)</sup>

فأظهر لهم أن دعوة موسى -عليه السلام- غير صحيحة، ولا يمكن أن يُصدّق بها بدليل قوله كما جاء في القرآن الكريم: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾<sup>(٦)</sup> وفي ذلك

١- القصص: ٧٨.

٢- القصص: ٨١.

٣- الطين: التراب والماء المختلط وقد يسمى بذلك وإن زال عنه قوة الماء، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَوْقَدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ﴾ القصص ٣٨ (المفردات في غريب القرآن ص ٣١٢).

٤- الصرح: كل بناء مشرف من قصر أو غيره فهو صرح (انظر نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن العزيز ص ٢٩٨) قال الراغب: الصرح بيت المال مزوق سمي بذلك اعتباراً بكونه صرحاً عن الشوب أي خالصاً (المفردات في غريب القرآن ص ٢٧٩).

٥، ٦- القصص: ٣٨.

إِبْطَالُ لِقَوْلِ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَام- الْحَكِي فِي سُورَةِ الشُّعْرَاءِ ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾<sup>(١)</sup> وَقَوْلِهِ: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

لذا فقد أمر وزيره هامان أن يبني له صرحاً يبلغ به عنان السماء ليرى الإله الذي زعمه موسى حتى إذا لم يجده رجع إلى قومه<sup>(٣)</sup> فأثبت لهم عدم وجود إله في السماء إثبات معاناة ليزدادوا ثقة ببطلان قول موسى -عليه السلام-.

ثم إن فرعون لم يأمر ببناء هذا الصرح من حجر وكلس قصداً للتعجيل بإقامة هذا الصرح المرتفع، إذ ليس مطلوباً طول بقائه بإحكام بنائه على مر العصور، بل المراد سرعة الوصول إلى ارتفاعه كي يشهده الناس ويحصل اليأس ثم يُنقض من الأساس.

واختلف المفسرون هل وقع بناء هذا الصرح وتم أم لم يقع؟

قال قوم إنه بناه وأمر هامان بجمع العمال حتى إذا اجتمع إليه خمسون ألف بناءً فشيده، إلى أن بلغ مالم يبلغه بنيان أحد من الخلق، بعث الله تعالى إليه جبريل -عند غروب الشمس- فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع، قطعة وقعت على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل، وقطعة وقعت في البحر وقطعة وقعت في المغرب، ولم يبق أحد من عماله إلا وقد هلك.

ومن الناس من قال إنه لم يبنِ ذلك الصَّرح لأنه بعيد على العقلاء أن يظنوا أنهم

١- الشعراء: ٢٤ .

٢- الشعراء: ٢٦ .

٣- هناك روايات عدة حول هذه القصة منها أن فرعون ارتقى ذلك الصرح الذي شيده له فرمى بنشابة -كانت معه- نحو السماء فردت إليه وهي ملطخة بالدم فقال: لقد قتلت إله موسى (التحرير والتنوير ٢٠/ ١٢٤).

بصعود الصرح يقربون من السماء<sup>(١)</sup>.

ثم إن قول فرعون لهامان: ﴿ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ \* أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾<sup>(٢)</sup> كان على سبيل التهكم والسخرية التي قرر من خلالها أنه لا دليل على الصانع فرتب النتيجة التالية: ﴿وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾<sup>(٣)</sup> في وجود هذا الإله.

وفرعون وقارون وهامان -الذين سبق الحديث عنهم آنفاً- هم من أكابر الملأ من قوم موسى -عليه السلام- والذين كان لهم أثر بارز في الوقوف في وجه دعوة موسى -عليه السلام- وتحريض الناس عليه بما يملكون من قوة ومال وسلطان ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ \* إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾<sup>(٥)</sup>

وخصّ قارون وهامان هنا بالذكر لمكانتهما في الكفر، ولأنهما أشهر أتباع فرعون<sup>(٦)</sup>. فقارون بغى على قومه بثروته وعلمه، ولم يستمع إلى نصيح الناصحين بالإحسان والاعتدال والتواضع وعدم البغي والفساد. وفرعون كان طاغية غشوماً، يرتكب أبشع الجرائم، وأغلظها ويُسخر الناس ويجعلهم شيعاً، فيقتل ذكور بني إسرائيل ويستحيي نساءهم عتوا وظلماً، وهامان كان وزيره المدبر لمكائده، المعين له على ظلمه وبطشه، فكان عاقبة أمرهم، وجزاء طغيانهم، أن أخذهم الله -عز وجل- فلم يمنعمهم المال ولا الجاه من عذاب الله: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ \* فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا

١- انظر التحرير والتنوير ٢٠/ ١٢٤ .

٢- غافر: ٣٦-٣٧ .

٣- غافر: ٣٧ .

٤- العنكبوت: ٣٩ .

٥- غافر: ٢٣-٢٤ .

٦- أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ ص ١٦٩ إعداد: د. جمال عبدالهادي محمد سعود، د. وفاء محمد رفعت جمعة. الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ، الناشر: دار طيبة - الرياض .



عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ<sup>(١)</sup>.

﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾<sup>(٢)</sup> وهم قوم عاد الذين قالوا من أشدُّ منا قوة، فجاءتهم ريح صرصر باردة عاتية شديدة الهبوب، تحمل عليهم حصباء من الأرض فتلقاها عليهم وتقتلعهم من الأرض فترفع الرجل منهم من الأرض إلى عنان السماء ثم تنكسه على رأسه فتشدخه فيبقى بدنًا بلا رأس، كأنهم أعجاز نخل منقعر.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾<sup>(٣)</sup> وهم ثمود، قامت عليهم الحُجَّة وظهرت لهم الدلالة من تلك الناقة التي انفلقت عنها الصخرة، ومع هذا لم يؤمنوا بل استمروا على طغيانهم وكفرهم فجاءتهم صيحة أخمدت الأصوات منهم والحركات.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾<sup>(٤)</sup> وهو قارون الذي طغى وبغى فخسف الله به وبداره الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة، والذي أغرق فرعون وهامان وجنودهما، إنهم كانوا خاطئين<sup>(٥)</sup>.

١- العنكبوت: ٣٩-٤٠.

٢، ٣، ٤- العنكبوت: ٤٠.

٥- انظر تفسير القرآن العظيم ٣/ ٤١٤.

## المطلب الثاني : احتقارهم لموسى وهارون -عليهما السلام- واتباعهما ، والسخرية منهم

مهما كانت معرفة الكبراء -من الأشراف والمترفين- للحق الذي جاء به الرسل -عليهم الصلاة والسلام- وهي المعرفة التي تنطوي عليها القلوب وتجحد لها الألسن أنفةً واستكباراً، فإن هؤلاء الكبراء لا يواجهون الرسل دائماً إلا بأسلوب الاحتقار والاستهانة، وعدم الاكتراث بهم. وهو أسلوب ماكر يُقصدُ من ورائه أن لا يُعار الرسل - وبالأخص أمام عامة الناس- أيَّ اهتمام، حتى لا يهتمَّ بهم أحد، وليقتدي العامة بالملا في معاملة الرسل بالأسلوب المماثل، بحيث لا يلتفتون إلى دعوتهم، ولا يصغون إلى كلامهم، ولا يرونهم أهلاً لأن يُسمع منهم ويُقتدى بهم، وهذا واحد من الأساليب الماكرة التي يُراد بها صرف الناس عن دين الله سبحانه، بأسلوب غير مباشر.

وهذه الصورة من مواقف الملا جاءت في القصص القرآني في مواضع متعددة منها :

ما حكى الله سبحانه فيها حال الأمم جميعاً مع رسلهم، مما يدل على أن الأمم وقفت مواقف متشابهة من الرسل -عليهم الصلاة والسلام- من حيث السخرية والاستهزاء بهم وبأتباعهم وذلك في مثل قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾<sup>(١)</sup> وقوله ﴿ يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ فِي شِيعِ الْأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> فهم يستعملون أسلوب الحرب المادية ضد الأنبياء

١- الأنعام: ١٠ .

٢- يس: ٣٠ .

٣- الحجر: ١٠-١١ .

وأتباعهم: من القتل، والطرد والضرب والحبس، والمقاطعة ونحو ذلك.

وهي حرب ليست بالهينة على الذين يحملون لواء الحق، ويبتغون الإصلاح ويحاولون إنقاذ البشرية من الضلال، ثم يواجهون بهذا الجزاء، غير أن هناك أسلوباً آخر من أساليب الحرب التي طالما استعملها الأعداء ضد المؤمنين بالله سبحانه، ذلك هو أسلوب السخرية والاستهزاء والاحتقار، وتلك حرب نفسية، ربما كانت في بعض الأحيان أنكى وأوقع على النفس البشرية من الحرب المادية، وهذا الأسلوب الماكر الخبيث، هو الذي مارسه فرعون وقومه، وحاولوا إتقانه وإشاعته، حتى يتمكنوا من الخط من قيمة موسى عليه السلام وأتباعه، وتخطيط مكانتهم ومهابتهم في نفوس العامة، فينصرف الناس عنهم، فلا يُقتدى بهم، ولا يسمع لهم، ولا تتحرج السنة السفهاء من النيل منهم وإشاعة الأباطيل والافتراءات عنهم.

ومن ذلك ما حكاه الله - سبحانه وتعالى - في كتابه الكريم عن سخرية فرعون وملئه مما جاءهم به موسى - عليه السلام - يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ (١).

أرسل الله عز وجل موسى - عليه السلام - إلى قومه لينقذهم مما هم فيه من الضلال، وليرتفع بهم مما وقعوا فيه من الكفر حين عبدوا ما لا ينفعهم ولا يضرهم، فكان الرَّدُّ من الملاء هو هذا الاحتقار بل الإسراف في الاحتقار، حينما ضحكوا من تلك الآيات التي قدمها لهم للدلالة على صدقه.

فلم تكن الآيات التي جاء بها موسى - عليه السلام - على كثرتها ووضوحها مدعاة لإيمان فرعون وملئه، وقد كانت تأتيتهم متتابعة، كل آية أكبر من أختها، وإنما كانت عند هؤلاء المستكبرين مثار سخرية وضحك، لا لقصورٍ فيها وعدم وضوح كما

١- الزخرف: ٤٦-٤٧.

جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾<sup>(١)</sup> وإنما هو من باب التهكم والاستهزاء ظلماً وعلواً<sup>(٢)</sup> ثم ما هي الحجة التي تذرع بها هؤلاء الأكابر عن الإيمان بموسى عليه السلام؟

لقد تذرعوا بالقصور في المال والجاه والسلطان كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ \* أم أنا خيرٌ من هذا الذي هو مهينٌ ولا يكادُ يبينُ<sup>(٣)</sup> وهو يعني بالمهانة هنا أن موسى عليه السلام ليس ملكاً ولا أميراً ولا صاحب سطوة ومال مشهود، أم لعله يشير بهذا إلى أنه من ذلك الشعب المستعبد المهين - شعب بني إسرائيل -.

ثم إن قوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ استغلال لما كان معروفاً عن موسى - عليه السلام - قبل خروجه من مصر من حبسة اللسان، وإلا فقد استجاب الله سؤاله حين دعاه: ﴿رَبِّ اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي﴾<sup>(٤)</sup> وحلَّت عقدة لسانه فعلاً وعاد يبين بدليل قوله تعالى ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾<sup>(٥)</sup> إذاً مقياس النبوة عند هؤلاء تتمثل في الملك والمال والجاه، ففرعون الذي له ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحته خيرٌ - في نظرهم - من موسى - عليه السلام - وما معه من حق.

ومن حججهم أيضاً في عدم قبول دعوة موسى - عليه السلام - ما جاء في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ \* إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ \* فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

يتناول الكفار من قوم موسى - عليه السلام - معرضين عن الإيمان، مفتخرين بحالهم وماهم فيه من حسن المنازل ورفعة الدور، ووفرة الوارد من الناس على ناديمهم، ويجعلون من ذلك دليلاً على أنهم على حق فكأنهم يقولون: كيف نكون على باطل

١- الزخرف: ٤٨ .

٢- انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٦/ ٦٢٥ .

٣- الزخرف: ٥١-٥٣ .

٤- طه: ٢٥-٢٨ .

٥- طه: ٣٦ .

٦- المؤمنون: ٤٥-٤٧ .

ونحن بهذه المثابة؟ وكيف يكون موسى وأخوه وأتباعهم على حق وهم في ضعف وفقر؟ ثم هم يستكثرون أن يرسل الله عز وجل رسولاً من البشر، ويرفضون تكريم الله لهذا الجنس إذ لو كان هناك ثمة بشر يستحق هذا الأمر لاستحققه صاحب المال والجاه والسلطان.

ثم كيف نتبع موسى وأخاه وأتباعه مسخرين خاضعين لنا؟ وهذا أدعى في اعتبار فرعون وملئه إلى الاستهانة بهما.

وقد سبق إلى هذه المقالة التي قالها الملأ من قوم موسى - عليه السلام - غيرهم في عصور قديمة، إذ يحكي الله سبحانه عن قوم نوح قولهم لنبيهم - عليه السلام - : ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّى الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾<sup>(١)</sup>. وأيضاً ما جاء في القرآن الكريم عن ثمود وقولهم لنبي الله صالح - عليه السلام - : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ \* فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذْ نَلَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ \* أَعْلَقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وخلاصة القول أن أصحاب السلطة والترف من الكبراء والأشراف من قوم موسى - عليه السلام - هم الذين وقفوا في وجه الدعوة إلى الله - عز وجل - منذ ظهرت في يومها الأول، فهم يأنفون من قبول الحق، ويتعالون عن الإيمان بالله وحده، ويتطاولون على من اصطفاه الله سبحانه لرسالاته، ويزدرون أتباعه، ويحسبون أن حالهم من السلطان والغنى دليل على محبة الله سبحانه لهم، وأنهم ليسوا بحاجة إلى الإيمان، لأنهم لن يعذبوا في الآخرة: ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

١- هود: ٢٧.

٢- القمر: ٢٣-٢٥.

٣- سبأ: ٣٥.

### المطلب الثالث : طلب الآيات تعنتاً:

جرت سنة الله سبحانه وتعالى أن لا يبعث رسولاً إلى أمة ما إلا ويؤيده بالآيات الدالة على صدق دعواه، لتقوم بذلك الحجة على الناس، ويتضح الفرق بين الرسل الصادقين، الذين اصطفاهم الله لحمل رسالته، وبين الدجالين والمضللين من المفترين. وكان موقف بعض الأمم من رسلهم إزاء هذه الآيات البينات التكذيب والتعامي عن الحق مع وضوح الحجة، والإصرار على الكفر، وعدم الاكتراث للبراهين التي جاءت بها الرسل.

والقرآن الكريم يذكر لنا شأن الأمم السابقة مع رسلهم في تكذيبهم لهم، مع ما حملوا إليهم من الآيات، يقول الله تعالى: ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

ويقول تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظْلَمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. هكذا يعرض لنا القرآن الكريم طبيعة الأمم كلها، وتوافقها في مواقفها مع رسل الله -عليهم الصلاة والسلام- من الإعراض والتكذيب، وأن الحامل لهم على هذا التكذيب لم يكن خفاء الآيات في نفسها، أو ضعف الحجة والبرهان، ولا قوة الشبه التي يطرحها الأعداء على الرسل، ولكنها الرغبة في الإعراض عن الحق، إما عناداً واستكباراً عن قبول الحق -وهذا ما يحصل من أكابر القوم- وإما لأن التقليد

١- الأعراف: ١٠١.

٢- التوبة: ٧٠.

والتمسك بما كان عليه الآباء قد أعمى بصائرهم عن رؤية الحق وقبوله، وهذا ما يحدث من الدهماء.

وعلى وضوح الآيات التي يأتي بها الرسل -عليهم الصلاة والسلام- وكونها بيّنة واضحة لا تخفى على أحد، نجد أن هؤلاء الكفار، لا يكتفون بها، في الاستدلال على صدق الرسل ولكنهم يطلبون منهم آيات أخرى، حتى لكأن الرسل لم يأتوا بشيء من الآيات، وحتى لكأن الآيات التي جاءوا بها في حكم العدم الذي لا يُعتدُّ به.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ \* قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وهكذا يصور القرآن الكريم مواقف الأمم من الرسل، ومقابلتهم الآيات الواضحات التي لا لبس فيها ولا غموض بالتكذيب في صورة قبيحة، فيها مبالغة في الصد والإعراض وفيها عدم مبالاة وتورع.

ولا يذهب تصور هؤلاء الكفار إلى شيء وهم يُدْعَوْنَ إلى توحيد الله سبحانه سوى اتهام الرسل بأنهم لا همَّ لهم إلا تحويل الناس عما كان عليه الآباء، ولم يُكلفوا أنفسهم عناء النظر والتفكير والتجرد لفحص ما جاء به الرسل للوصول إلى حقيقة أمرهم. وذلك شأن الجمود العقلي الذي تتركه الوثنيات فتمسخ به العقل والتفكير.

---

١- إبراهيم: ٩-١٠.

والملا في هذه الحال عندما يطلبون الآيات، فإنهم لا يريدون الاهتداء بعد الاستجابة لمطالبهم، وإنما يطلبونها لجرد التعنت، ولهذا كانوا إذا أُجيبوا إلى طلبهم ثم لم يؤمنوا، يعاجلهم الله سبحانه بالأخذ والعقوبة العاجلة.

وقد جاء في حوار موسى -عليه السلام- مع فرعون وملئه كثير من الآيات التي تذكر تعنت الكفار في مطالبهم، كما يخبرنا الله سبحانه في كتابه أن من سجيته أنهم مهما أوتوا من آيات في الكثرة والجلاء، بل وخرق العادة للسنن الكونية، فإنهم لا يؤمنون بل يردون ذلك إلى تهمة السحر<sup>(١)</sup> التي يكررونها، وتلووها ألسنتهم مع كل معجزة وإزاء كل آية.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ \* حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ \* قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

فقد طلب فرعون من موسى أن يثبت دعواه بإظهار الخوارق التي يستطيعها بعد أن عجز عن مواجهته بالعقل والبرهان، فأراد أن يكشف عجزه في مجال الخوارق والعجائب التي تهول البسطاء وتبهر من لا يصبرون على التأمل والنظر. وما كان فرعون يبتغي الإيمان حين سأل موسى -عليه السلام- ذلك، ولكنه سؤال استهزاء، ما لبث فرعون بعده أن تحوّل إلى التكذيب والجحود، حين أظهر موسى -عليه السلام- بعض آياته:

---

١- كان السحر فناً من فنون قدماء المصريين يتعلمونه في مدارسهم العالية مع سائر علوم الكون وكان كذلك عند أقرانهم من البابليين وكذا الهنود وغيرهم. والمعنى الجامع للسحر أنه: أعمال غريبة من التلبس والحيل تخفي حقيقتها على جماهير الناس لجهلهم بأسبابها، ولذلك كان الأقوام الجاهلون يعدون آيات الرسل الكونية التي يؤيدهم الله تعالى بها من قبيل السحر، ويجعلون هذا مانعاً من دلالتها على صدقهم لأن السحر صنعة تتلقى بالتمرين والتعليم والسحر لا يروج إلا بين الجاهلين، ولا يكاد يوجد في البلاد التي ينتشر فيها العلم، ويسمى أهله بأسماء أخرى كالمشعوذين، والمختالين والدجالين (دعوة الرسل إلى الله تعالى ص ١٨٣).

٢- الأعراف: ١٠٤-١٠٦.



﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ \* وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ \* قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ \* يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (١).

شك أولاً في مجيئة بآية ثم شك ثانياً في صدقه فيما يخبر به عن الله تعالى فلما لزمته الحجة وقام عليهم الدليل وسدّ عليهم أبواب التفكير بتلك الآيتين الواضحتين، آية العصا وآية اليد، فما كان من الملأ من قوم فرعون إلا أن رموا موسى -عليه السلام- بالسحر وأنه عليم به ماهر فيه (٢).

فلقد فزع فرعون وملؤه مما تحداهم به موسى -عليه السلام- من بينات، بعد أن أفحمهم بحجته وقوض دعائم بهتانهم بمنطق دعوته المستقيم، فلا بد من مواجهة هذه الخوارق بما يقضي على وجه العجب فيها.

وقد حاول الملأ استفزاز فرعون وتحريضه ضد موسى -عليه السلام- فقالوا: إن موسى -عليه السلام- يريد بذلك العمل وتلك الدعوى أن يُخرج فرعون وشيعته من أرضهم بسحره، ولا شك في أن وُطنَ فرعون عزيز عليه فضلاً عن مُلكه وسلطانه، لذلك لجأ الملأ حين عرفوا أن موسى -عليه السلام- سيظهر عليهم ويأخذ الشعب منهم إلى تلك الدسيسة الدنيئة وذلك الأسلوب المنحط فأخذوا يؤلبون عليه فرعون من ناحية ملكه، ويحرضونه عليه من جهة سلطانه وعظمته، فأدّت بهم خاتمة المطاف إلى أن أشاروا على فرعون بأن يرجئ موسى وأخاه -عليهما السلام- حتى يأتوا بالسحرة من آفاق مصر.

لأن ما جاء به موسى يُعدّ -في نظرهم- سحراً من ساحر عليم، وإن في بلادهم في ذلك الحين -من السحرة عدداً غير قليل، فليبعثوا في طلبهم من كل مكان ليواجهوا موسى -عليه السلام- وليتفوقوا عليه فيما يعرضون على الناس من عجائب وأفاعيل باهرة: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ \* يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ (٣).

١- الأعراف: ١٠٧-١١٠.

٢- انظر دعوة الرسل إلى الله تعالى ص ١٨٢.

٣- الأعراف: ١١١-١١٢.

ويبدو أن خوف فرعون من ضياع هيئته وزوال سلطانه وضعف جبروته كان هو الباعث الأكبر على جمع السحرة حتى يدحضوا معجزة موسى بما هو أعجب منها وأغرب. لأن المعجزة التي أتى بها موسى -عليه السلام- متى كان في مقدور غيره أن يأتي بمثلها فقد بطلت دعواه، إذ الغرض أن يأتي بشيء لا يقدر غيره على الإتيان بمثله، وإلا فإنه لا يسمى معجزة تدل على صدقه فيما يبلغ عن ربه.

﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَىٰ \* فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَىٰ﴾<sup>(١)</sup>. إنها شهوة السيطرة، ولذة التحكم توجه سلوك فرعون وملئه في مقاومة دعوة موسى -عليه السلام- التي كانت خطراً على كل ما خوله من نعم، وكل ما كان يدعيه لنفسه من طلب قوة وحق على العباد.

طلب فرعون من موسى -عليه السلام- أن يختار الموعد الذي يتبارى فيه مع السحرة أمام جماهير الناس حتى يتضح لهم أن السحرة يستطيعون أكثر مما يستطيع موسى، فلا يبقى لدعوته برهان:

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى \* قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحًى﴾<sup>(٢)</sup> وهذا أجلى دليل على ثقة موسى -عليه السلام- بدعوته وصدقته في رسالته واطمئنانه إلى تأييد الله له فلم يتراجع ولم ينكص عن تلك المواجهة الفاصلة، بل رأى أن يشهدها أكبر عدد من الناس حتى يقيم الحجة وتظهر آيات الله وبراهينه على الكافة ليهلك من هلك عن بينة. ولهذا طلب من فرعون أن يتواعدوا في يوم الزينة -وهو يوم عيد من أعيادهم- إضافة إلى أن موسى -عليه السلام- قد حدد زمان التحدي في وقت الضحى وهو وقت اشتداد ضياء الشمس ليكون الحق أظهر وأجلى.

١- طه: ٦٣-٦٤.

٢- طه: ٥٨-٥٩.

وجاء السحرة ووعود فرعون تدفعهم إلى بذل ما يملكون من حيلة للغلبة والانتصار: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ \* قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١﴾ طلبوا الأجر منه إن هم غلبوا موسى، فأجابهم إلى ما طلبوا وزاد عليه أن لهم مع ذلك الأجر المادي أجراً أدبياً وهو أن يكونوا من المقربين منه فيجتمع لهم المال والجاه وذلك منتهى نعيم الدنيا عند هؤلاء<sup>(٢)</sup>.

فلما اجتمعوا تقدم موسى -عليه السلام- إلى السحرة فوعظهم وزجرهم عن تعايطي السحر الذي فيه معارضة لآيات الله وحججه فقال: ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾ ﴿٣﴾.

ولكن غشاوة الضلال كانت لا تزال تغشي أبصارهم، والطمع في الخطام الفاني كان يستهوي قلوبهم، فلم يستمعوا لنصيحة موسى -عليه السلام- بل ازدادوا إصراراً على منازلته وتكذيبه وتواصوا فيما بينهم أن يأتوا بجميع ما عندهم من المكر والخديعة ﴿فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتُّوًّا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾ ﴿٤﴾.

وبدأت المنازل أمام جموع الناس في ذلك اليوم الحافل، وخير السحرة موسى -عليه السلام- هل يلقون سحرهم أو يلقي هو سحره أولاً؟ ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ \* قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى \* فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٥﴾ وهذا الخوف يصور ما بلغه هؤلاء السحرة من تفوق وإحكام في الصنعة حتى خاف موسى عليه السلام أن يفتنوا الناس عن الحق وأن يخدعوه عن الالتفات إلى الدعوة.

ولقد كان عتادهم العصي والحبال فلما ألقوها امتلأ المكان حيات وثعابين وخيل إلى موسى -عليه السلام- من سحرهم أنها تسعى.

١- الشعراء: ٤١-٤٢ .

٢- انظر دعوة الرسل إلى الله تعالى ص ١٨٤ .

٣- طه: ٦١ .

٤- طه: ٦٤ .

٥- طه: ٦٥-٦٧ .

وقد قيل إنها كانت عصياً مجوفة قد ملئت زئبقاً، وكذلك الحبال كانت معمولة من آدم<sup>(١)</sup> محشوة زئبقاً، وقد حفروا قبل ذلك تحت المواضع أسراباً وجعلوا فيها آزاجاً<sup>(٢)</sup> ملؤها ناراً، فلما طرحت عليه وحمي الزئبق حركها لأن من شأن الزئبق إذا أصابته النار أن يتحرك .

ويحتمل أن يكون بحيلة أخرى كإطلاق أبخرة أثرت في الأعين، فجعلت تبصر ذلك أو يجعل العصي، والحبال على صورة الحيات وتحريكها بمحركات خفيفة سريعة لا تدركها أبصار الناظرين، وكانت هذه الأعمال من الصناعات وتسمى السيمياء<sup>(٣)</sup> .

ففرعون لما رأى ما صنعه السحرة من الحيات والشعابين ابتهج هو وجنوده وعلية قومه، وأيقنوا أنهم قد نجحوا، وأن موسى لا يمكنه أن يأتي بشئ أعظم من سحرهم إذ كل ما في يده عصاه فإذا انقلبت حية فهي حية واحدة من مئات وآلاف قد غص بها رحب الساحة التي هم فيها<sup>(٤)</sup> .

فأوحى الله - عز وجل - إلى موسى - عليه السلام - أن يلقي عصاه فإذا هي حية تبتلع ما جاءوا به من أنواع السحر ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾<sup>(٥)</sup> .

والمعنى . . أن عصا موسى أزال ما أحدثه سحرهم في أعين الناس من تمويه وخداع ولذلك عقبه بقوله: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٦)</sup> ودهش فرعون

---

١- الأدم هو باطن الجلد الذي يلي اللحم والبشرة ظاهرها . وقيل ظاهرها الذي عليه الشعر وباطنه البشرة ( لسان العرب ٢٧٦ / ٤ فصل الهمزة حرف الميم ) .

٢- الأزاج: مفردة أزج وهو بيت يبنى طولاً مقوس السقف ( لسان العرب ٣ / ٣٠ فصل الهمزة والباء حرف الميم ) .

٣- دعوة الرسل إلى الله تعالى ص ١٨٥ .

٤- انظر قصص الأنبياء ص ٢٦٠ .

٥- الأعراف: ١١٧ .

٦- الأعراف: ١١٨ .

والملا من قومه، وغلبوا أمام مرأى ومسمع الجماهير في ذلك المجتمع العظيم، وعلم السحرة أن السحر لا يفعل مثل ذلك وإنما هي القوة الإلهية التي جعلت هذا الجماد حية عظيمة فخرُوا ساجدين لله تعالى وآمنوا برب موسى وهارون عليهما السلام.

قال ابن كثير - رحمه الله - :

(إن موسى - عليه السلام - لما ألقى عصاه، صارت حية عظيمة ذات قوائم - فيما ذكره غير واحد من علماء السلف - وعُنقٍ عظيم وشكل هائل مزعج، فأقبلت على ما ألقوه من الحبال والعصي، فجعلت تَلْقُفُهُ واحداً واحداً في أسرع ما يكون من الحركة، والناس ينظرون إليها ويتعجبون منها، وأما السحرة فإنهم رأوا ما هالهم وحيرهم في أمرهم، واطلعوا على أمر لم يكن في خلدتهم، فعند ذلك تحققوا بما عندهم من العلم أن هذا ليس بسحر ولا شعوذة، بل حق لا يقدر عليه إلا الحق، الذي ابتعث هذا المؤيد به بالحق، فكشف الله عن قلوبهم غشاوة الغفلة، وأنارها بما خلق فيها من الهدى، وأزاح عنها القسوة، وأنابوا إلى ربهم وخروا له ساجدين وقالوا جهرة للحاضرين ﴿آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾<sup>(١)</sup> فلم يخشوا عقوبة ولا بلوى<sup>(٢)</sup>.

وكان هذا الإيمان مفاجأة لفرعون خذلته أمام الجماهير التي اجتمعت لتشهد انتصار السحرة على موسى، كما وعدهم فرعون، فإذا السحرة يعلنون إيمانهم بالله وتصديقهم لموسى في رسالته، مما جلب عليهم غضب فرعون ونقمته<sup>(٣)</sup>.

١- طه: ٧٠.

٢- قصص الأنبياء ص ٤١١، تأليف الإمام الحافظ عماد الدين أبي الفدا اسماعيل بن كثير الدمشقي. تحقيق د. عبد الحي الفرماوي الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ الناشر: دار اليقين للنشر والتوزيع - المنصورة.

٣- الأنبياء في القرآن نوح وإبراهيم وموسى عليهم الصلاة والسلام ص ١١٧ تأليف: د. مصطفى عبدالواحد الناشر مكتبة ومطبعة دار إحياء الكتب العربية.

ومما جاء أيضاً في تعنت فرعون وملئه قول الله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ \* أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ \* فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>

فلقد غلبت فرعون هنا نفسه المادية التي لا ترى الخير والعز إلا في وفرة المال، ولا تعرف أن الله يختص برحمته وفضله من يشاء فقال: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾<sup>(٢)</sup> ثم لجأ إلى الإغنيات، وطلب ما هو أقل مما أتى به موسى من الآيات البينات على صدقه وقال: ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup> كأن هذا الذي يطلبه لا يحال على أنه سحر، كما قال عن العصا التي استحالت ثعباناً، واليد التي صارت بيضاء من غير مرض<sup>(٤)</sup>.

فرعون -قبّحه الله- طلب أسورة من ذهب تصدق رسالة موسى -عليه السلام- وهي في نظره القاصر أكبر من الآيات المعجزة التي أيده الله بها.

أو لعله كان يقصد من إلقاء تلك الأسورة تنويع موسى -عليه السلام- بالملك، لأن الرسول في نظرهم لا بد أن يكون ذا ملك وسلطان، وكان من عادتهم إذا أرادوا

١- الزخرف: ٥١-٥٣ .

٢- الزخرف: ٥٢ .

٣- الزخرف: ٥٣ .

٤- انظر قصص الأنبياء ص ٢٧٠ لعبد الوهاب النجار .

تسويد رجل ألبسوه سواراً وطوقاً من ذهب<sup>(١)</sup>.

وموسى -عليه السلام- ليس معه من العدد وآلات الملك والسياسة ما يعتضد به<sup>(٢)</sup>، ومن كان على هذه الحال فلا يصلح أن يكون رسولاً كما يزعمون. إلا أن يؤيد بملائكة تأتي معه كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير -رحمه الله-:

(وقوله: ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup> لا يحتاج الأمر إلى ذلك، فإن كان المراد أن تعظمه الملائكة؛ فالملائكة يعظمون ويتواضعون لمن هو دون موسى -عليه السلام- بكثير كما جاء في حديث أبي الدرداء -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: «وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم»<sup>(٥)</sup> فكيف يكون تواضعهم وتعظيمهم لموسى الكليم -عليه السلام- وإن كان المراد شهادتهم له بالرسالة فقد أيد من المعجزات، بما يدل قطعاً لذوي الألباب، ويعمى عما جاء به من البيئات والحجج الواضحات، من نظر إلى القشور وترك لب الألباب<sup>(٦)</sup>.

وبالرغم من وضوح الآيات التي جاء بها موسى -عليه السلام- إلا أن فرعون وملاه قد ازدادوا تكبراً وعناداً وإعراضاً عن الحق الواضح المبين.

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لَتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ \* فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ

١- انظر الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٤٩٣/٣ .

٢- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ٩٠/٢٥ .

٣، ٤- الزخرف: ٥٣ .

٥- أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٩٦/٥ وأخرجه أبو داود في كتاب العلم باب الحث على طلب العلم ٤٣٢/٣ رقم ٣٦٤١ وأخرجه الترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ٤٨/٥ رقم ٢٦٨٢ قال الألباني حديث صحيح انظر صحيح الجامع رقم ١٩٥٦ وصحيح سنن الترمذي ١٧٣/٣ .

٦- قصص الأنبياء ص ٤٣٣ .

الطُوفَانَ<sup>(١)</sup> وَالْجَرَادَ<sup>(٢)</sup> وَالْقُمَّلَ<sup>(٣)</sup> وَالضَّفَادِعَ<sup>(٤)</sup> وَالْدَّمَ<sup>(٥)</sup> آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ \* وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ \* فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغُوهِ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٦﴾

يخبر الله - عز وجل - في هذه الآية عن كفرهم وعتوهم واستمرارهم على الضلال والجهل والاستكبار عن اتباع آيات الله وتصديق رسوله، مع ما أيده به من الآيات العظيمة الباهرة التي أراهم الله إياها عياناً، وجعلها عليهم دليلاً وبرهاناً: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ﴾<sup>(٧)</sup> بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا

١- قال السحبستاني: الطوفان: سيل عظيم (نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن العزيز ص ٣١٦).  
٢- قال الراغب: الجراد المعروف فيجوز أن يجعل أصلاً فيشتق من فعله جرد الأرض ويصح أن يقال سمي ذلك لجرده الأرض من النبات يقال: أرض مجرودة، أي أكل ما عليها حتى تجردت. (المفردات في غريب القرآن ص ٩٠).

٣- القُمَّل: صغار الذباب والدُّبَا قال تعالى ﴿وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ﴾ آية الأعراف: ١٣٣ ورجل قُمَّل أي وقع فيه القمل. (المفردات في غريب القرآن ص ٤١٣).

وقال الأستاذ عبدالرحمن الحميضي: (إن القمل حشرة مجهولة النوع وليس لها من الشهرة ما للجراد والضفادع ولكن الذي نستطيع أن نستفيده ونقرره من كلام المفسرين أن القمل من الحشرات الضارة بالنبات والطعوم والأجساد). (خوارق العادات في القرآن الكريم ص ١٢١ تأليف عبدالرحمن بن إبراهيم الحميضي الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ الناشر: عكاظ للنشر والتوزيع).

٤- قال ابن منظور: والضفدع معروف لسان العرب ١٠/٩٤ فصل الضاد حرف العين.  
هكذا جاء في لسان العرب ولعل هذا لاشتهاره إذ أن لفظ الضفدع عند الإطلاق لا ينصرف إلا إلى الدابة المعروفة التي تعيش في الماء وخارج الماء وهذه الدابة تعرفها الخاصة والعامة تقريباً.

٥- قال الراغب أصل الدم دَمَى وهو معروف وجمعة دماء. (المفردات في غريب القرآن ص ١٧١) وقال الشيخ عبدالكريم الخطيب: والدم سائل يجري في عروق الكائن الحي إذا خرج من العروق تجمد (التفسير القرآني للقرآن ٩/٤٦٦ تأليف الشيخ عبدالكريم الخطيب الناشر دار الفكر العربي).

٦- الأعراف: ١٣٢-١٣٥.

٧- لم يرد في الكتاب ولا في السنة الصحيحة - فيما أعلم - تفسير لهذه الآيات التسع على وجه التحديد إلا أن المفسرين قد ذكروا أقوالاً كثيرة لا يسعنا إيرادها هنا، ولكن الذي يبدو أن معجزتي العصا واليد تدخل ضمن تلك التسع، ومما لا شك فيه أن الله تعالى قد أجرى على يد موسى - عليه السلام - كثيراً من الخوارق منها ما كان بحضرة فرعون وقومه ومنها ما كان بحضرة بني إسرائيل بعد هلاك فرعون.

يقول الرازي: (أما هذه التسع فقد اتفقوا - أي المفسرون - على سبع منها وهي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وبقي اثنتان ولكل واحد من المفسرين قول آخر فيهما ولما لم تكن تلك الأقوال مستندة إلى حجة ظنية فضلاً عن حجة يقينية لا جرم تركت تلك الروايات) (مفاتيح الغيب ٢١/٦٤).

والخلاصة أن ما ذكره الرازي هو الصواب وهو ما اتفق عليه المفسرون فقد ذكرت بصراحة أنها، آيات أما ما لم يذكر بلفظ صريح وطريق صحيح فلا نستطيع إثباته والله أعلم.



مُوسَىٰ مَسْحُورًا<sup>(١)</sup> وكانوا كلما شاهدوا آية وعاینوها، وشق عليهم وجودها، عاهدوا موسى -عليه السلام- لئن كشف عنهم هذه ليؤمنن له، وليرسلن معه من هو من حزبه، فكلما رفعت عنهم آية عادوا إلى شرٍّ مما كانوا عليه، وأعرضوا عما جاءهم به من الحق، ولم يلتفتوا إليه، فیرسل الله عليهم آية أخرى هي أشد مما كانت قبلها وأقوى فيقولون ويكذبون، ويعدون ولا يوفون: ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾<sup>(٢)</sup> فيكشف عنهم ذلك العذاب الوبيل ثم يعودون إلى جهلهم.

فالقوم لم يتربوا بالحسنات ولا بالسيئات، ولم يذعنوا لما أيد الله تعالى به موسى -عليه السلام- من الآيات، بل أصروا بعد إيمان كبار السحرة على عدّ آيتي موسى -عليه السلام- من السّحر وقالوا له: إنك إن تجئنا بكل نوع من أنواع الآيات التي تستدل بها على صدق دعوتك، لأجل أن تصرفنا بها عما نحن فيه من ديننا، ومن تسخيرنا لقومك في خدمتنا، فما نحن لك بمصدقين<sup>(٣)</sup>: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

ومن هنا نجد أن فرعون وملاه كانوا يقترحون على موسى -عليه السلام- الإتيان بآيات خارقة للعادة تصدق دعواه للرسالة، وكانوا يعلقون إيمانهم بما يأتي به موسى -عليه السلام- تحقيقاً لمطالبهم، ولم يكونوا في ذلك صادقين، لا في حاجتهم إلى مزيد من البينات، ولا في رغبتهم في الإيمان إذا تحققت مطالبهم. فقد كان موسى -عليه السلام- عنده من البينات الدالة على صدقه ما يغني عما طلبوه.

١- الإسراء: ١٠١.

٢- الأعراف: ١٣٤.

٣- انظر دعوة الرسل إلى الله تعالى ص ١٩٢.

٤- الأعراف: ١٣٣.

ولذلك لما استجاب الله سبحانه لمطالب بعضهم ثم لم يؤمنوا، عاجلهم الله - عز وجل - بعذاب الاستئصال في الدنيا كما هي سنته: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ \* وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ \* وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ \* فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ \* وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ \* أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ \* فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ \* فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ \* فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ \* فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخَرِينَ﴾ (١).

فلو استجيب لكل مقترح اقتراحه لتحول أمر الرسالة إلى لهو وعبت يتلهى كل إنسان بما يشاء من المقترحات التي يتقدم بها، ويتحول الرسول من إنسان مبلغ رسالة ربه، ومكلف بهداية الناس إلى إنسان مشغول بتلبية مطالبهم التي لا تنفعهم شيئاً، ولا تهديهم سبيلاً.

ثم إن الكفار حينما يكثرون من التعنت في طلب إنزال الآيات، فإن الله عز وجل أنزل في كتابه ما يرد على الكفار بأن إنزال الآيات مردّه إلى الله تعالى وأن الأنبياء ليس من مهمتهم ذلك، ولا في استطاعتهم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (٢).

١- الزخرف: ٤٦-٥٦ .

٢- غافر: ٧٨ .

## المطلب الرابع: زعزعة الثقة بموسى -عليه السلام- بالإفك والباطل

إن الناس لا يتأتى لهم تصديق الرسل، واتباعهم في كل ما جاءوا به، حتى تتوافر لديهم دلائل صدقهم وأمانتهم، ورجاحة عقولهم، وإخلاصهم ونزاهتهم بحيث تصبح الثقة بهم مطلقة، ومحبة الناس لهم متناهية، حتى يمنحوهم من أنفسهم من التقدير ما يليق بمقام النبوة، التي شرفهم الله سبحانه بها. وقد كان أكابر القوم الذين كانوا يخافون انتشار الدعوة بين الناس، يحرصون كل الحرص على إيجاد الفجوة بين الأنبياء وعامة الناس، بما يخلقونه من المطاعن والإفك وما يشيعونه من الشبهات على الأنبياء وأتباعهم زوراً وبهتاناً، حتى تظل ثقة العامة بهم مفقودة أو على الأقل مهزوزة، فيظل صدقهم محل ريب وشك، ومن ثم لا تُغشى مجالسهم، ولا يُسمع لقولهم، ولا يستجاب لدعوتهم، وهذا الأسلوب من أخطر الأساليب في الصد عن دين الله سبحانه، وهو من الأساليب التي مارسها أعداء الدعوة منذ القدم، واقتفى فيها المتأخر آثار المتقدم، حذوا القذة بالقذة.

وقد حكى الله عز وجل في القصص القرآني صوراً كثيرة مما واجهه الرسل -عليهم الصلاة والسلام- من أمهم.

ومن ذلك ما أخبر الله عز وجل به عن مواقف الأمم جميعاً من رسلها، من ممارسة الصد، بأساليب الإفك والباطل، والجدال بغير حق، بقصد إزالة الحق وإبطاله، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ<sup>(١)</sup> مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ<sup>(٢)</sup> .

فالمراد بالأحزاب هنا تلك الأمم التي تلت قوم نوح -عليه السلام- فلما كانت تسير في خط واحد لمحاربة الأنبياء -عليهم السلام- وتلتقي في كثير من الأحيان في التوافق على

١- الحزب: جماعة فيها غلط، وقد وردت كلمة الأحزاب في القرآن الكريم وهي في الأصل تعني الطوائف التي تجتمع على محاربة الأنبياء عليهم السلام (انظر المفردات في غريب القرآن ص ١١٥).  
٢- غافر: ٥

مطاعن معينة، وشبهات متماثلة، اتفقت على أسلوب معين في محاربة الحق وأهله.

وهذا هو الذي كان يقصد إليه الكبراء، لإيهام العامة بأن ما جاء به الرسل منكر، يجب رده عليهم، وعدم تقبله، ولذلك كانوا يمارون الأنبياء -عليهم السلام- لا عن علم فيما يمارون فيه، ولا من أجل الوصول إلى التثبت من الأمر من أجل الالتزام به والخضوع له، ولكن من أجل إدحاض الحق وأهله.

والعامة من الناس لا يسلمون من تأثير الأباطيل والشبهات، التي يلقيها أعداء الحق حول ما جاء به الأنبياء، والتشكيك الذي يحمل لواءه الصادون عن سبيل الله تعالى.

ويبين الله -عز وجل- في موطن آخر من القرآن توافق أصحاب الباطل، وتماثل أساليبهم في الصد عن سبيل الله، حذو القذة بالقذة، حتى كأن بعضهم أوصى بعضاً، يقول الله تعالى:

﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ \* أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ \*﴾<sup>(١)</sup>. والمعنى .. هل أوصى بعضهم بعضاً أن يقولوا هذا إفك وأن يسلكوا هذا السبيل في الافتراء على الرسل والطعن فيما جاءوا به؟

الجواب: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾: أي لم يحصل التواصل بهذا، ولكن ألسنتهم توافقت في هذا القول لتشابه قلوبهم في الزيف والضلال، فكلهم قوم طاغون قد تجاوزوا الحد في العصيان. وما ذكره الله سبحانه عن الأمم كافة من تواطئها على أسلوب الإفك والباطل، الذي مارسوه ضد الرسل وأتباعهم، لزعة الثقة بقصد الصد عن سبيل الله سبحانه، ذكره الله تعالى أيضاً عن كثير من الأمم على سبيل التفصيل كقصة موسى -عليه السلام- وما دار بينه وبين أكابر قومه من حوار، ويمكنني أن أختصر أساليبهم بضرب أمثلة لما قاموا به من الطعن في نبيهم موسى -عليه السلام- ليتبين بذلك مدى ما بذلوه من محاولات الكيد للصد عن دين الله سبحانه وتعالى.

١- الذاريات: ٥٢-٥٣.

## وهذه الأمثلة يمكن حصرها في ثلاث صور:

الصورة الأولى: التشكيك في سلامة عقل موسى -عليه الصلاة والسلام-:

لقد كان الملأ من قوم موسى -عليه السلام- يعلمون صدق رسولهم الذي أرسل إليهم وأمانته ورجاحة عقله ونزاهته من كل مطعن، يتوجهون به نحوه. وهناك آيات تدل على أنهم كانوا يعرفون الحق ولكنهم كانوا يجحدونه استكباراً وأنفة.

من ذلك ما حكاه الله عز وجل عن موسى -عليه السلام- وهو يحاور فرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ وَإِنِّي لَأُظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَشْبُورًا﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ \* وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(٢)</sup> فهذه الأدلة تبرهن على معرفة الأكابر من قوم موسى -عليه السلام- للحق الذي جاء به رسولهم، ففرعون مثلاً عندما تلزمه الحجة التي تأتي على لسان موسى -عليه السلام- لا يلجأ إلا إلى التهمة بالسحر أو الجنون أو نحوهما قال الله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

ومنه أيضاً قوله تعالى:

﴿فَتَوَلَّى بَرَكْنَهُ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾<sup>(٤)</sup> ففرعون -قبحه الله- يريد أن يطعن في

١- الإسراء: ١٠٢.

٢- النمل: ١٣-١٤.

٣- الشعراء: ٢٧.

٤- الذاريات: ٣٩.

صحة الرسالة ذاتها، فُيُبْعَد القلوب عن تصديقها بهذا الأسلوب، فيتهم موسى -عليه السلام- بالجنون تارة، وبالسحر تارة أخرى ليذهب أثر مقالته التي تهدد وضعه السياسي والديني في الصميم، وترد الناس إلى الله ربهم ورب آبائهم الأولين.

إذن فالملا كانوا يهدفون دائماً بمثل هذا الرمي إلى حرب الدعاية التي كانوا يشنونها ضد موسى -عليه السلام- وأتباعه، للصد عن دين الله سبحانه وربما استغلوا بعض الظواهر في حياة موسى -عليه السلام- والتي لم تكن مألوفة عند الناس فاتخذوا منها وسيلة للرمي بالجنون.

وذلك لأن موسى -عليه السلام- بُعث إلى قومه بأمر خارجة عما ألفوه من عبادة الأوثان، والتمرغ في كثير من المنكرات والمعاصي، فقد جاءهم بدعوة تأتي على مألوفاتهم من أساسها لتضع مكانها قواعد أخرى، وأسساً للحياة تناقض ما كانوا عليه، فإذا رأوا سلوك الرسول غريباً عما اعتادوه: من الإقبال على ربه بالعبادة، وترك ما يزاولونه، من منكر، والاشتغال الدائم بالدعوة إلى ربه، كان كل ذلك أمراً مستغرباً ومستنكراً.

ومن هنا يستغل الملا هذه الظاهرة، ويقولون للعامة الذين لم يدركوا حقيقة أمره، إنه لجنون، كما يفعل اليوم الذين في قلوبهم زيغ، إذا رأوا الصالحين من عباد الله في شغل دائم بعبادة ربهم وذكره منشغلين عن لهو الناس وعبتهم، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتفكير في أمر الآخرة، ومصيرهم المنتظر، يقولون: هؤلاء معقدون وأصحاب عقول قديمة متحجرة عفنة ويُعدّون حجر عثرة أمام التقدم والنمو.

فمراد الملا من رمي موسى -عليه السلام- بالجنون، حتى يوهموا الناس أن كل كلام يصدر منه فهو من باب الهذيان الذي لا يُعقل ولا يُهم. وأنه لذلك لا يستحق أن يلتفت إليه ولا يعاب به.

لأنه جاء بأمر يغير ما أقنعهم به فرعون من ربوبيته وألوهيته، ولذلك قال كما جاء في

القرآن الكريم: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وهو عذر يلتمسه فرعون لموسى -عليه السلام- في تجرئه على مقامه، ومواجهته له بهذه الدعوة التي تنزله من عليائه، وتحيله واحداً من الناس لا تعظيم له ولا مهابة<sup>(٢)</sup>.

كما أن الملائ أيضاً من قوم موسى عليه السلام -كما سبق ذكره<sup>(٣)</sup>- قد رموا موسى -عليه السلام- بالسحر وهو من جنس ما برعوا فيه، حتى يوهموا الناس أن ما جاء به موسى -عليه السلام- ليس من قبيل المعجزة وإنما هو ضرب من ضروب السحر التي ألفوها واعتادوا عليها في زمنهم ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾<sup>(٤)</sup>.

الصورة الثانية: التشكيك في إخلاص موسى عليه السلام:

فالملائ يقصدون من وراء هذا التشكيك في إخلاص موسى عليه السلام الحفاظ على مصالحهم في الدنيا من الملك والسلطان ونحوهما.

لأن مثل هذه الشكوك الصادرة عن الملائ، لا بد وأن يكون لها تأثير في نفوس أتباعهم من عامة الناس، الذين لا يقدرّون أو لا يتمكنون من البحث عن حقيقة الأمور والمقارنة بين هذه المطاعن وبين سلوك موسى -عليه السلام-. والذي يقرأ الإنسان في صفحاته قمة الطهر والنزاهة عن الأطماع الشخصية، والمصالح العاجلة.

وما أصدق المثل القائل: (رمتني بدائها وانسلت)<sup>(٥)</sup> فالكبراء هم الذين كانوا يمارسون أسلوب القهر والتسلط على الناس، وإذلالهم، ولم يقفوا من موسى -عليه السلام- وأتباعه هذا الموقف إلا حين عرفوا خطر هذه الدعوة على شهواتهم ومصالحهم، وخافوا أن يخرج هؤلاء الضعفاء من قبضتهم.

١- الشعراء: ٢٧.

٢- انظر الأنبياء في القرآن (نوح وإبراهيم وموسى) ص ١١٣.

٣- انظر المبحث الأول من هذا الفصل ص ٣٥٨.

٤- الإسراء: ١٠١.

٥- مجمع الأمثال ١/ ٢٨٦.

فبدلاً من أن يقال للناس: هؤلاء الكبراء طالما استعبدوكم وسخّروكم لمصالحهم، وقد بعث الله الرسل ليخلصوكم من هذا الظلم والجبروت، بادر الكبراء بالقول إن هؤلاء الذين يدعون أنهم مرسلون، إنما يريدون بدعوتهم أن ينالوا من ورائها ملكاً وحظاً دنيوياً، فلا تسمعوا لهم، وقد جاء هذا الأسلوب على لسان فرعون وملئه للصد عن دعوة موسى - عليه السلام -: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ \* يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ \* يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ \* قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ويبدو في مقالة فرعون هذه إقراره بعظمة المعجزة، وإن كان يسميها سحراً، فهو يصف صاحبها بأنه ساحرٌ عليم.

ويبدو استكانته وتواضعه للقوم الذي يجعل نفسه لهم إلهاً، فيطلب أمرهم ومشورتهم، ومتى كان فرعون يطلب أمر أتباعه وهم له يسجدون. وتلك عادة الطغاة حينما يحسون أن الأرض تنزل من تحت أقدامهم؛ عندئذ يلبسون في القول بعد التجبر ويلجأون إلى الشعوب وقد كانوا يدوسونها بالأقدام ويتظاهرون بالشورى في الأمر إلى أن يتجاوزوا منطقة الخطر، ثم إذا هم جبابرة مستبدون ظالمون.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لَتُلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>. وقوله: ﴿قَالَ أَجِئْنَا لَنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾<sup>(٤)</sup> فكل من فرعون وملئه، يرمون موسى - عليه السلام - بالسحر،

١- الأعراف: ١٠٩-١١٠.

٢- الشعراء: ٣٤-٣٦.

٣- يونس: ٧٨.

٤- طه: ٥٧.



والبراعة فيه، والمبالغة في إتقانه، حتى كأنه فوق ما اعتاده الناس ﴿لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾. ويستعملون أسلوب التهيج والتحريض عليه تنفيراً من الإيمان به، وإغراءً على الاستمرار في مخالفته والكفر بما جاء به: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾<sup>(١)</sup>: أي أن يكون له -بما يُتَقَنُّ من السحر- أعوان وأنصار كثيرون، يستعين بهم عليكم، ويغلبكم على دولتكم، ويأخذ بلادكم<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكرت الآية الكريمة سببين مانعين لهم من الإيمان . بموسى وهارون -عليهما السلام-:

السبب الأول: دفعهم الحجج الواضحة، والآيات الباهرة التي جاء بها موسى -عليه السلام- بأنهم يأبون الإفلات من قبضة التقليد، والخروج عن الدين الذي وجدوا عليه آباءهم، مع قطع النظر عن كونه حقاً، أو باطلاً، وعن كون ما جاءهم به موسى -عليه السلام- حقاً مؤيداً بالبراهين أولاً، وهذا السبب ظاهر السقوط: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا﴾<sup>(٣)</sup>.

السبب الثاني: حرصهم على الدنيا، وخوفهم من تفلت زمام الملك والرياسة من أيديهم، وكأن الأمر لا يعدو أن يكون صراعاً على مصالح الدنيا، كما يزعم المفتونون بها: ﴿وَتَكُونُ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٤)</sup>، ولما كانت الآيات التي ظهرت على يد موسى -عليه السلام- كافية في إقامة الحجة، بحيث يصبح كل جدال معها داحضاً لا يملك شيئاً من الحق، كما تصبح معها كل دعوى -في التعلق بدين آخر غير الذي جاء به موسى -عليه السلام- باطلةً فإن فرعون وملاه كانوا أمم موسى -عليه السلام- يفقدون الحجة التي يدفعون بها الحق، ويدعمون بها الباطل،

١- الأعراف: ١١٠.

٢- انظر تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٣٣.

٣، ٤- يونس: ٧٨.

سوى ادعائهم أنهم لا يمكن أن يخرجوا عن دين آبائهم الذي ورثوه عنهم، أو اللجوء إلى رميه بالجنون أو السحر أو التهديد بالسجن أو القتل<sup>(١)</sup>.

أما حين يواجهون العامة من أتباعهم، الذين يخافون من سيطرة الحق على قلوبهم، وإفلاتهم من طاعتهم، وسلطانهم، فإنهم يُظهرون لهم الإشفاق على دينهم وطريقتهم التي كانوا عليها لأنها- في زعمهم- الطريقة المثلى، وأن الخروج عنها إلى ما يدعو إليه موسى -عليه السلام- سيؤدي إلى فساد كبير في الأرض، وإلى فوات مصالحهم، وسيطرة موسى -عليه السلام- على الأرض والملك الذي يطمع في الحصول عليه على حد زعمهم.

وفي ذلك استشارة للعامة بأن يحرسوا على معتقدهم - (والعقيدة) عند أهلها مقدسة وإن كانت زائفة- وأن لا يلتفتوا إلى ما جاء به موسى -عليه السلام- لأنه يهدف من وراء دعوته إلى الحصول على مصلحة عاجلة تعود عليه بالنفع: ﴿قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ أَن يُرِيدَ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَ بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾<sup>(٢)</sup>.

الصورة الثالثة: التشكيك في صدق موسى -عليه السلام- فيما يخبر به عن ربه:

من الصور التي سلكها الملأ في محاربة دعوة موسى -عليه السلام- بغرض التشكيك، وصد الناس عن الاستجابة له طعنهم في صدقه -عليه السلام- فيما يُبلغ عن ربه، وكان هذا الأسلوب يرد في أشكال مختلفة:

فتارة يواجهونه -عليه السلام- بالتكذيب فيرمونه بالكذب والافتراء والإفك كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ

١- معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم ٢/ ٧٣٦ .

٢- طه: ٦٣ .

وَقَوْمٌ لُّوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ ﴿١﴾.

وهذا التكذيب لموسى -عليه السلام- عام يشمل كل ما جاء به من الوحي سواء فيما يتعلق بأمر العقيدة أم بأمر الأخلاق أم فيما يتعلق بأمر الأخبار عن المغيبات ونحو ذلك .

وتارة يكتفون بالقول : بأن الرسول لا يكون بشراً كما جاء في القرآن الكريم حكاية عن فرعون : ﴿ فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرِينَ مِثْلَنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾ (٢) .

ثم إن الله عز وجل لو أراد أن يرسل رسولاً في نظرهم لأنزل معه الملائكة ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ \* أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين \* فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين \* فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴿ (٣) .

وهذا يحمل في طياته الاتهام بالكذب، لأن دعواهم بأن الرسول لا يكون بشراً معناه : أن من ادعى الرسالة من البشر فهو كاذب في دعواه : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾ (٤) . وهذه الدعوى الباطلة منهم تدل على احتقارهم لموسى -عليه السلام- وانحطاط نظرهم إليه وهو المخلوق الذي كرمه الله -عز وجل- فهم بهذا الاعتقاد يظنون أن الإنسان لا يستحق منصب الرسالة الذي فيه تشريف من الله عز وجل له، مع كونهم يعظمون ويقدمون بشراً مثلهم . وهذا فيه من التناقض ما فيه ! إذ كيف تستحيل الرسالة على بشر مرسل، ولا تستحيل الألوهية في شأن بشر لا يُغني عنهم

١- الحج : ٤٢-٤٤ .

٢- المؤمنون : ٤٧ .

٣- الزخرف : ٥١-٥٤ .

٤- الإسراء : ٩٤ .

من الله شيئاً. ثم إن هؤلاء الأكابر قد اقترحوا أن ينزل مع الرسول إذا كان من البشر ملائكة تؤيده وتدل على صدقه.

ولكن هذه المقولة الباطلة مردودة عليهم من وجوه أربعة:

**الأول:** إن الله اختار رسله من البشر لا من الملائكة، لأن هذا أعظم في الابتلاء والاختبار، ففي الحديث القدسي الذي يرويه مسلم في صحيحه: «إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك»<sup>(١)</sup>.

**الثاني:** إن في هذا إكراماً لمن سبقت لهم منه الحسنى، فإن اختيار الله لبعض عباده ليكونوا رسلاً تكرم وتفضل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾<sup>(٢)</sup>.

**الثالث:** إن البشر أقدر على القيادة والتوجيه، وهم الذين يصلحون قدوة وأسوة.

**الرابع:** صعوبة رؤية الملائكة، فالملا عندما يقترحون نزول الملائكة ورؤيتها لا يدركون طبيعة الملائكة، ولا يعلمون مدى المشقة والعناء الذي سيلحق بهم من جراء ذلك. فالاتصال بالملائكة ورؤيتهم ليس بالأمر الهين، فالرسول ﷺ مع كونه أفضل الخلق، وهو على جانب عظيم من القوة الجسمية والنفسية عندما رأى جبريل عليه السلام—على صورته التي خُلِقَ عليها أصابه هول عظيم، ورجع إلى منزله يرجف فؤاده، فقد كان ﷺ يجد شدة من اتصال الوحي، ولذلك قال الله عز وجل في الرد عليهم: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا﴾<sup>(٣)</sup> ذلك أن الكفار لا يرون الملائكة إلا حين نزول العذاب<sup>(٤)</sup>.

١- أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ٤/ ٢١٩٧ رقم ٢٨٦٥.

٢- مريم: ٥٨.

٣- الفرقان: ٢٢.

٤- الرسل والرسالات ص ٧١-٧٢ تأليف: د. عمر بن سليمان الأشقر الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - الناشر مكتبة الفلاح - الكويت.

فكان إرسال الرسل من البشر ضرورياً كي يتمكنوا من مخاطبتهم، والفقهاء عنهم ولو بعث الله رسوله من الملائكة لما أمكنهم ذلك: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ \* قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿١﴾ فلو كان سكان الأرض ملائكة لأرسل الله إليهم رسولا من جنسهم، أما وأن الذين يسكنون الأرض بشر فرحمة الله وحكمته تقتضي أن يكون رسولهم من جنسهم: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢﴾.

وإذا كان البشر لا يستطيعون رؤية الملائكة، والتلقي عنهم يسير وسهولة فيقتضي هذا لو شاء الله أن يرسل ملكاً رسولاً إلى البشر أن يجعله رجلاً:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبَسُونَ﴾ ﴿٣﴾ فالله يخبر أنه لو بعث رسولاً من الملائكة ليجعله على هيئة رجل، ليتمكنهم من مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه، ولو كان كذلك لالتبس الأمر عليهم فلا فائدة إذن من إرسال الرسل من الملائكة على هذا النحو، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى نجدهم -أي الملأ- يعلقون تصديقهم بدعوة موسى عليه السلام، بما يطلبونه من الآيات الخارقة من باب التعنت، فإن أجابهم إلى ما طلبوا كان ردهم كما أخبر الله عز وجل: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ \* يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ ﴿٤﴾ وقوله: ﴿قَالَ أَجِئْنَا لَنُخْرِجَنَّهُ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِك يَا مُوسَى﴾ ﴿٥﴾ وقوله: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ ﴿٦﴾ وإن لم يجبههم إلى ما طلبوا قالو: ساحر كذاب.

١- الإسراء : ٩٤-٩٥ .

٢- آل عمران : ١٦٤ .

٣- الأنعام : ٩ .

٤- الأعراف : ١٠٩-١١٠ .

٥- طه : ٥٧ .

٦- طه : ٧١ .

وذلك هو أسلوب المأل في رد الحق والاستكبار عن قبوله وبذل الجهد في صد الناس عنه، لأنهم يخافون من الحق الذي من شأنه أن يحطم كل المعتقدات الزائفة الموروثة التي تقوم عليها سياسة الكبراء والأشراف لعامة الناس، كما تقوم عليها مصالحهم الاقتصادية، وسلطانهم الجائر المستمد من الخرافات السائدة، وهي العلة التي وإن اختلفت صورها وأساليبها؛ فلن يختلف الدافع والحرك لها، عند جميع الطغاة وفي كل زمان قديماً وحديثاً، إنهم ينتحلون شتى المعاذير في ترك ما هم عليه، واتباع الحق الذي لاشك فيه، ويرمون الدعاة إلى الله تعالى بأشنع الاتهامات لمقاومة الدعوة إلى الله، وصد الناس عن الدعاة إلى الحق. ذلك أن القلوب إذا اتجهت إلى الحق، وتفتحت لمعرفة حقيقة فإن ذلك نذير انهيار الباطل وأهله، وسلطانه ومصلحه، ومعتقداته وزيفه، فهو خطر يأتي على الباطل من أساسه.

فليس من السهل إذاً على فرعون الذي جعل من نفسه إلهاً من دون الله - كما زعم - أن يلزم الصمت أمام الحق الذي جاء به موسى - عليه السلام - وهو يهدد كيانه، ويقرّع أجراس الخطر على أبوابه، ذلك الحق الذي جاء ليخلص الناس من استعباد فرعون لهم ويعيد لبني إسرائيل كرامتهم وحریتهم اللائقة بهم. فكل ما يلقيه الأشراف والكبراء في روع العامة من الافتراءات على الرسل - عليهم الصلاة والسلام - إنما يقصدون به زعزعة ثقة الناس في الرسل وما جاءوا به ليصدوهم بذلك عن دين الله سبحانه وتعالى.

## المطلب الخامس: الصّدُّ عن الدعوة بالإغراء

إن أمر الدعوة إلى الله - عز وجل - مما يُقلق الكفار الذين ألفوا نمطاً معيناً من أسلوب العبادة، والطقوس التي توارثوها عن آبائهم وشاعت في أوساطهم واستحكمت في نفوسهم، كما كان يشق على الكبراء وأصحاب السلطة والثراء أن تجد الدعوة إلى الله تعالى قبولاً في نفوس العامة، مما يكون سبباً في ضياع مصالحهم، وتلاشي ضلالتهم، ويتخلّص الناس من قبضة الظالمين، واستعبادهم، وخضوعهم لسلطان الله وأمره وحكمه.

لذلك كله كان الملأ لا يتركون وسيلة من شأنها أن تصد الدعوة عن الاستمرار في دعوتهم، أو تصد الناس عن الاستجابة للدعوة إلا سلكوها. ومن بين هذه الأساليب أسلوب الإغراء، وهو أسلوب يقصد منه استمالة القلوب الضعيفة التي تعلق همها بمصالح الدنيا وشهواتها ولذاتها، ولعل الملأ الذين ليس لهم غاية في الحياة إلا الاستمتاع، والتقلب في الشهوات كانوا يحسبون الأنبياء وأتباعهم من هذا الصنف، وأنه إذا ما عرض عليهم شيء من متاع هذه الحياة وزينتها - على ما هم عليه من الفقر وانحسار الدنيا عنهم - فسوف تغريهم هذه العروض، ويكفون عما يدعون الناس إليه.

لهذا تجد أن الرُّسل - عليهم الصلاة والسلام - ومن سلك سبيلهم في الدعوة إلى الله تعالى كانوا يواجهون أقوامهم منذ اللحظة الأولى، بما يزيل هذا الوهم ويدفع هذا الاتهام، ويصرف الأرقام عن المحاولة معهم بأسلوب الترغيب.

فيتبين لهم أن هؤلاء الذين جاءوا يحملون لواء الدعوة إلى الله تعالى، ليسوا أصحاب شهوات جامحة، فتغريهم مفاتن هذه الدنيا، كما أنهم لم يأتوا من أجل طلب رئاسة أو سلطان أو مال أو سيادة في أقوامهم، وأن رسالتهم التي يحملونها أرفع من أن تتدنى إلى هذا المستوى الساقط من المتاع واللذة، وأن المهمة التي يحملونها أجل من أن يُساوموا عليها.

وقد لقّن الله سبحانه نبيه محمداً ﷺ أن يخاطب قومه بمثل ما خاطب الأنبياء قبله أقوامهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ

عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١﴾.

قال الرازي -رحمه الله-: ( لما أمره تعالى بالافتداء بهدي الأنبياء -عليهم السلام- المتقدمين، وكان من جملة هداهم ترك طلب الأجر في إيصال الدين، وإبلاغ الشريعة، لا جرم أنه اقتدى بهم في ذلك فقال: لا أسألكم عليه أجراً ولا أطلب منكم مالا ولا جُعلاً) (٢).

ومن صور الإغراء التي استخدمها أصحاب السلطة من الكبراء والأشراف لمحاولة الصد عن دين الله تعالى، ما استخدمه فرعون في دفع السحرة لمقاومة موسى -عليه السلام- وبذل أقصى ما يتقنونه من السحر حتى يتغلبوا بسحرهم على ما جاء به من الآيات.

وقد حكى الله سبحانه ذلك في مواضع من القصص القرآني من ذلك قوله سبحانه: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ \* قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (٣) وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَمَّا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ \* قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (٤).

لم يستطع فرعون في هذه الحال التي يهدد فيها ملكه -عن طريق ما جاء به موسى من الحق والهدى- أن يغالب الحقيقة وأن يخفيها، حقيقة ضعفه وعجزه وبطلان ما يدعيه من الربوبية في مثل قوله: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (٥) وقوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ (٦).

فقد لجأ في صورة الخائف الوجل على ملكه إلى الاستعانة بالسحرة، لكي يظهروا إبداعاتهم في السحر، لإبطال ما جاء به موسى -عليه السلام- ظناً منه أن الكل من باب واحد، ويستعمل أسلوب الإغراء في دعوة هؤلاء المحترفين، الذين كانوا يُسَخَّرُونَ لخدمة السلطان الظالم، والطاغوت الذي أسند لنفسه ما هو من خصائص الله عز وجل ولم يكتف

١- الأنعام: ٩٠.

٢- مفاتيح الغيب ١٣ / ٧١-٧٢.

٣- الأعراف: ١١٣-١١٤.

٤- الشعراء: ٤١-٤٢.

٥- النازعات: ٢٤.

٦- القصص: ٣٨.



فرعون بأن يحقق لهم ما طلبوه من الأجر، ولكنه أضاف إليه ما هو أجلّ منه وهو أن يصبحوا في عداد المقربين منه فينالوا بذلك التعظيم والرفعة والكرامة عنده.

وهو أسلوب فيه زيادة في الإغراء والتشجيع والتحريض في أبلغ صورته، لكي يبذلوا أقصى الجهد في مغالبة موسى -عليه السلام- حتى يظل الناس على حالهم في اتباع السحرة الذين كانوا يمثلون مع فرعون قمة الضلال ويتولوا كبره ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ \* لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١﴾ أي نظل على حالنا من اتباعهم لا نحيد عنه قيد أنملة ولا ننصرف إلى ما جاء به موسى عليه السلام.

وقال تعالى :

﴿قَالُوا إِنْ هَٰذَا لَسَاحِرٌ أُنْزِلَ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَ بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى﴾ \* فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ﴿٢﴾ كان السحرة يظنون أن موسى -عليه السلام- يزاول السحر كما يزاولونه هم، وكانوا يخافون من غلبته عليهم، لأن مصدر رزقهم، وتعظيم الناس لهم، والتفاف العامة حولهم، ما يجدونه من أسلوب المخادعة للناس بسحرمهم، فإذا غلبوا فسدت طريقتهم التي تحفظ لهم مكانتهم عند الناس، وقد يؤول أمرهم إلى الخروج من الأرض بحثاً عن الرزق إذا فشلوا في مقاومة موسى عليه السلام لأنهم سيصبحون في مكان الاحتقار عند الناس، وهذه كلها عوامل خوف في نفوسهم، ولذلك تناجوا فيما بينهم، كيف يُحكمون طريقتهم، وكيف يظهرون كيدهم للناس حتى ينصرفوا عن دعوته -عليه السلام-.

ولن يكون ذلك إلا بإظهار أن ما عند موسى -عليه السلام- ليس غريباً ولا خاصاً به وإنما هو معروف لديهم لأنه من قبيل السحر الذي برعوا فيه فكان من تدبيرهم في الكيد لموسى -عليه السلام- أن يأتوا صفاً، ويظهروا وحدة الكلمة كما يظهرون المهابة بكثرتهم

١- الشعراء: ٣٩ - ٤٠.

٢- طه: ٦٣ - ٦٤.

وتلاحمهم، فإن ذلك داع لهيبتهم ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتُّوَا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾<sup>(١)</sup> وقد يكون المراد بطريقتهم ما اعتادوه وتوارثوه، لأن الناس يغارون على ما ألفوه فالمراد إذا التمسك بما هم عليه من العبادة ورفض الدين الذي جاء به موسى -عليه السلام-<sup>(٢)</sup>.

وخلاصة القول: أن الملائ من شأنهم أن يبذلوا كل محاولة للصد عن سبيل الله سبحانه سواء في ذلك صد الناس عن اتباع حَمَلَةِ الحق ودعاته، كما هو الحال بالنسبة لموسى عليه السلام، أو صد الدعوة عن استمرارهم في الدعوة إلى الله وتبليغ دينه إلى الناس. فلا يترك الملائ -ممن طبع الله على قلوبهم- وسيلةً يمكنهم استخدامها للوصول إلى هذه الأهداف إلا استعملوها.

---

١- طه : ٦٤ .

٢- انظر معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم ٢ / ٧٦١-٧٦٢ .

## المطلب السادس: الصد عن الدعوة بالترهيب

يحرص الأعداء على الصد عن الدعوة إلى الله تعالى بأحد الأساليب التي تقدم ذكرها من تشويه وجه الحقيقة، بإلقاء الشبهات حول الدعاة وحول ما جاءوا به، أو الطعن في الدعاة بما يُنفر عنهم، أو الجدال بالباطل، أو إسكات الدعاة بما يغرونهم به من متاع هذه الحياة.

إلا أن هذه الوسائل والأساليب كثيراً ما تفشل، لأن الحق أعلى من أن يشويهه أو يطمس حقيقته أو يخفيه شيء من هذه الأمور، لذلك يضطر الأعداء -حين يفقدون كل حجة يقاومون بها الحق، وحين يفشلون في استمالة الدعاة أو صرف الناس عنهم- إلى استخدام أسلوب الترهيب باستعمال البطش وإنزال البلاء، والطرده من الديار، وهذا الأسلوب جاء ذكره في القصص القرآني في مواضع متعددة، من ذلك ما حكى الله سبحانه عن الأمم كافة، في مواجهتها الرسل -عليهم الصلاة والسلام- بهذا الأسلوب، قال تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup> ففي هذه الآية تهديد بالنفي من الأرض إلا أن يعود الرسل إلى ملة الكفر، ويتركوا ما جاءوا به من دعوة الناس إلى التوحيد، وترك عبادة غير الله سبحانه.

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾<sup>(٢)</sup> هذا هو الخط العام الذي سار فيه أعداء الرسل جميعاً، وهو التهديد بإنزال الأذى بالرسل.

فقوله: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾<sup>(٣)</sup> أي: ليتمكنوا منه ومن الإيقاع به، وإصابته بما أرادوا من تعذيب أو قتل<sup>(٤)</sup>، وهاهم الملائكة من قوم موسى -عليه السلام- لما لم ينجحوا في دسائسهم الأولى، وهي إقناعهم بأن موسى ساحر عالم يريد بسحره أن يخرج

١- إبراهيم: ١٣.

٢- غافر: ٣، ٥.

٣- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ٤١٥/٣.

فرعون وملئه من أرضهم،، وتبين لهم ولغيرهم أن ما أتى به ليس سحراً وإنما هو مبطل للسحر. ثم كان وراء ذلك إيمان السحرة الذين جمعهم فرعون ليهزموا موسى عليه السلام.

لما كان ذلك كله لجأوا إلى أسلوب جديد يؤلبون به فرعون على موسى وأخيه عليهما السلام ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَالْهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

إن هذا القول وأمثاله شأن بطانة السوء التي تلتف دائماً حول الظالمين، وتعيش في أحضان الحكام المستبدّين، لإقناعها أنها لا تستطيع أن تعيش إلا في تلك الأوساط المظلمة، ولا تستطيع أن تصيد إلا في الماء العكر، فليس لها من المؤهلات ما تستطيع أن تعيش به على حساب نفسها، ولا من الأخلاق ما يسمح لها بقبول الحق والاعتراف بالأمر الواقع.

وقد ساعدهم على ذلك أنهم رأوا من حاكمهم المستبد استعداداً لذلك القول، ولولا علمهم أن ذلك القول وأمثاله يتفق وشهوة صاحبهم ما قالوه، فهم إنما يصارحون الناس بما يجيش في صدره وما يتناسب مع أطماعه وشهوته، فهو شريكهم في الجرم، ورئيسهم في الإثم، عليه وزره ووزرهم. لذلك صوّر الملأ من قوم فرعون موسى وحزبه بتلك الصورة البشعة، صورة المفسد في الأرض<sup>(٢)</sup>.

فموسى -عليه السلام- في نظرهم مفسد هو ومن تبعه، وأي فساد عندهم أكبر من أن يتخلى موسى وقومه عن عبادة فرعون وتقديسه، ويتجهون بالعبادة إلى من تجب له الطاعة ويستحق وحده أن تعنوا له الجباه وتستسلم له القلوب.

وأي فساد أيضاً في أن يصبح فرعون واحداً من الناس، لا رهبة له ولا خشوع أمامه، فترتفع في مواجهته الجباه التي طالما استكانت وخضعت له.

وللأسف أتى هذا الحوار التحريضي من الملأ في نفس فرعون ثماره فقرر قراره الخطير وهو ما

١- الأعراف: ١٢٧.

٢- دعوة الرسل إلى الله تعالى ص ١٨٩.

جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وبهذا أهدر فرعون لهؤلاء المستضعفين كل قيمة إنسانية وكل حق في الحياة، فليس لهم حق الحياة كما ليس لهم حق اختيار العقيدة. وليس هناك أشد تنكيلاً من قتل الرجال، واستبقاء النساء للخدمة والمتعة، ورفع سيف القهر والبطش الذي لا يجعل لموسى وقومه مجالاً للبقاء والثبات، لاسيما وأن ذلك الفعل ميسور بالنسبة له لأنه فوقهم - كما يزعم - بالسلطان والنفوذ ومستعل عليهم بالغلبة فلا يستطيعون إفساداً في الأرض، ولا إخراج بني إسرائيل من تعبید فرعون - قبحه الله - ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

فهذا القتل للغلمان من بعد بعثه موسى - عليه السلام - إنما كان على وجه الإهانة والإذلال، والتقليل لبني إسرائيل لئلا يكون لهم شوكة يمتنعون بها، ولكن ذلك لم ينفعهم ولم يرد عنهم قدر الذي يقول للشيء كن فيكون.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾<sup>(٣)</sup>.

بالرغم من كل ما قام به فرعون - قبحه الله - من تقتيل لذكور بني إسرائيل واستحياء لنسائهم، وإنزال أقسى ألوان العذاب عليهم إلا أن ذلك لم يشف غيظه بل نجده يتجه ببطشه إلى موسى - عليه السلام - فهو الإمام الذي يتبع، والزعيم الذي حرك الأتباع، فلماذا لا يقتله فيقضي بذلك على الدعوة من أساسها ويخمد تلك الدعوة التي توشك أن تزلزل الأرض من تحت قدميه ولماذا ذلك كله؟.

الجواب ما يحكيه القرآن الكريم على لسان فرعون: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وهذا اختلال في الأوضاع والقيم ما بعده اختلال!! إن فرعون يخشى على الناس من موسى ويحذر أن ينشر الفساد في الأرض... وهي نظرة عجيبة تعكس ما استولى على فرعون

١- الأعراف: ١٢٧.

٢- غافر: ٢٥.

٣، ٤- غافر: ٢٦.

من غرور وإعجاب بالنفس حجب عنه الحقيقة وبدّل الموازين أمام ناظره، فإذا به يرى نفسه مصلحاً هادياً ويرى موسى مفسداً مضللاً. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ \* أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١).

أما موسى -عليه السلام- فإنه استعاذ بربه من فرعون وبطشه، ومن بغى كل متكبر لا يؤمن بالجزاء ولا يرى في الحياة إلا وجوداً مادياً يعقبه الفناء:

﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (٢).

وعلة الطغيان -كما بين موسى عليه السلام- هي الكبرياء التي يبتغي المتصف بها العلو في الأرض والظهور بغير الحق، والتكذيب بالآخرة وإنكار البعث، فيستحيل ذلك المتكبر إلى مارد جبار يهلك ويطنغي بغير حدود.

ومن العجيب في هذا الموقف الرهيب أن ينبعث في هذه البيئة الظالمة صوت مؤمن يحذر من الطغيان ويخوف قومه عواقبه، ويستصرخ ضمائرهم وعقولهم أن تستيقظ من سطوة الاستبداد قبل أن يحيط بهم طوفان الهلاك:

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (٣).

إن هذا المؤمن الذي سجّل القرآن موقفه العظيم -وقد كان يكتُم إيمانه- يتسم بطهارة الفطرة، وقوة الحجة في مواجهة الأخطار. إذ أنه لما علم بما هم به فرعون وعزم على ذلك

١- البقرة: ١١-١٢.

٢- غافر: ٢٧.

٣- غافر: ٢٨.

وشاور ملأه فيه خاف هذا المؤمن على موسى -عليه السلام- فتلطف في رد فرعون بحوار جمع فيه بين الترغيب والترهيب . وقد ثبت في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال :

«أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر»<sup>(١)</sup> وهذا من أعلى المراتب فإن فرعون لا يوجد من هو أشد جوراً منه، كما أن هذا الحوار لا أعدل منه لأن فيه عصمة نبي ويحتمل أنه كاشفهم بإظهار إيمانه، وصرح لهم بما كان يكتمه ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup> . إذاً هو يستنكر على قومه أن يقتلوا رجلاً كل جرمه عندهم أنه :  
١- يقول ربي الله .

٢- أنه جاءهم بالبينات من الله وحمل أمانة الرسالة إليهم .

وهو بذلك يصور بشاعة الجريمة التي دبروها بقتل موسى عليه السلام، وما كانت العقيدة الصحيحة المتفقة مع العقل والعلم جريمة يستحق عليها صاحبها القتل، فالإنسان بأصل الفطرة حرّ في اختيار عقيدته، وهو الذي يلقي الجزاء، وليس لأحد أن يكرهه على اعتناق ما لا يرضى، أو الكفر بما يؤمن به، وذلك هو المبدأ الذي أعلنه الإسلام بوضوح لا يقبل اللبس : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾<sup>(٣)</sup> .

فإذا كان هذا شأن الاعتقاد وأياً كان فلماذا يضيق فرعون وملؤه برجل يقول : ﴿رَبِّيَ اللَّهُ﴾ ؟

ثم هو ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾<sup>(٤)</sup> فهو صاحب فضل عليكم حيث حمل مشعل الإيمان وأضاء أمامكم طريق الحق لتسلكوه، وهو لا يكرهكم على قبول دعوته ولا يضيق عليكم الخناق، وإنما هو يدعو فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾<sup>(٥)</sup> .

١- أخرجه الإمام أحمد ١٩/٣-٦١ وأخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف ١٣٢٩/٢ وأخرجه الترمذي في كتاب الفتن، باب : أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر ٣/٣١٨ رقم ٢٢٦٥ قال الألباني حديث صحيح، صحيح سنن الترمذي ٢/٢٣٤ .

٢- غافر: ٢٨ .

٣- البقرة: ٢٥٦ .

٤، ٥- غافر: ٢٨ .

وهذا احتراز في الحوار وتلطف في الإقناع، إذ يريد ذلك المؤمن الذي يكتن إيمانه، أن يصرف فرعون عن عزمه على قتل موسى -عليه السلام- ويبين له أن الخطر في قتله لا في تركه، فإن يك موسى كاذباً في دعوته فلن يضيركم كذبه، بل سيعاجله الله بالانتقام، أما إن كان صادقاً ثم قتلتموه فإن ما توعدكم به من نقمة سيصيبكم بعضها لا محالة وهو ما تخشونه فكيف إذا أصابكم كل ما يعدكم؟.

قال الزمخشري -رحمه الله-:

(فإن قلت لم قال: (بعض الذي يعدكم) وهو نبي صادق لا بد لما يعدهم أن يصيبهم كله لا بعضه؟).

قلت: لأنه احتاج في مقاومة خصوم موسى -عليه السلام- ومناكره إلى أن يلاوصهم<sup>(١)</sup> ويداريهم ويسلك معهم طريق الإنصاف في القول، ويأتيهم من جهة المناصحة، فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم بقوله، وأدخل في تصديقهم له وقبوله منه فقال: ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> وهو كلام المنصف في مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه<sup>(٣)</sup>.

ولفت أنظارهم إلى العاقبة الوخيمة للاستكبار عن الحق والإعجاب بالقوة والتحكم فمال ذلك إلى خسران وهوان<sup>(٤)</sup>.

﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾<sup>(٥)</sup>. وهو منطق واضح يعتمد في حوارهِ على وقائع التاريخ البادية للأنظار، فليس هناك سلطان مطلق يدوم على الدهر، وليس هناك قسر وجبروت تستمر قبضته مهما بلغ من البأس، فالأيام دُول ولا بقاء إلا للحق والعدل.

١- الملاوصة هي النظرة ويسرة كأنه يروم أمراً. يقال ألأصه على كذا: أي أداره على الشيء الذي يريد (انظر لسان العرب ٣٥٧/٨ فصل اللام والميم حرف الصاد).

٢- غافر: ٢٨.

٣- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٤٢٤/٣ - ٤٢٥.

٤- الأنبياء في القرآن (نوح وإبراهيم وموسى عليهم السلام) ص ١٢٥.

٥- غافر: ٢٩.



قال ابن كثير - رحمه الله - :

( يحذرهم أن يُسَلِّبوا هذا الملك العزيز، فإنه ما تعرضت الدول للدين إلا سلبوا ملكهم ودَلُّوا بعد عزمهم )<sup>(١)</sup>.

وهو يريد - رحمه الله - بتعرض الدول للدين مصادرتها لحق الاعتقاد الصحيح، وهدمها لبناء الخير والحق، وابتغاءها سبل الهلاك والضلال، ومحاولتها صرف أنظار الناس عن ضياء الهداية بكل سبيل .

فما كان جواب فرعون على هذا التحذير البليغ من هذا الناصح الذي خاف على قومه الهلاك الذي يصيب أهل العناد والاستكبار إلا أن قال : ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وكان فرعون صاحب رأي وهداية، أو فكر وحجة، وما كان إلا جباراً لا سبيل له إلى العقل أو الرأي، وقد كان يعلم في قرارة نفسه أن موسى - عليه السلام - صادق في دعوته واضح في حجته، لكنه أبى وتمرد، ولذلك واجهه موسى - عليه السلام - بهذه الحقيقة حين قال له :

﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ وَإِنِّي لأُظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾<sup>(٣)</sup> ثم أخذ هذا المؤمن يذكرهم بعذاب الله وبطشه في هذه الدنيا كما حصل للأمم السالفة بسبب أعمالها السيئة، ثم حذرهم من عذاب الآخرة يوم يحاول الكافرون الفرار من عذاب الله، ولا مفر من هذا العذاب يقول الله عز وجل على لسان مؤمن آل فرعون : ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ \* مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ \* وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ<sup>(٤)</sup> \* يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾<sup>(٥)</sup>.

١ - قصص الأنبياء ص ٤٢١ .

٢ - غافر: ٢٩ .

٣ - الإسراء: ١٠٢ .

٤ - التناد : هو يوم القيامة ففيه ينادي الناس بعضهم بعضاً ومن قرأ ( التناد ) بالتشديد فهو من نذير إذا مضى على وجهه يقال نذرت الإبل : إذا شردت وذهبت ( انظر مشكل القرآن وغريبه ١٠٥ / ٢ لابن قتيبة الطبعة الأولى ١٣٥٥ هـ الناشر : مكتبة الخانجي بمصر، وانظر المفردات في غريب القرآن ص ٤٨٦ ) .

٥ - غافر: ٣٠-٣٣ .

ثم أخذ يذكرهم بأن الدعوة التي جاء بها موسى -عليه السلام- ليست جديدة، فقد جاء يوسف بالبينات إلى آبائهم فارتابوا في صدقه حتى إذا توفي قالوا لن يبعث الله من بعده رسولا.

ثم أبان لهم أن ذلك الموقف السيء أدى بهم إلى الضلال لأنهم حين انصرفوا عن الرشد صرف الله قلوبهم عن الهداية.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زُلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾<sup>(١)</sup> ولكن فرعون وقومه تمالأوا في الضلال والعناد، فتابع هذا المؤمن دعوتهم إلى سبيل الحق والرشاد فنصحهم بعدم الاغترار بهذه الدنيا الفانية، والعمل للآخرة، دار البقاء، فهناك يجازي الله السيئة بمثلها، والحسنات يكافأ عليها المرء بأحسن الجزاء.

ثم لامهم هذا المؤمن على دعوتهم له إلى الكفر بينما هو يدعوهم إلى الإيمان، فالآلهة التي يدعونه إلى عبادتها لا تنفع في الدنيا ولا تشفع في الآخرة، حيث المرجع إلى الله وحده، ولقد هموا بقتله فوقاه الله سوء عملهم، فكانت عاقبته السعادة وعاقبة آل فرعون الشقاء:

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ \* يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ \* مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ \* وَيَا قَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ \* تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ \* لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ \* فَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ

١- غافر: ٣٤ .

وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ \* فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ  
فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿١﴾

ففرعون قال لهم من قبل ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (٢)  
والرجل المؤمن يقول لهم: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (٣) فكلامه ودعوته دليل  
على جرأته وشجاعته وإقدامه، وإلا فكيف يرد على فرعون دعوته، أو يخالفه في اختياره؟  
ويتحداه في موقفه؟ ويفارقه في طريقه؟ وإذا وقفنا نقارن بين الجملتين، بين كلمة فرعون  
للناس، وبين كلمة مؤمن آل فرعون لهم، فإننا سنجد الفرق بينهما، هو الفرق بين تواضعه  
وتكبر فرعون، بين إعطائه الجماهير مجالها في الحرية والاختيار، وبين سلب فرعون الجماهير  
تلك الحرية والاختيار.

الفرق بين تقربه منهم وتحيبه إليهم في قوله لهم: ﴿يَا قَوْمِ﴾ وبين استعلاء فرعون عليهم  
 وإهانته لهم وإغائهم لعقولهم في قوله: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ (٤).

فرعون يسلب منهم التفكير والبحث والاهتداء، ويتولى هو التفكير عنهم والبحث  
بدلهم.

ومؤمن آل فرعون يمنحهم حرية البحث والإقناع والتفكير والاختيار، ويجعل منهم  
شخصية ذاتية يقدرّون بها على اتباع الهادي البصير: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ  
الرَّشَادِ﴾ (٥) ﴿٦﴾.

وكما توعد فرعون موسى -عليه السلام- بالقتل توعدده بالسجن والحبس وهذه هي  
عادة الطغاة عندما يُسْقَطُ في أيديهم وتخذلهم البراهين: ﴿لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي  
لَأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (٧).

١- غافر: ٣٨-٤٥.

٢- غافر: ٢٩.

٣- غافر: ٣٨.

٤- غافر: ٢٩.

٥- غافر: ٣٨.

٦- انظر مع قصص السابقين في القرآن (دروس في الإيمان والدعوة والجهاد)، ص ١٢١-١٢٢ تأليف د. صلاح  
عبد الفتاح الخالدي، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - الناشر: دار القلم.

٧- الشعراء: ٢٩.

وهذا دليل العجز وعلامة الشعور بضعف الباطل أمام الحق الدامغ، وتلك سمة الطغاة وطريقهم في القديم والجديد

ثم جاء الوعيد بالتنكيل والصلب لكل من آمن بموسى -عليه السلام- من السحرة الذين أعلنوا إسلامهم وانضموا إلى موسى -عليه السلام- بقوة الحجّة ونصوع البرهان فانقلبوا حرباً على فرعون بعد أن كانوا من أعوانه. ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ \* لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيْنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾<sup>(٢)</sup>. والعجب في قولة فرعون إنه يستنكر على السحرة أول ما يستنكر أنهم لم يستأذنوه في الإيمان، ولم يرجعوا إليه مستفتين في أمر موسى -عليه السلام- بعد أن اتضح لهم صدقه: هل يؤمنون به؟

وكأن فرعون قد ظن أن قلوب الناس بيده، وإيمانهم تحت سلطانه فكيف يؤمنوا بغيره قبل أن يأذن لهم؟ فلقد جهل أن القلوب لا تخضع إلا للحجة، وأنها متى اتجهت إلى الحق وتطلعت إليه ثم ظهر لها البرهان لا تستطيع أن تقاومه، ولا غنى لها عن الخضوع له.

جهل فرعون هذه الحقيقة ثم عقّب على ذلك بقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾<sup>(٣)</sup>.

لقد رماهم بالتواطؤ مع نبي الله موسى -عليه السلام- وأن ما فعلوه من إظهار الرغبة في الغلب عليه كان خديعة لفرعون وملائه ليخرجوا من المدينة أهلها وهذا الذي قاله من

١- الأعراف: ١٢٣-١٢٤.

٢- طه: ٧١.

٣- الأعراف: ١٢٣.

البهتان الذي يعلم كل فرد عاقل ما فيه من الكفر والكذب والبهتان لأن الناس يدركون أن موسى -عليه السلام- لم ير هؤلاء يوماً من الدهر فكيف يكون كبيرهم الذي علمهم السحر؟ ثم هو لم يجمعهم ولا علم باجتماعهم حتى كان فرعون هو الذي استدعاهم<sup>(١)</sup>.  
وجملة القول أن فرعون قد سَقَطَ في يده بإيمان السحرة فمرة يَعْتَبُ عليهم أنهم آمنوا بموسى قبل أن يأذن لهم.

ومرة يتهمهم بأن موسى كبيرهم في السحر، وأنهم دبروا ذلك العمل مع موسى عليه السلام قبل اجتماعهم به ليخرجوا من المدينة أهلها.

وأخيراً لجأ إلى الوعيد والتهديد فقال: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ما يحل بكم من العذاب على ذلك المكر والخداع.

ثم فصل ذلك الوعيد بقوله ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وهذا الوعيد يحاول به فرعون أن يصد الناس عن اتباع السحرة في الإيمان بموسى -عليه السلام- فقد توعدهم بالتمثيل بهم، وتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ثم صلبهم في جذوع النخل لأنها أغنى وأشهر حتى يكونوا عبرة لكل من يفكر في الإيمان بما جاء به موسى وهارون -عليهما السلام- ولكن طاقة الإيمان في قلوب السحرة لاتبالي بشيء من ذلك، فما فرعون إلا بشر مثل غيره من البشر لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً، فالعذاب الحق هو عذاب الله الذي أعدّه للمجرمين الذين لم يطهرهم الإيمان ولم يزكهم نوره فذلك الذي ينبغي أن يُحذر ويُخاف.

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ

١- انظر قصص الأنبياء ص ٤١٢ لابن كثير.

٢- الأعراف: ١٢٣.

٣- الأعراف: ١٢٤.

وَأَبْقَى \* إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى \* وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿١﴾ .

هذا وقد ذكر الله سبحانه وتعالى عن بني إسرائيل، وهو يذكر مساوئهم وفضائلهم وكثرة جرائمهم، أنه كان من بين ما يرتكبونه من عظائم الأمور المنكرة قتلهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم ممن يأمر بالقسط، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (٢) .

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣) .

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ (٤) .

فأسلوب التهديد والإيذاء يعدُّ من أخطر الوسائل التي يمارسها أعداء الإسلام في مضايقة المؤمنين وفتنتهم وصددهم عن الدعوة إلى الله تعالى .

فموسى -عليه السلام- أصابه من البلاء الشيء الكثير، ذلك أن الملاء وأرباب الظلم من طواغيت قومه الذين تربت أنفسهم على محاربة الحق والفضيلة وألفت المعاصي والردائل واستساغت الجريمة، هذا الصنف من الناس كان لا يريد أن يسمع كلمة الحق، ولا أن يدعى إلى هدى أو فضيلة، فهو يشمئز لهذا النوع من الكلام، لذلك لما كان هؤلاء يفقدون الحجة التي يقارعون بها موسى -عليه السلام- فلا يجدون ما يقابلونه به إلا استعمال القوة والبطش والأذى .

١- طه : ٧٢-٧٥ .

٢- البقرة : ٨٧ .

٣- آل عمران : ٢١ .

٤- المائدة : ٧٠ .

يقول الله تعالى :

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قُلْ أَفَأَنْبِيَكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَُم النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم -رحمه الله- : ( فمن آمن بالرسول وأطاعهم عاداه أعداؤهم وآذوه، فابتلى بما يؤلمه، وإن لم يؤمن به ولم يطعهم، عوقب في الدنيا والآخرة، فحصل له ما يؤلمه، وكان هذا المؤلم له أعظم ألماً، وأدوم من ألم أتباعهم، فلا بد من حصول الألم لكل نفس آمنت، أو رغبت عن الإيمان، لكن المؤمن يحصل له الألم، في الدنيا ابتداءً ثم يصير إلى النعيم الدائم.

والله تعالى ابتلى أولي العزم من الرسل، فلما صبروا مكنهم فلا يظن أحد أنه يخلص من الألم البتة، وإنما يتفاوت أهل الآلام في العقول، فأعقلهم من باع نعيماً مستمراً عظيماً، بألم منقطع يسير، وأشقاهاهم من باع الألم المنقطع اليسير بالألم العظيم المستمر . . ثم إن الإنسان مدني بالطبع، لا بد له أن يعيش مع الناس، والناس لهم إرادات وتصورات، فيطلبون منه أن يوافقهم عليها، فإن لم يوافقهم آذوه وعذبوه، كمن عنده دين وتقى، حل بين فجار ظلمه، ولا يتمكنون من فجورهم وظلمهم، إلا بموافقتهم لهم، أو سكوتهم عنهم، فإن وافقهم أو سكت عنهم سلم من شرهم في الابتداء، ثم يتسلطون عليه بالإهانة والأذى أضعاف ما كان يخافه ابتداءً لو أنكر عليهم وخالفهم، وإن سلم منهم، فلا بد أن يهان ويعاقب على يد غيرهم، فالحزم كل الحزم، في الأخذ بما أخبرت به عائشة -رضي الله تعالى عنها- معاوية<sup>(٢)</sup> -رضي الله تعالى عنه- من حديث رسول الله ﷺ : « من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس »<sup>(٣)</sup>.

١- الحج : ٧٢.

٢- هو معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب أمير المؤمنين أبو عبدالرحمن القرشي الأموي، أسلم قبل أبيه وقت عمرة القضاء ولكنه لم يظهر إسلامه إلا يوم الفتح، بويع بالخلافة سنة إحدى وأربعين لما دخل الكوفة وتوفي سنة ستين وعمره سبع وسبعون سنة. ( انظر سير أعلام النبلاء ٣/ ١١٩-١٦٢ ).

٣- أخرجه الترمذي في كتاب الزهد - باب من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ٤ / ٣٤٤ رقم ٢٤١٤ قال الألباني حديث صحيح انظر السلسلة الصحيحة رقم ٢٣١١ صحيح سنن الترمذي ٢ / ٢٨٨ .

ومن تأمل أحوال العالم رأى هذا كثيراً في مَنْ يُعين الرؤساء على أغراضهم الفاسدة، وفي مَنْ يعين أهل البدع على بدعهم، هرباً من عقوبتهم، فمن هداه الله، وألهمه رشده ووقاه شر نفسه، امتنع من الموافقة على فعل المحرم، وصبر على عدوانهم، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، كما كانت للرسول وأتباعهم، كالمهاجرين والأنصار، ومن ابتلى من العلماء والعباد، وصالحى الولاة، والتجار وغيرهم<sup>(١)</sup>.

---

١- زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/ ١٤-١٦.



## المبحث الثاني: الحوار في دعوة موسى -عليه السلام- مع عامة الناس:

### المطلب الأول: جمهور الناس وتأثرهم بالملأ:

المراد بجمهور الناس معظمهم، لأن جمهور كل شيء معظمه وأكثره، والمقصود بمعظم الناس ما عدا (الملأ) وهم عادة قلة وأما ما عداهم فهم أكثرية الناس في أي مجتمع بشري، وهؤلاء الجمهور يكونون عادة رؤوسين للملأ وتابعين لهم، كما يكونون غالباً فقراء وضعفاء ويباشرون مختلف الأعمال والحرف.

والمعروف أن الجمهور أسرع من غيرهم في الاستجابة إلى الحق، فهم أتباع الرسل يصدقونهم ويؤمنون بهم قبل غيرهم<sup>(١)</sup>.

وقد فطن هرقل لهذه الحقيقة حينما قال لأبي سفيان «وسألتك فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن كثير -رحمه الله-:

(ثم الواقع غالباً أن يتبع الحق ضعفاء الناس)<sup>(٣)</sup>

وتعليل سرعة استجابة الجمهور للحق، وقبول الدعوة إلى الله أنهم -كما يقول د. عبدالكريم زيدان- (خالون من موانع القبول الموجودة في الملأ كحب الرياسة والتسلط، والأنفة من الانقياد لغيرهم لكبرهم النفسي، ومن ثم يكونون أسرع في الإجابة للحق والانقياد له من غيرهم)<sup>(٤)</sup>.

والواقع أن الكبر وحب الرياسة والانغماس في الترف ونحو ذلك مما لا ينفك عنه

١- انظر أصول الدعوة ص ٣٩٠.

٢- سبق تخريجه ص ٣٣٩.

٣- تفسير القرآن العظيم ٢/ ٤٤٢.

٤- أصول الدعوة ص ٣٩١.

(الملا) غالباً، يجعل انفكاكهم عن هذه الموانع صعباً ومن ثم تكون قلوبهم في أكنة لا تتأثر بالحق، وعلى عيونهم غشاوة فلا ترى الحق واضحاً جلياً فتندفع إلى معاداته عن جهل وبدافع الحرص على مكانتهم.

ومع أن الجمهور مهياً للاستجابة السريعة أكثر من غيره وأن فرص الإيمان أمامه كثيرة، وأن فطرته سليمة، فإن هناك احتمالاً كبيراً لتأثر الجمهور بمكائد الملا، والسير وراء تضليلهم وأكاذيبهم كما حصل لقوم فرعون فقد تابعوه على باطله وناصروه عليه قال تعالى عنه وعنهم:

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾<sup>(١)</sup> استخف قومه حينما ألقى في روعهم وقال لهم: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾<sup>(٢)</sup>.

واستخف قومه حينما دعاهم إلى الضلالة ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾<sup>(٣)</sup> فاستجابوا له.

ففرعون الطاغية لا يمكن له أن يفعل هذه الفعلة إلا وقد وجد في نفوسهم استعداداً للشئ الذي يعينه على ظلمه ويحسن له جبروته وكبريائه ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، فاستخفاهم وخداعهم واللعب عليهم أمر يسير لأنهم فاسقون لا يستقيمون على طريق، وأما المؤمنون فيصعب خداعهم لتمسكهم بحبل الله المتين.

فالظلم إذا انتشر في الأرض كان سببه ضعف القوم، وعدم مكافحتهم له، فالباغي لا يستمر على بغيه إلا إذا وجد من قومه من يحسن له عمله، ويبرر له بطشه وظلمه.

والظاهر أن فتنة فرعون كانت عظيمة فقد جمع بين الملك والرئاسة والأعوان والأموال، مع فراغ قلوب قومه من العلم النافع فوقعوا في فتنه وأباطيله التي كان يحتج بها في ردّ دعوة

١- الزخرف: ٥٤.

٢- النازعات: ٢٤.

٣- القصص: ٣٨.

٤- الزخرف: ٥٤.

موسى - عليه السلام -: ﴿ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾<sup>(١)</sup>.

قال الزمخشري - رحمه الله - :

( ﴿ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾<sup>(٢)</sup> تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على أمره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه أدنى مسكة من العقل، وذلك أنه ادعى الإلهية وهو بشرٌ مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي إلا من شيطان مارد، ومثله بمعزل عن الألهية ذاتاً وأفعلاً فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته . . بالرغم من أنهم عاينوا الآيات والسلطان المبين في أمر موسى - عليه السلام - وَعَلِمُوا أن معه الرُّشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه إلى اتباع من ليس في أمره رشد قط )<sup>(٣)</sup>.

أسباب تأثر الجمهور بالملأ :

أولاً : الخوف :

يقول د . عبدالكريم زيدان :

( فلا شك في أن الملأ الكافر وبيده القوة والنفوذ والمال يستطيع أن يرهب الجمهور ويخوفهم إن خرجوا عن الكفر الذي هم فيه .

وهذا الخوف يثبط الهمم والعزائم عند أكثر الجمهور طلباً لسلامة أنفسهم من

الأذى )<sup>(٤)</sup> قال تعالى :

﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِم أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾<sup>(٥)</sup>.

١ - ٢٠١ - هود : ٩٧ .

٢ - الكشف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل ٢ / ٢٩١ .

٣ - انظر أصول الدعوة ص ٣٩٣ .

٤ - يونس : ٨٣ .

فالذين أظهروا إيمانهم وانضموا لهم لموسى عليه السلام من بني إسرائيل كانوا فئة قليلة من الفتيان الصغار، وإن هؤلاء الفتيان كان يخشى من فتنهم وردهم عن اتباع موسى - عليه السلام - خوفاً من بطش فرعون وتأثير كبار قومهم ذوي المصالح عند أصحاب السلطان .

يؤكد هذا قوله تعالى في موطن آخر: ﴿فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

قال ابن عطية :

(وقوله ﴿فَمَا آمَنَ﴾ يعطي تقليل المؤمنين به لأنه نفى الإيمان ثم أوجبه للبعض ولو كان الأكثر مؤمناً لأوجب الإيمان أولاً ثم نفاه عن الأقل)<sup>(٢)</sup>.

ثانياً : الإغراء بالمال وحطام الدنيا :

فاللأ - كما ذكر سابقاً<sup>(٣)</sup> - هم كبار القوم وساداتهم وأصحاب الشرف والمال فيهم . فهم يملكون المال والجاه والسلطان من المتاع الزائل ، والذي يخدعون به الجمهور ويغرونهم به إن هم تابعوهم على باطلهم ورضوا بقيادتهم لهم :

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

١ - الصف : ١٤ .

٢ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣ / ١٣٦ .

٣ - انظر المبحث الأول من هذا الفصل ص ٣٣٧ .

٤ - الزخرف : ٥١ .

يقول د. عبدالكريم زيدان :

(إشارة إلى إغراء فرعون للجمهور بما يملكه من مال وأسباب الحياة المادية وأنه يعطيها من يوافقه على باطله أو يهيئ له فرصة الاستفادة منها)<sup>(١)</sup>.

ففرعون لما عجز عن مقاومة موسى -عليه السلام- لقوة حجته ووضوح آياته لجأ إلى إغراء الجمهور بما هو فيه من جاه ومال وهو ما يفتقر إليه موسى -عليه السلام- لاعتقاده أن المال والجاه له تأثير كبير في جذب قلوب عامة الناس .

لذلك جمع أشتات الزائفين من قومه، الذين ألفوا الذلة، وارتضوا عيش الهوان والاستعباد، وأخذ يتفاخر بغوايته مستمسكاً بتكبره وعناده، فلقد بهرهم بما يتقلب فيه من النعم، وبمن يتحكم فيهم من البشر، فمضى يعلن لهم أنه صاحب هذا الملك الواسع وأنه متصرف فيه كما يشاء، فلا ينبغي لأحد أن يتعالى عليه برأي أو أمر. لأن كل من في رعيته ضعيف ذليل فقير إليه .

ألم يروا كيف تجري الأنهار من تحته وهو في ملكه الواسع -كما يزعم- إنه خير من هذا المهين -يعني موسى عليه السلام- الذي لا مال عنده ولا سلطان ولا مُلك . بل لا يستطيع حتى أن يبين للناس ما يريد أن يبلغه لهم عن ربه لأنه عي اللسان<sup>(٢)</sup> .

ثالثاً: إثارة التساؤلات للإيقاع بموسى عليه السلام :

المتتبع لحوار فرعون وملكه مع الرسول الكريم موسى -عليه السلام- يجد أنه اتبع أسلوب إثارة التساؤلات استهزاءً وجحوداً لصرف أنظار الناس عن دعوة الحق .

فمثلاً لما دخل موسى -عليه السلام- على فرعون وأدى مقالته هو وأخوه هارون

١- أصول الدعوة ص ٣٩٤ .

٢- انظر الأنبياء في القرآن ص ٢٠٩ للاستاذ سعد صادق محمد الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ- الناشر: دار اللواء للنشر والتوزيع .

—عليهما السلام— كان فيما قال فرعون لموسى وذكره به، أنه رُبِّيَّ في بيت فرعون وليداً، ولبت فيهم سنين من عمره وهذا يقتضي أن يكون حافظاً للمودة، حريصاً على التباعد من كل ما يغيظ فرعون وآله.

فلا ينغص عليهم حياتهم، بمعتقدٍ غريب عنهم وغير معروف لهم. وهو عبادة غير فرعون وآلهته، بل عليه أن يبادر إلى عبادة فرعون اعترافاً بالجميل له.

ثم ذكره بفعلته التي فعل من قتل الرجل القبطي، وهربه على أثرها فمن كان آثماً إثمه لا يأتي بما هو أعظم منه وهو حملهم على ترك آلهتهم وتقديس فرعون وترك التوجه إليه بالعبادة.

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلَيْدًا وَلَبِثَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ \* وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ \* قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ \* فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ \* وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (١).

لقد كان موسى —عليه السلام— في هذا الحوار والمحااجة مع فرعون شديد الذكاء حاضر البديهة لم يلبث فرعون أن يذكره بالخطأ الذي وقع منه من قتل القبطي حتى جاءه الرد أن تلك الفعلة فعلها وهو ضالٌّ قبل أن يكلف بالرسالة، ثم عقَّب على فرعون حينما ذكره بنعمة التربية بنقمة التعبيد لبني إسرائيل.

لأن سبب تربيته لموسى —عليه السلام— خوف أمه من ذبح الأبناء واستحياء النساء، فكانت نقمة لبني إسرائيل تسبب عنها نعمة لنبي الله موسى —عليه السلام— والشر إذا سبب خيراً لا يُؤجر عليه فاعل الشر، ولا يصح له أن يمتنَّ به (٢).

١- الشعراء: ١٨-٢٢.

٢- دعوة الرسل إلى الله تعالى ص ٢٥٦.

بعد ذلك أخذ فرعون يحاور موسى ويسأله عن رب العالمين الذي بعثه إلى الناس فقال له موسى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

هنا تعجب فرعون من قول موسى -عليه السلام- وقال لمن حوله ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾<sup>(٢)</sup> أسأله عن حقيقة ربه فيذكر لي أفعاله! فعقب موسى -عليه السلام- على ذلك التعجب بقوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾<sup>(٣)</sup>. فهو الذي خلقكم ورباكم بفضله أنتم وآباءكم وما فرعون الذي تتجهون له بالعبادة إلا عبدٌ من عباد الله فهو وأنتم على السواء.

عند ذلك تحرك فرعون الطاغية لأن مقولة موسى -عليه السلام- كانت بمثابة الضربة القاضية التي ستأخذ القوم من فرعون: فلم يكن أمامه بُدٌّ من تشكيك الحضور في سلامة عقله فقال: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾<sup>(٤)</sup> فلم تفت هذه العبارة في عضد موسى -عليه السلام- شيئاً وإنما واصل التعريف برب العالمين فقال: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٥)</sup> وهنا عمّد فرعون إلى البطش ولجأ إلى الوعيد والتهديد لأنه لم يجد أمامه أي حجة يرد بها قول موسى -عليه السلام-: ﴿قَالَ لَنْ اتَّخَذْتُ إِلَهاً غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾<sup>(٦)</sup>.

فقوله: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً﴾<sup>(٧)</sup>، ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٨)</sup>، ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾<sup>(٩)</sup> كل هذه التساؤلات كانت من قبيل التكبر والاستهزاء لصرف أنظار الجمهور عن موسى وعن ما جاء به.

ثم أن فرعون -قبحه الله- من قبيل الصّد والإعراض يعقب تلك الاستفهامات والتساؤلات الماثرة بجملة خبرية ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾<sup>(١٠)</sup> وأخرى

١- الشعراء: ٢٤.

٢- نفس السورة: ٢٥.

٣- نفس السورة: ٢٦.

٤- نفس السورة: ٢٧.

٥- نفس السورة: ٢٨.

٦- نفس السورة: ٢٩.

٧- نفس السورة: ١٨.

٨- نفس السورة: ٢٣.

٩- نفس السورة: ٢٥.

١٠- نفس السورة: ٢٧.

إنشائية: ﴿لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾<sup>(١)</sup>. فهو لم يقف عند تحذير قومه من اتباع موسى -عليه السلام- وتخويفهم من الاستماع له، بل طمع في أن يتخذه موسى عليه السلام إلهاً من دون الله. وهو أسلوب خبيث في تهديد القوم، وحملهم على بقائهم على ما هم عليه من الضلال.

ثم أراد فرعون -في موضع آخر- أن يُحول الحديث لما عَدِمَ الحجة بإثارة سؤال آخر لصرف موسى -عليه السلام- عما جاء لأجله فسأله: عن حال الأجيال السالفة والأمم الخالية؟ فأحال موسى -عليه السلام- ذلك إلى علم الله تعالى الذي استأثر بذلك وحده فعلمها مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ لا يخطئ الله في حكمه ولا ينسى أحداً من عباده في كل زمان ومكان<sup>(٢)</sup>.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ \* قَالَ عَلِمَهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَىٰ<sup>(٣)</sup>.

رابعاً: إثارة الشبهات<sup>(٤)</sup>:

الغالب أن الملا هم الذين يثيرون الشبهات ويزينونها للناس ويشيعونها فيما بينهم ويكررونها على مسامعهم حتى تألفها نفوس البسطاء من عامة الناس، يأخذون في ترددها، ثم تصديقها، ثم تبنيها وكأنها حقائق ثابتة، وعند ذاك يندفعون إلى الدفاع عنها ومخاصمة الحق وأهله من أجلها.

فإثارة الشبهات في وجه الدعوة إلى الله أمر قديم مضت به سنة الله في العباد، وعادة قديمة متوارثة بين أهل الباطل فلا يُستغرب منها.

وهذه الشبهات في جوهرها لا تتغير ولا تتبدل وإنما الذي يتغير فيها الأسلوب والكيفية، قال تعالى مخاطباً نبيه الكريم ﷺ:

١- الشعراء: ٢٩.

٢- انظر تفسير القرآن العظيم ١٥٦/٣.

٣- طه: ٥١-٥٢.

٤- المقصود بالشبهة هنا: ما يثير الشك والارتباك في صدق الداعي وأحقية ما يدعوا إليه فيمنع ذلك من رؤية الحق والاستجابة له أو تأخير هذه الاستجابة وغالباً ترتبط الشبهة بعادة موروثة أو مصلحة قائمة أو رئاسة دنيوية أو حماية جاهلية، فتؤثر الشبهة بسبب هذه الأمور في النفوس الضعيفة بهذه الأشياء وتعلق بها وتحسبها حجة وبرهاناً تدفع به الحق وتخاصم الدعاة إلى الله تعالى. (انظر أصول الدعوة ص ٢٢٦).



﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ﴾<sup>(١)</sup> والذي قيل للرسول الكرام هو الباطل الذي كان في حق الناس شبهات وقال تعالى: ﴿ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ \* اتَّوَصَّوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿<sup>(٢)</sup> فالأقوام قبل مشركي قريش اتهموا الرسول الكرام بالسحر والجنون والشعر والكذب .

وما كان قوم موسى -عليه السلام- أقلَّ منهم شأنًا في ذلك فلقد حاولوا التشكيك في صحة دعواه للرسالة فاختلقوا لأجل ذلك جملة من الشبهات والافتراءات التي تلقى في النفوس الضعيفة ريبة، وتحمل على الاضطراب وعدم التصديق، وكان من أعظم هذه الشبهات دعواهم أن الرسول لا يكون بشراً إلى جانب الطعن في شخصه الكريم بمثل اتهامه بالكذب والسحر والجنون وغير ذلك، غير أن هذه الشبهات لم تكن ذات أهمية كبيرة، لأنها ما تلبث أن تتساقط، بمجرد سماع الحق الذي جاء به موسى عليه السلام أو معرفة حقيقة دعوته عن قرب أو نحو ذلك .

ثم الذين اختلقوا هذه الشبهات كانوا على علم برجاحة عقل موسى -عليه السلام- وبراءته من الافتراء والكذب على الله تعالى، لأنه -عليه السلام- نشأ منذ الصغر بين ظهراني قومه بل وفي قصر طاغية زمانه، فلقد خالطه وعلم حقيقته وسلامته من كل ما يرمى به، ولكنه الوقوف في وجه الدعوة .

#### أنواع الشبهات والأمثلة عليها :

والشبهات التي حرص فرعون وملؤه على إثارتها وترويجها كثيرة، فمنها ما يتعلق بموسى -عليه السلام- ومنها ما يتعلق بموضوع الدعوة الذي جاء به، ومنها ما يتعلق بعموم المدعوين الذين اتبعوه .

فالذي يتعلق بموسى -عليه السلام- يتمثل بالطعن في شخصه وسيرته وسلوكه ورميه بالسحر والجنون والكذب لصد الناس عنه وتنفيرهم منه .

والذي يتعلق بما جاء به موسى -عليه السلام- يتمثل في اتهامه بالابتداع والخروج

١- فصلت: ٤٣ .

٢- الذاريات: ٥٢-٥٣ .

على مألوفات الناس وتقاليدهم ونظامهم الموروث، مما يرد به تغيير الناس من الدعوة إلى الله .  
والذي يتعلق بالمدعويين يتمثل بإظهار الحرص على مصالحهم وملتهم ودين آبائهم مما  
يقصد به إثارة الناس ضد الدعوة إلى الله ومن أمثلة هذه الشبهات :  
أولاً : الطعن بموسى -عليه السلام- وبما جاء به :

فمن شبهاتهم رمي الحق الذي جاء به موسى -عليه السلام- بالسحر كما جاء في  
القرآن حكاية عنهم: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ \* قَالَ مُوسَى  
أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿١﴾ .

فالآية فيها استنكار وتعجب من موسى -عليه السلام- إذ كيف بلغت بهم الوقاحة في  
أن يتجرأوا ويزعموا أن هذا الحق الذي جاء به من ربه هو من قبيل السحر، فالسحر قطعاً لا  
يستهدف هداية الخلق وإصلاحهم، ولا يضمن لهم ملة تجمعهم، وليس له منهاجاً تنظيمياً  
ينظم لهم علاقة الخلق بالخالق، فما يختلط هذا بهذا ولا يلتبس - كما يزعمون - .

ومنها رمي موسى -عليه السلام- الذي جاء بهذا الحق بالسحر والجنون والكذب لصد  
الناس عنه وعن كل ما يأتي به الذي هو في نظرهم من قبيل التخيل والجنون الذي يموه به  
على عقول الجمهور - كما يزعمون - .

ومن هذه الآيات التي ورد فيها رمية -عليه السلام- بتلك الأباطيل قوله تعالى :  
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ \* إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا  
سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ (٢) . ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ

١- يونس: ٧٦-٧٧ .

٢- غافر: ٢٣-٢٤ .

عَلِيمٌ ﴿١﴾ وقوله: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لَتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢﴾  
ومنه: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٣﴾.

وكذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ ﴿٤﴾.

ومن شبهاتهم أيضاً: قولهم إن الرسول الذي أرسل إليهم بشرٌ وما ينبغي لمن كُلف بالرسالة أن يكون كذلك، قال تعالى حكاية عن فرعون وملئه: ﴿فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرِينَ مِثْلَنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ ﴿٥﴾.

قالوا ذلك فيما بينهم بطريق المناصحة أنؤمن لرجلين من البشر مماثلين لنا في البشرية،  
والحال أن قومهما -وهم بنو إسرائيل- خادمون منقادون لنا كالعبيد ﴿٦﴾. وهذه الشبهة هي  
التي أوردها أعداء الرسل -عليهم الصلاة والسلام- من قبل موسى ومن بعده.

ثانياً: التشاؤم بموسى -عليه السلام- وبمن معه

ومن الشبهات التي أثارها آل فرعون دعواهم أن كل ما يصيبهم من بلاء، ومصائب  
فمرجه إلى موسى -عليه السلام- ومن معه، وهي شبهة قد تحمل الإغراء على ترك دعوته  
والابتعاد عنها وعدم تصديقه في كل ما جاء به، لما جبل عليه الإنسان من كراهية البلاء  
وحب السلامة. وهذه الشبهة وردت في القصص القرآني حكاية عن آل فرعون كما جاء في  
قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ \* فَإِذَا جَاءَتْهُمْ  
الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ  
وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧﴾.

١- الأعراف: ١٠٩.

٢- الأعراف: ١٣٢.

٣- الشعراء: ٣٤.

٤- الشعراء: ٢٧.

٥- المؤمنون: ٤٧.

٦- دعوة الرسل إلى الله تعالى ص ٢٥٢.

٧- الأعراف: ١٣٠-١٣١.

### ثالثاً: الإفساد في الأرض وطلب الرئاسة على الناس

فمن شبهاتهم التي يثيرونها أن موسى عليه السلام يريد العلو في الأرض والرياسة على الناس وتغيير عقائدهم وتقاليدهم الموروثة وأن ما جاء به بدعة مضرة ودعوة مفرقة ما سمعوا مثلها من قبل، وأنها تؤدي إلى الفساد في الأرض فيجب أن تقاوم الدعوة وصاحبها.

قال الله تعالى حكاية عن فرعون وملئه: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>.

فهم يزعمون أن موسى -عليه السلام- يريد اكتساب المنزلة العالية فيهم والرياسة عليهم ويبطل تقاليدهم وعاداتهم الموروثة عن آبائهم.

وقال الله تعالى حكاية عنهم ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> فالملأ هنا أثاروا حفيظة فرعون على موسى -عليه السلام- بادعائهم أن موسى يريد الفساد في الأرض فلا يصح تركه يستمر في دعوته، والظاهر أيضاً أنهم أرادوا بما أثاروه من هذه الشبهة التبرير للتنكيل بموسى ومن معه من المؤمنين، وليجدوا تأييداً من أتباعهم الضالين.

لذلك أعلن فرعون قراره بقتل موسى -عليه السلام- خوفاً على الناس من أن يضلهم ويوجههم إلى دين آخر كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ولهذا يقول الناس على سبيل التهكم: (صار فرعون مذكراً)<sup>(٤)</sup>.

١- يونس: ٧٨.

٢- الأعراف: ١٢٧.

٣- غافر: ٢٦.

٤- قصص الأنبياء ص ٤١٩ لابن كثير.

رابعاً: التقليل من شأن موسى -عليه السلام-

ومن شبهاتهم أنهم هم أصحاب المال والجاه والسلطان، ومن كان كذلك فهو أحق من غيره بالرسالة وأفضل منه قال تعالى:

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ \* أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾<sup>(١)</sup>. ففرعون - وكما سبق ذكره<sup>(٢)</sup> - يعتز بملكه وسلطانه وثرائه ومنعته ويوهم الجمهور أنه -وهذه منزلته- أحق بالحق من موسى الذي ليس عنده شيء مما عند فرعون من المال والجاه.

ثم إنه يستنقص قدر موسى -عليه السلام- في أن يكون مكلفاً بالرسالة لأنه لا يكاد يفصح عن مقصده وغرضه ومن كانت هذه حاله فلا يصلح أن يكون رسولاً لأن الرسالة تحتاج إلى الفصاحة والبلاغة وقد نسي فرعون أو تناسى أن الله قد حلَّ عقدة من لسانه حينما سأل ربه كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي \* يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾<sup>(٣)</sup> فجاءته الإجابة: ﴿قَدْ أُوتِيَ سُؤْلُكَ يَا مُوسَى﴾<sup>(٤)</sup>.

هذه الأقوال من فرعون كانت كافية لاستخفافه بقومه وإطاعتهم له ميلاً منهم عن الحق وزيفاً عن طريق الهدى، لأنهم ألفوا الانقياد له حيث شاء وفي كل درجة أراد فأفنوا ذاتهم في ذاته، وأماتوا شخصياتهم في شخصه، وأهدروا آدميتهم ابتغاء الزلفى لديه، وجره ذلك إلى أن حشر الناس من آفاق البلاد قائلاً:

﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾<sup>(٥)</sup> الذي ينبغي أن تخصوه بالعبادة دون إله موسى الذي جاء به على غير معرفة منا.

١- الزخرف: ٥١-٥٢.

٢- انظر المبحث الأول من هذا الفصل ص ٣٤٥.

٣- طه: ٢٧-٢٨.

٤- طه: ٣٦.

٥- النازعات: ٢٤.

فالجمهور مهياً للاستجابة السريعة أكثر من غيره، وأن فرص الإيمان أمامه كثيرة وأن فطرته سليمة، ولكن هناك احتمال كبير لتأثر الجمهور بمكائد الملاءة والسير وراء تضليلهم وأكاذيبهم قال تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

---

١- الزخرف: ٥٤ .

## المطلب الثاني: استجابة المستضعفين وموقف الملأ:

كان المستضعفون هم -في الغالب- أول من يأوي إلى دين الله سبحانه، ويستجيب له، ذلك أن فطرتهم ما تزال سليمة، لم يفسدها البطرُ والترف، ولم يلوثها حب الجاه والانغماس في اللهو، ولم تعقها المصالح والمظاهر عن الاستجابة، ولم تكتنفهم المخاوف -إذا ما خضعوا لدين الله- من ضياع جاه أو فقدان سلطان. بل إنهم يجدون عند دخولهم في دين الله سبحانه، الملجأ والمأوى من جبروت أصحاب السلطان وأرباب المصالح الذين أقاموا مصالحهم على تسخير المستضعفين واستعبادهم بإخضاعهم للوثنيات والأشخاص، وتضليلهم وسلب حريتهم.

وفي قصة موسى -عليه السلام- وحواره مع قومه، يذكر الله عز وجل ما كان عليه حال بني إسرائيل تحت جبروت فرعون من القهر والظلم والإذلال، يقول الله سبحانه حكاية عن فرعون:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ \* وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ \* وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فالله عز وجل أراد لبني إسرائيل العزة والتمكين في الأرض حينما أرسل موسى عليه السلام لتخليصهم من بطش فرعون وحماية حقوقهم الإنسانية قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ \* حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾<sup>(٢)</sup>.

١- القصص: ٤-٦.

٢- الأعراف: ١٠٤-١٠٥.

ويقول تعالى: ﴿فَأْتِيَٰ فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* أَن أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَٰئِيلَ﴾ (١). وقوله: ﴿فَأْتِيَٰهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَٰئِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلٰى مَن اتَّبَعَ الْهُدٰى﴾ (٢).

ولما كانت المقاييس عند الملأ، بعيدة عن المقاييس الربانية إذ لا يقيسون الناس إلا بالجاه والمال والسلطان كما جاء في حوار فرعون مع قومه:

﴿وَنَادٰى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٣).

فإنهم كانوا يزدرون المؤمنين ويحتقرونهم ولا يقيمون لهم وزنا لما منحهم الله عز وجل من الإيمان واتباع الحق والتحلي بالفضائل وعمل البر والخير: ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ (٤).

فيقولون كيف نؤمن لما جاء به موسى وهارون -عليهما السلام- وقومهما على ما هم عليه من الضعة والفقر والمهانة، مسخرون لخدمتنا والقيام على شئوننا ولهذا فإن استجابة

---

١- الشعراء: ١٦-١٧.

٢- طه: ٤٧.

٣- الزخرف: ٥١.

٤- المؤمنون: ٤٧.



المستضعفين لدين الله يكون لها رد فعل عند الملأ في كل زمان ومكان .

فهم ينظرون أولاً إلى هذا الدين بعين الاحتقار والازدراء، ولسان حالهم يقول : كيف ندينُ بدينٍ اتبعه اراذل الناس ؟ وكيف نسوي أنفسنا بضعفاء القوم .

يقول ابن القيم —رحمه الله— :

(ولذلك كان فقراء المؤمنين وضعفاؤهم من أتباع الرسل، فتنةٌ لأغنيائهم ورؤسائهم، امتنعوا عن الإيمان بعد معرفتهم صدق الرسل وقالوا: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾<sup>(٢)</sup> فإذا رأى الشريف المسكين الذليل قد سبقه إلى الإيمان ومتابعة الرسول حمي<sup>(٣)</sup> وأنف أن يسلم فيكون مثله وقال: أُسْلِمَ فأكون أنا وهذا الوضع على حدٍ سواء؟ ... )<sup>(٤)</sup> .

ثم هم ينظرون ثانياً لهؤلاء المستجيبين لها على قلتهم فيعلنون الحرب بكافة فنونها عليهم حتى يردوهم عن دينهم، ويفتنوهم فيه . ولكن الله —عز وجل— قد جعل العزة والعلو، والنصر والتمكين لأوليائه قال الله تعالى :

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾<sup>(٥)</sup> .

١- الأحقاف : ١١ .

٢- الأنعام : ٥٣ .

٣- حمي : أخذته الحمية : وهي الأنفة، وأشار في اللسان إلى حديث معقل بن يسار فحمي من ذلك آنفاً أي أخذته الحمية . ( انظر لسان العرب : ١٨ / ٢١٦ فصل الحاء حرف الواو والياء ) .

٤- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ١٦١ / ٢ - ١٦٢ .

٥- الأعراف : ١٣٧ .

فالمُتأمل لمواقف الملائ من قوم موسى -عليه السلام- لهؤلاء المستجيبين للدعوة يجد أنهم قد تفننوا في شتى وسائل التعذيب والتنكيل من أجل صدهم عن هذا الدين، ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون، فلقد تجلت قوة الإيمان والثبات عليه والصمود أمام الحق بالرغم مما واجهوه من التعذيب والتنكيل .

ومن هذه المواقف :

ما حكاه الله سبحانه وتعالى عن السحرة من قوم فرعون الذين دفعهم لمغالبة موسى -عليه السلام- وأعطاهم الوعود إذا هم غلبوا موسى بسحرهم .

فلما رأوا آية العصا وعلموا أنها خارجة عن دائرة السحر الذي كانوا من أربابه، وأن ما فعلته العصا إنما هو بأمر الله -عز وجل- الذي أرسل موسى -عليه السلام- أعلنوا إيمانهم بالله رب العالمين في صراحة وشجاعة وثبات، وهال هذا الأمر فرعون وأُسْقِطَ في يده، واعتبرها مؤامرة مدبرة في الخفاء ضده<sup>(١)</sup>، ورفض أن يصدق أن القضية قضية إيمان صادق ينبعث من مقاومتهم للحجة الواضحة والبرهان القوي، الذي لا يتزلزل ولا ينهار ولا يتراجع أمام كل أساليب التهويل والتهديد . وكان هذا الموقف من أسمى المواقف التي تجسد الثبات على العقيدة أمام قوى الكفر والطغيان<sup>(٢)</sup> .

ولنقف وقفة تأمل، مع هذه الآيات الكريمات التي تُجسّد لنا الصورة من خلال حوار السحرة مع فرعون، منذ بداية الاستجابة لندائه بدافع الرغبة في المنفعة والقرب منه، إلى نهاية الموقف الذي انتهى بالاستجابة لنداء موسى -عليه السلام- والإيمان بالله عز وجل :

١- انظر تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٩ .

٢- انظر فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ٣/ ٣٧٥-٣٧٦ .

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ \* قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ \* قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ \* قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ \* وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ \* فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* فَغُلِبُوا هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ \* وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ \* قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ \* رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ \* قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لَتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ \* لَأُقَطْعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ \* قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ \* وَمَا نَسْتَعِظُ مِنْهُ إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنا مُسْلِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

ففرعون ينكر عليهم أن يؤمنوا قبل أن يأذن لهم، كأن عملية الإيمان تحتاج إلى الإذن الفرعوني، كما يحتاج إليها أي عمل آخر يتعلق بالشؤون الدنيوية.

ثم نجده يحاول أن يخفف عن نفسه وقع الصدمة، وخرج الموقف، لأن ما حدث يشكل نقطة ضعف في سلطانه، باعتبار أن الذين آمنوا هم من أتباعه المقربين فيحاول أن يوهم نفسه والآخرين أن القضية منذ البداية لم تكن تمرداً عميقاً تصدر عن قناعة بالدعوة الجديدة بل كانت مؤامرة سابقة مدبرة بين موسى -عليه السلام- وبين هؤلاء السحرة باعتباره أستاذهم الكبير الذي علمهم السحر<sup>(٢)</sup>.

ولكن تهديده وتمويهه لم يفلح في جعلهم يتراجعون عن موقفهم، بل وقفوا موقف عدم المبالاة من كلامه وقالوا له بكل قوة: لن نؤثر على ما شاهدناه من البينات فافعل ما تريد من التعذيب والتقتيل.

١- الأعراف: ١١٣-١٢٦.

٢- انظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٤/ ٤٧٣ تأليف الشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي طبع وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤٠٣ هـ.

وهذا هو شأن الحق إذا تمكن من القلوب فإنها تستمسك به فيهبون عليها أن تتحمل كل محنة وبلاء في سبيله .

فثبات السحرة أمام تهديد فرعون يعدُّ نموذجاً عظيماً للإيمان الصادق أمام الكفر الطاغى في أروع صورة للصراع الدامي بين قوى الكفر والطغيان وبين قوى الحق والإيمان . ذلك أن أصحاب الباطل كانوا يودُّون بفتنتهم المؤمنين أن يردُّوهم عن دينهم، ويغيظهم أن يثبت أهل الحق على ما هم عليه، وأن يصبح الموت عندهم هيناً في سبيله .

إذ البلاء الذي ينزله الكفار بالمؤمنين لم يكن مقصوداً لذاته، وإنما كان الغرض منه ارتداد المسلمين عن دينهم، فإذا لم ينل الكفار ما يريدون كانت هزيمة لهم وخيبة .

أما عن الموقف الآخر في هذا الجانب فإن فرعون لما رأى غلبة موسى -عليه السلام- بإيمان السحرة الذي استنصر بهم في ذلك اليوم المشهود لم يزد ذلك الإيمان إلا كفراً وعناداً وبعداً عن الحق وأهله .

كما أنه لم يزد ملأه إلا تحريضاً على أن لا يترك موسى وقومه يعبدون الله وحده ويتركون عبادة فرعون وآلهته وهذا فساد في الأرض -بزعمهم- ما بعده فساد :

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنَقْتُلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ \* قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ \* قَالُوا أَوَإِذَا نُسِيتُ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمَنْ بَعْدَ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

طمأنهم فرعون بأنه سيحول بين موسى -عليه السلام- وبين الشعب عن طريق إبادته، وذلك بأن يقتل أبناء المؤمنين، ويستبقي نساءهم للخدمة والمتعة، وهذا فيه ما فيه من الإذلال

١- الأعراف: ١٢٧-١٢٩ .

والمهانة لهذا الشعب المضطهد<sup>(١)</sup>. فلما رأى بنو إسرائيل ذلك قالوا لموسى كما جاء في القرآن الكريم عنهم ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ضجوا بالشكوى إليه مما أصابهم من الظلم فأوصاهم موسى -عليه السلام- بالصبر على هذا البلاء النازل والاستعانة بالله على احتماله، ووعدهم بحسن العاقبة إن اتقوا، فلم يخفف ذلك من مصيبتهم بل قالوا له: أُوذِينَا قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَنَا بِرِسَالَتِكَ كَمَا أُوذِينَا بَعْدَ مَجِئِكَ لَنَا بِهِذِهِ الرِّسَالَةِ، فَقَالَ لَهُمْ مُوَسَّى: لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَجْعَلَ لَكُمْ خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ الَّتِي وَعَدْتُمْ بِهَا، لِيرِي بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَصْدُرُ مِنْكُمْ مِنْ عَمَلٍ سَيِّئٍ أَوْ حَسَنٍ فَيَجَازِيَكُمْ عَلَيْهِ<sup>(٣)</sup>.

ومن هنا يمكننا القول أن غالب من يسبق إلى الدخول في دين الله هم المستضعفون من الفقراء والموالي فهم أتباع الرسل في كل زمان ومكان، وهم أنصار كل داعٍ إلى الحق. ولقد أشار هرقل في حديثه مع أبي سفيان إلى هذه السنّة الربانية بقوله: «وسألتك فأشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم»<sup>(٤)</sup>.

وإن الكبراء والمترفين وجدوا في ذلك مغمراً للطعن في هذا الدين حيث يقولون: إننا بمالنا من مكانة وجاه وسلطان ومال لا يخفى علينا الخير، ولو كان ما اهتدى إليه المستضعفون حقاً وخيراً ما خفي علينا، ولما التبس علينا أمره ولكنّا أولى بالسبق إليه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾<sup>(٥)</sup>.

فقوة الدعوة ليست - كما يظن الناس - في أن يستجيب لها الأشراف ثم الدهماء

١- انظر تفسير القرآن العظيم ٤ / ٧٧.

٢- الأعراف: ١٢٩.

٣- اليهود في القرآن (تحليل علمي لنصوص القرآن في اليهود على ضوء الأحداث المعاصرة) ص ٢٠٦ تأليف عفيف عبدالفتاح طباره الطبعة الأولى ١٩٨٦م، الناشر: دار العلم للملايين.

٤- سبق تخريجه ص ٣٣٩.

٥- الأحقاف: ١١.

الذين يتبعونهم، فالأشراف قد ربطوا حياتهم بمصالح مادية، وقد يزعمون أن الدخول في دين الله مغنم عاجل في هذه الدنيا، وأنهم سيظلون متبوعين داخل هذا الدين الذي يستجيبون له كما كانوا خارجه، وأنهم سيحققون به أطماعاً.

كما أن الذين يدخلون في الدين تبعاً لهم لا يحملهم -غالباً- على الدخول فيه الاقتناع به والتجرد له، والانخلاع من اتباع الأشخاص، إلى كمال الطاعة لله وحده، وهؤلاء جميعاً لا يقوى بمثلهم الدين ولا تعضد بمثلهم الدعوة، إنما تقوى بمن اتجهت قلوبهم إلى الله خالصه، لا تبتغي مالا، ولا متاعاً ولا جاهاً، إنما تبتغي وجه الله وترجو رضاه، تقوى بهؤلاء الذين أيقنوا صدق ما دُعوا إليه وخالط الإيمان بشاشة قلوبهم ووهبوا أنفسهم لها رخيصة<sup>(١)</sup>.

---

١- انظر معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم ٧٢٤/٢ .

## الفصل الرابع

## **الفصل الرابع**

**موانع الاستفادة من الحوار في دعوة موسى -عليه السلام-  
وسبل التغلب عليها**

ويحتوي على مبحثين :

المبحث الأول : موانع الاستفادة من الحوار في دعوة موسى عليه السلام .

المبحث الثاني : سبل التغلب على موانع الاستفادة من الحوار في دعوة موسى عليه السلام .



## المبحث الأول: موانع الاستفادة من الحوار في دعوة موسى عليه السلام

نصهيد:

إن المتأمل للقرآن الكريم يلاحظ كثرة القصص القرآني حول تكذيب الأمم لرسول الله حيث ذكر القرآن الكريم خمسة وعشرين مجتمعاً إنسانياً<sup>(١)</sup> دعتهم رسلهم بكل ما أوتوا من قوة في البرهان وتأييد من الله بالمعجزات الحسية والعقلية، ومع كل هذا نجد أن عدد المؤمنين قليل، بل إن ما ذكره القرآن من عدد الأنبياء والرسل على سبيل الإجمال أكثر من ذلك بكثير: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةٌ رُسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. فأخبر الله عن هؤلاء الأمم أنهم تطابقوا على تكذيب رسلهم وأنه عمهم بالهلاك<sup>(٣)</sup> قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ \* أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، ومعلوم قطعاً أن الله لم يهلك هذه الأمم الكثيرة إلا بعد ما تبين لهم الهدى فاختاروا عليه الكفر ولو لم يتبين لهم الهدى لم يهلكهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

تُرى ما الدافع الحقيقي لهذا الإنكار؟ أو ما المانع الحقيقي للإعراض عن الحق؟ تلك قضية يذهب الناس في تحليلها مذاهب شتى، وهم في حكمهم عليها ربما كان كثير منهم يقف عند الأسباب الظاهرة دون النفاذ إلى ما وراءها، فربما أعادوا ذلك إلى عدم ملاءمة الظرف للدعوة، أو عدم كفايته عند الداعي، أو عدم ملاءمة وسيلة الدعوة، أو قصور عند المتلقي.. أو غير ذلك من معوقات الدعوة والاتصال بالآخرين من العوارض الذاتية أو الخارجية<sup>(٦)</sup>.

١- انظر فصول في الدعوة والثقافة الإسلامية ص ١٤٨ تأليف: د. حسن عيسى عبدالطاهر الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ الناشر: دار القلم - الكويت.

٢- المؤمنون: ٤٤.

٣- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٣٦، تأليف محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: عصام فارس الخرساني، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ، الناشر: المكتبة الثقافية، بيروت - لبنان.

٤- الذاريات: ٥٢-٥٣.

٥- القصص: ٥٩.

٦- انظر أصول الإعلام الإسلامي وأسس، ص ٥٤. تأليف: د. سيد محمد الساداتي الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ الناشر: دار عالم الكتب.

وما دامت الرسالة من الله، والرسول مصطفى من عنده، فإنهما لا يمكن أن يكونا سبباً من أسباب الإعراض والامتناع، فلم يبق إذاً إلا المدعو.

فهذه الفئات البشرية التي اجتمعت على تكذيب الرسل -عليهم السلام- لم يمنعها من قبول الحق عدم موضوعية الرسالة ولا قصور في الرسول أو شك فيه لأن الأمر لو كان كذلك لكان في قدرتهم إزالة كل شبهة وشك بالبحث والتأمل والنظر في دلائل صدقهم -عليهم السلام-.

ولكن المانع في الحقيقة يعود إلى أسباب خارجة عن ذلك تماماً كالكبر والخوف من ضياع مراكزهم الاجتماعية، ومنافعهم المادية واعتزازهم بما كان عليه آباؤهم من عادات وتقاليد، فلقد كان الهوى هو الغالب على نفوسهم والمستحكم على عقولهم حتى أملى عليهم العناد والإعراض، واختلاق المعاذير الباطلة والادعاءات على الحق وأهله.

وما يزال الحق فيه عيوب -ماداموا لم يعتنقوه- فهم في نظر أنفسهم معصومون مقدسون لا يخطئون ولا يخطئهم إدراك الخير: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَمَسَّ قُلُوبَهُمْ هَذَا يَفْكَ قَدِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>

قال ابن القيم -رحمه الله-:

(والأسباب المانعة من قبول الحق كثيرة منها: الجهل به، فإن من جهل شيئاً عاداه وعادى أهله، فإن أضيف إلى هذا السبب بغض من أمره بالحق، ومعاداته له، وحسده كان المانع من القبول أقوى، فإن أضيف إلى ذلك ألقه وعاداته ومرباه على ما كان عليه آباؤه، ومن يحبه ويعظمه قوي المانع، فإن أضيف إلى ذلك توهمه أن الحق الذي دعى إليه يحول بينه وبين جاهه وعزته وشهوته وأغراضه، قوي المانع من القبول جداً، فإن انضاف إلى ذلك خوفه من أصحابه وعشيرته وقومه على نفسه وماله وجاهه... ازداد المانع من قبول الحق قوة)<sup>(٢)</sup>.

١- الأحقاف: ١١

٢- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٣٩.

وبالتأمل في قصة موسى -عليه السلام- في القرآن الكريم وما جرى له مع فرعون وقومه من حوار يتبين أسباب مخاصمة الملائكة للدعوة وعداوتهم لها ورفضهم الاستفادة من دعوة موسى -عليه السلام-. ومن أهم هذه الأسباب :

الكبر الذي تغلغل في نفوسهم .

وحبهم الرياسة والجاه .

والجهالات التي حسبوها براهين وأمور يقينية .

إلى غير ذلك من الموانع التي سأحدث عنها بشيء من التفصيل في هذا الفصل بمشيئة الله تعالى .

## المطلب الأول: الكبر

الكبر خلق ذميم وآفة عظيمة مستقرة في النفس، وتظهر آثاره في الخارج بأشكال مختلفة ومواقف متعددة، ومن آثاره عدم رؤية الحق في غالب الأحيان، أو رؤيته ولكن الكبر يمنع من الاعتراف به والانقياد له كما يمنع الاعتراف بالفضل لأولي الفضل ويمنع المتكبر من الرؤية الصحيحة لقدر نفسه فيراها فوق أقدار الناس فيستكف أن يكون معهم أو تابعاً لأحد منهم<sup>(١)</sup>.

فالغالب في من أعرضوا عن الحق كبراً أنهم أهل رياسات في قومهم، إما في دنيا أو دين أو كليهما، وقل أن يخلو المتكبر من ذلك ولذا كان كبرُ الفقير مستنكراً، لضعف داعيته عنده، قال النووي -رحمه الله- نقلاً عن القاضي عياض في شرحه لحديث «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم -وذكر منهم- العائل المستكبر»<sup>(٢)</sup>، ( ... ) وكذلك العائل الفقير قد عدم المال وإنما سبب الفخر والخيلاء والتكبر والارتفاع على القراء الثروة في الدنيا لكونه ظاهراً فيها وحاجات أهلها إليه فإذا لم يكن عنده أسبابها فلماذا يستكبر ويحتقر غيره؟<sup>(٣)</sup>.

ولذا تجد بعض الكفار أتوا من هذه الجهة، أي كونهم أعلى في الدنيا غرهم ذلك فحسبوا أنهم أولى بالخير في كل شأن لذا قالوا للمستضعفين من المؤمنين: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾<sup>(٤)</sup> ولا يعني هذا أنهم يعذرون بذلك، ولكن الغرض الإشارة إلى الأسباب التي يهلك الناس تحت أقدامها.

ولقد أسهب أهل اللغة في تعريف الكبر فقالوا إِنَّ الكبر نقيض الصغر ويدل على العظمة، والملك والرفعة، والشرف، والتعجب، وما اعتبر فيه المنزلة<sup>(٥)</sup>. وزادوا المعنى وضوحاً

١- أصول الدعوة ص ٣٨٢.

٢- أخرجه الإمام مسلم كتاب الإيمان باب بيان غلط تحريم إسبال الإزار ١/١٠٢-١٠٣ رقم (١٠٧).

٣- صحيح مسلم بشرح النووي (١١٧/٢).

٤- الأحقاف: ١١.

٥- انظر لسان العرب ٦/٤٣٩ (فصل القاف والكاف حرف الراء).

وعمقاً في دافع الكبر فاقتبسوا من القرآن معاني أخرى منها:

ما جاء في لسان العرب أن استكبار الكفار: أن لا يقولوا لا إله إلا الله<sup>(١)</sup>، وهذا من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهذا -لعمركم الله- عمدة هذا البحث ومحوره، فهذا المخلوق الضعيف يأبى أن يذعن ويستسلم لأمر مولاه الكبير المتعال.

وبين رسول الله ﷺ الكبر في الاصطلاح فقال: «الكبر: بطن الحق وغمط الناس»<sup>(٣)</sup>.

فالاستكبار هو الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبراً<sup>(٤)</sup>.

ويعرفه الجاحظ<sup>(٥)</sup> فيقول: (هو استعظام الإنسان نفسه واستحسان ما فيه من الفضائل والاستهانة بالناس واستصغارهم أو الترفع على من يجب التواضع له)<sup>(٦)</sup>.

فالكبر داء نفسي، وخلق طارئ ليس مركزاً في الإنسان -كما يظن البعض- بل هو داء مكتسب، فلا يتصور عاقل أن الإنسان يولد متكبراً، بل هو دافع نفسي بنص القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا﴾<sup>(٧)</sup>. فإذا تغلغل في النفس وتمكن من الإنسان أورده والعياذ بالله المهالك يقول الله عز وجل ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارًا﴾<sup>(٨)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

(فأولئك المستكبرون المتبعون أهواءهم مصروفون عن آيات الله لا يعلمون ولا

١- لسان العرب ٦/ ٤٤٠ فصل الكاف حرف الباء.

٢- الصافات: ٣٥.

٣- أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيان ١/ ٩٣ رقم ٩١.

٤- صحيح مسلم بشرح النووي ٢/ ٨٩ كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيان.

٥- هو أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني الليثي المعروف بالجاحظ المصنف حسن الكلام، بديع التصانيف ولد سنة ١٦٣ هـ وهو من أهل البصرة، وأحد شيوخ المعتزلة سمي بالجاحظ لحوظ عينيه، من تصانيفه كتاب «الحيوان» وكتاب «البيان والتبيين» توفي سنة ٢٥٥ هـ بالبصرة (انظر تاريخ بغداد ١٢/ ٢١٢-٢٢٠ وانظر وفيات الأعيان وأنبياء أبناء الزمان ٣/ ٤٧٠-٤٧٥).

٦- تهذيب الأخلاق تأليف: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ قرأه وعلق عليه: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - الناشر: دار الصحابة للتراث.

٧- الفرقان: ٢١.

٨- غافر: ٣٥.

يفهمون، لما تركوا العمل، بما علموه استكباراً واتباعاً لأهوائهم عوقبوا بأن منعوا الفهم والعلم، فإن العلم حرب للمتعالى، كما أن السيل حرب للمكان العالى<sup>(١)</sup>.

ولعله من المناسب هنا التعرف على الأسباب التي أحدثت هذا الدافع وأصلته في نفس فرعون وملئه حتى تغلغل في أعماقهم:

أولاً: أسباب الكبر:

١: الغرور:

الغرور دافع قوي للكفر والتعدي على حقوقه - جل وعلا-، فهو يُدخل النفس حتى يُخيل للمغرور أنه لا مثيل له ولا قادر عليه فيتعدى به إلى أن يقيس أقيسة باطلة فيزن الآخرة بالدنيا: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾<sup>(٢)</sup> فاعتقدوا أن بسط الرزق لهم دليل على محبة الله تعالى واعتنائه بهم<sup>(٣)</sup>، والله تعالى يعطي المال لمن يحب ولن لا يحب ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾<sup>(٤)</sup>، ولكنه الغرور الخادع الذي طمس بصائرهم، وركض بهم خلف تمنيات مبنية على أقيسة باطلة حتى خاضوا فيما لا طاقة لهم به، فمن يبلغ به الغرور هذا المبلغ يصعب إرشاده ودلالته، ولذا قيل: إذا لم تكن المخالفة عن غرور فالإصلاح منها يكون مرجواً، أما المغرور فلا يترقب منه إقلاع.

فهذا فرعون -الطاغية- يُعْجَبُ بنفسه من جهة استعظامه إياها ورؤية قدرها فوق غيره فيغتر لسعة ملكه وسلطانه ويقول كما جاء في القرآن على لسانه: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾<sup>(٥)</sup> فهذا المغرور نقل قومه بمكره من الحقيقة إلى الصورة، ومن مقام الاستدلال والمحنة إلى السفسطة، فقد بادر في التلبيس عليهم لئلا يستقيم الفكر ويتجلى النور فأركسهم إلى الظلمات التي كانوا فيها غافلين، لأنه عرف تهيأهم للاستجابة لموسى عليه السلام<sup>(٦)</sup>.

١- مجموع الفتاوى ٦٢٦/٧.

٢- سبأ: ٣٥.

٣- انظر تفسير القرآن العظيم ٨٦/٣.

٤- سبأ: ٣٦.

٥- الزخرف: ٥١.

٦- انظر التحرير والتنوير ٢٥/٢٣١-٢٣٣.

كما أن الله عز وجل قد يتفضل بالنعمة على أصناف من البشر فيغترون بها، فإذا ذكروا بالنعم ووجوب شكره والاعتراف بفضله أركسهم غرورهم فنسبوا النعمة إليهم وأنها من جهدهم وعلمهم .

وقصة قارون دليل يؤكد هذا - كما سبق ذكره<sup>(١)</sup> - حيث نصحه العارفون من قومه قائلين: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ \* وَابْتَغْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(٢)</sup> . فرد عليهم بقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾<sup>(٣)</sup> أي إن الله أعطاني هذا المال لعلمه أنني استحقته لمحبتة لي<sup>(٤)</sup> .

فهذه مقولة المغرور المطموس الذي ينسى مصدر النعمة وحكمتها ويفتنه المال ويعميه الثراء وهو نموذج مكرور في البشرية فكم من الناس يظن أن علمه وكده وحدهما سبب لحصول النعمة التي هو فيها .

## ٢ - التعالي عن الخضوع للدعوة:

وهو متولد عن سابقه، فمن أعجب بما وهبه الله له من علم أو مال أو غيره، ولم يرع حق الله في ذلك، فإنه يتمرد على الحق ويتكبر عليه .

وبيلغ هذا التعالي أقصى مداه إلى التمرد على طاعة الله ثم يأتي تبعاً له الشعور النفسي الجاهل باستغناء المتكبر بذاته، ومتى عظم هذا الشعور واستولى على جوانب النفس تولد عنه في سلوك المتكبر الطغيان ويدل على ذلك قوله تعالى عن فرعون:

﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ \* فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾<sup>(٥)</sup> . ففرعون طغى وتجبر بما لديه من المال والملك والرياسة مما جعله يتصور أنه لا أحد يستحق المتابعة إلا هو .

فكيف يخضع لموسى - عليه السلام - ولما جاء به وهو أقل منه شأنًا كما أن أتباعه هم ضعفاء القوم الذين كُلفوا بخدمته وقومه وعن ذلك يقول الله عز وجل:

١ - انظر المبحث الأول من الفصل الثالث ص ٣٤٦ - ٣٤٧ .

٢ - القصص: ٧٦-٧٧ .

٣ - القصص: ٧٨ .

٤ - تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٦٣ .

٥ - طه: ٤٣-٤٤ .

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ \* إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ \* فَقَالُوا أَنْزِلْ مِنَّا لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾<sup>(١)</sup> .

استكبر هو وقومه عن اتباع الحق وجاءوا بهذه الجهالات تبريراً لكفرهم الأمر الذي دفعه إلى إدعاء الألوهية والربوبية كما جاء في قوله تعالى ﴿مَا عَلَّمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾<sup>(٣)</sup> .

### ٣- الحقد

وهو إمساك العداوة في القلب والتربص لفرصتها، وهذه العداوة لا حد لها في قلب الحاقد إلا إخفاء المحمود وإلغاؤه من الوجود<sup>(٤)</sup> .

ففرعون لما أجمته الحجة عن مقارعة الدعوة لجأ إلى إظهار ما يكنه في نفسه، وذلك بأن هدد موسى -عليه السلام- بالسجن والقتل كما جاء في قوله تعالى:

﴿لئن اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾<sup>(٥)</sup> . وقوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾<sup>(٦)</sup> . وقوله: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾<sup>(٧)</sup> .

ويرى الغزالي أن هذا الحقد يورث كبراً بلا عجب يسبقه فهو يتكبر على من يرى أنه مثله أو فوقه، ولكن عاداه بسبب سبق منه، فأورثه الغضب حقداً ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه أن يتواضع له، وإن كان مستحقاً لذلك، فينتج عن ذلك رد الحق ودفعه إذا جاء من جهته، كما يحمله على الأنفة من قبول نصحه، بل ويجتهد في التقدم عليه<sup>(٨)</sup> .

فالحقد سبب مباشر لحدوث الكبر ثم التكبر على دعاة الحق، ومن تكبر عليهم فقد تكبر على الحق الذي معهم .

١- المؤمنون ٤٥-٤٧ .

٢- القصص: ٣٨ .

٣- النازعات: ٢٤ .

٤- انظر الأخلاق الإسلامية وأسسها ١/ ٣٢٢ .

٥- الشعراء: ٢٩ .

٦- غافر: ٢٦ .

٧- الأعراف: ١٢٧ .

٨- انظر إحياء علوم الدين ٣/ ٣٣٠ .



لأن المتكبر يرى نفسه غير محتاج لغيره وأن غيره محتاج إليه، حيث لا وازع يزعه من دين أو تفكير سليم فيتكبر على الناس بشعوره بأنه لا يخاف من بأسهم لانتفاء دواعي التكبر فيهم وتوفرها فيه<sup>(١)</sup>.

ثانياً: دواعي الكبر في نفس فرعون وملئه:

#### ١- التعصب للمعتقد:

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾<sup>(٢)</sup>، فرعون وقومه أنكروا نبوة موسى -عليه السلام- مع أن نفوسهم أيقنت بها.

يقول ابن كثير -رحمه الله-: (جحَدوها وعاندوها وكابروها)<sup>(٣)</sup>، فالحجة مهما تكن ناهضة والشبهة مهما تكن داحضة، فإن ذلك لا يستلزم الإيمان بما قامت عليه الحجة وانحسرت عنه غمة الشبهة إلا في حق من كان مستعداً له، وزالت موانع الكبر والعناد أو التقليد عنه<sup>(٤)</sup>.

ولقد كان الحامل لهم على الإنكار ظلمهم وتكبرهم على موسى -عليه السلام- وتعصبهم لما كانوا عليه مما ورثوه من آبائهم وأسلافهم، هذا التعصب الذي دفع فرعون -قبحه الله- للتفكير في قتل موسى -عليه السلام- خشية أن يبدل ما تعارفوا عليه ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾<sup>(٥)</sup>، إنه منطق واحد، يتكرر كلما التقى الحق والباطل، والإيمان والكفر، والصلاح والطغيان على توالي الزمان واختلاف المكان.

وأما موسى -عليه السلام- فلم يكن منه لما سمع مقولة فرعون إلا أن التجأ إلى الحصن الحصين وقال: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾<sup>(٦)</sup>، فسلم أمره إلى المستعلي على كل متكبر، القاهر لكل متجبر لا يؤمن بيوم الحساب لأنه لا يتكبر متكبر وهو يؤمن بيوم الحساب إذ كيف يُتصور موقفه حاسراً خاشعاً يومئذ مجرداً من كل

١- انظر التحرير والتنوير ٣/ ٤٤٤-٤٤٥.

٢- النمل: ١٤.

٣- تفسير القرآن العظيم ٣/ ٥٧٢.

٤- انظر تفسير المنار ٧/ ٣١٠.

٥- غافر: ٢٦.

٦- غافر: ٢٧.

قوة، ما له من حميم ولا شفيع يطاع.

فإنكار فرعون وملئه للحق الذي جاءهم به موسى -عليه السلام- واستكبارهم عن التسليم له لم يكن إلا بدافع التعصب لما اعتقدوه قديماً في نفوسهم فهو المعتبر -في نظرهم- وإن كان منحرفاً عن الطريق المستقيم.

وآراء هؤلاء المتكبرين في هذا المعتقد هي المعتبرة -أيضاً- وإن كانت منحرفة وينقصها الحكمة وعلى غيرهم أن يتبعهم بلا مراجعة.

يقول الحق تبارك وتعالى على لسان فرعون:

﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾<sup>(١)</sup>، أي ما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصدق والرشاد<sup>(٢)</sup> بلا شك ولا جدال وهل يرى الطغاة الرشد والخير والصواب؟!

فالتعصب خُلَّةٌ تأبى على صاحبها أن يسمع إلى قول أو ينصاع إلى دعوة أو يتنازل إلى متابعة إنسان ترفعاً عن الإصغاء قبل أن يهديه إصغاءه إلى موافقة أو إنكار.

---

١- غافر: ٢٩.

٢- تفسير القرآن العظيم ٤/ ١١٨.

## ٢- التكبر بالحسب والنسب<sup>(١)</sup>:

وقد يكون السبب في التكبر، عراقة النسب أو شرف الأصل، ذلك أن فرعون سليل بيت عريق النسب، الأمر الذي يحمله على استحسان نفسه، وما يصدر عنها ناسياً أو متناسياً، أن النسب أو الأصل لا يقدم أو يؤخر، بل المعول عليه إنما هو العمل الصالح المقرون بالجهد يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فعرافة النسب وشرف الأصل يُفضي إلى الإعجاب بالنفس الذي هو سبب من أسباب التكبر يقول الله عز وجل على لسان فرعون: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾<sup>(٣)</sup> ويقول في موضع آخر من القرآن: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾<sup>(٤)</sup> فالذي حمله على هذا الإدعاء ما يراه في نفسه من أمورٍ توجب له الأهلية.

كما أن اليهود كانوا يفخرون بحسبهم ويزعمون أنهم شعب الله المختار حتى قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾<sup>(٥)</sup>.

فتصورهم القاصر، وانسياقهم وراء مآثر الأسلاف جعلهم يظنون شراً بغيرهم فلا يفقهون قولاً ولا يستجيبون لدعوة.

وهذا هو ديدن الطغاة في كل زمان ومكان، حيث تمضي بهم هذه النعرات فينكرون الحق الذي جاءتهم به الرسل -عليهم السلام- لا لضعف فيه ولا لشك في المرسل به وإنما لغلوهم في أعراقهم وأحسابهم.

---

١- النسب والنسبة اشتراك من جهة أحد الأبوين وذلك ضربان: نسب بالطول كالاشتراك من الآباء والأبناء، ونسب بالعرض كالنسب بين بني الأخوة وبني الأعمام. (انظر المفردات في غريب القرآن ص ٤٩٠).

٢- المؤمنون: ١٠١.

٣- القصص: ٣٨.

٤- النازعات: ٢٤.

٥- المائدة: ١٨.

### ٣- التكبر بالعدد والقوة:

إن القوة والعدد الكثير للاتباع من الجند والأبناء وغيرهم، كانا داعيين رئيسين لظهور التكبر، ففرعون عُرِفَ بكثرة أتباعه وجنوده الذين يشدون أمره كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ<sup>(١)</sup> الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ<sup>(٢)</sup>﴾.

### ٤- التكبر بالمال والثروة:

المال نعمة يؤتيها الله من يشاء من عباده، فمنهم عاقل يشكر، ومنهم جاهل يكفر، فالأولى إذا استعمل هذه في أوجه الخير وسبله ابتغاء مرضاة الله عز وجل. ولكن الإنسان ظلوم كفور، فهو ذو فرح وبطر وطغيان إذا رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله فهو يتكبر ويتعظم.

وفرعون وهو أحد الأئمة المتكبرين على دعوة الحق يقول عن موسى عليه السلام: ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ<sup>(٣)</sup>﴾ ويقول: ﴿أَلَيْسَ لِي مَلِكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ<sup>(٤)</sup>﴾. فهو يكشف لنا في هذه الآية عن نفسيته المتعالية عن دعوة الحق، بالتباهي بالجاه والمال، فلا يملأ عينه وعين الملائ من قومه ولا يُعَظِّمُ في نفوسهم غير بريق الذهب، وكثرة المال والجاه.

فهذا قارون بن يصهر—وهو أحد الطغاة المعاصرين لموسى عليه السلام— كان عظيم المال كثير الكنوز ولكنه بغى على قومه بكثرة ماله واستكبر، فوعظوه ونهوه وقالوا له ما قصه الله علينا في كتابه:

﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ \* وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ

١- الأوتاد: الجنود الذين يشدون له أمره (انظر تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٠٩).

٢- الفجر: ١٠-١٢.

٣- الزخرف: ٥٣.

٤- الزخرف: ٥١.

الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ  
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿١﴾ فَأَجَابَهُمْ جَوَابٌ مَغْتَرٌ بِحِلْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ <sup>(٢)</sup> فَقَالَ: ﴿إِنَّمَا  
أُوتِيْتُهُ﴾ <sup>(٣)</sup> يَعْنِي الْمَالَ وَالْخَزَائِنَ ﴿عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ <sup>(٤)</sup> أَي عَلَى خَيْرٍ وَمَعْرِفَةٍ مِنِّي وَلَوْلَا أَنِّي  
حَبِيبٌ إِلَى اللَّهِ وَحِطِّيُّ عِنْدَهُ لَمَا أَعْطَانِي مَا أَعْطَانِي <sup>(٥)</sup>.

ومما سبق يتبين أن المتكبرين عادةً هم الأشراف والسادة والزعماء، وهؤلاء -ولا ريب-  
يحظون بامتيازات مادية، وسياسية، واجتماعية، فمزلتهم إذاً هي العالية ومنزلة غيرهم في  
الدون <sup>(٦)</sup>.

ومن ثَمَّ فَإِنَّهُمْ يَعُدُّونَ قَبُولَهُمْ لِلدَّعْوَةِ وَاتِّبَاعَهُمْ لِمُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَام- خَسَارَةً لِمُرَاكَزِهِم  
الْمَزِيْفَةَ، وَيَعْنِي كَذَلِكَ مَسَاوَاتِهِمْ بِالضَّعْفَاءِ مِنَ الْعَبِيدِ وَالْمَوَالِي وَغَيْرِهِمْ مِنْ دَهْمَاءِ النَّاسِ.  
فَارْتَعَدَتْ -لِهَذِهِ الْمَسَاوَاةِ- فَرَائِصُ الْمُتَكَبِّرِينَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَام- وَالْمُتَرَبِّعِينَ عَلَى  
عُرُوشِ الْمَالِ وَالْجَاهِ وَالْمُسْتَغْلِينَ لِحَيْرَاتِ الْمُجْتَمَعِ، وَالْمُحْتَكِرِينَ ذَلِكَ لِدَوَاتِهِمْ لِأَنَّ ذَلِكَ يَعْنِي بِأَنَّ  
هَذَا كُلَّهُ سَيَزُولُ إِذَا أَدْعَنُوا لِلْحَقِّ وَدَوَاعِيهِ.

١- القصص الآيتان: ٧٦-٧٧.

٢- انظر الكامل في التاريخ ص ١٥٦.

٣- القصص: ٧٨.

٤- قصص الأنبياء ص ٥١٣ لابن كثير.

٥- انظر مفاهيم من القرآن في العقيدة والسلوك ص ٩٣-٩٤ تأليف: محمد البهي الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ الناشر:  
مكتبة وهبة.

## المطلب الثاني: حب الجاه والرياسة

كان الملوك -في قديم الزمان- يحيطون أنفسهم بهالة من التقديس، ويضعون مكانتهم في إطار من الإلهية لا جهلاً منهم بأنهم أناس لا يختلفون عن غيرهم، ولكنهم يفعلون ذلك تمويهاً على العامة حتى يأمنوا غائلة الثورات الهوج من الذين يطمعون في تبوؤ عرش الملك، مقدّرين أن ذلك التقديس يحول بين النازعين إلى الثورة وبين ما يشتهون.

وهذه كانت حال النمرود في عهد إبراهيم -عليه السلام- وحال الذين أتوا من بعد موسى -عليه السلام- من ملوك اليونان<sup>(١)</sup> ثم الرومان<sup>(٢)</sup> كما كانت حال الفراعنة في مصر. وفرعون رجل عاتٍ تدين الأمة المصرية بعبادته، وتذعن بقداسته، شاع عنه وآله في الناس من الأقاويل والأكاذيب أكثر مما شاع فيهم عن النمرود وقومه.

فقد بلغ من السفاهة أنه كان يجاهر على رؤوس الناس بدعوى أنه فاطر السماوات والأرض، وكانت أمته من البَلَه والحماقة أنها كانت تؤمن بدعواه تلك.

والحق الواضح الذي يشهد به القرآن الكريم والتاريخ هو أن فرعون لم يكن يختلف ضلاله في باب الألوهية والربوبية عن ضلال نمرود، ولا كان يختلف ضلال آله عن ضلال قوم نمرود، وإنما الفرق بين هؤلاء وأولئك أنه قد نشأ لآل فرعون لبعض الأسباب السياسية عناداً، فكانوا لمجرد هذا العناد يمتنعون من الإيمان بألوهية الله وربوبيته، وإن كانت قلوبهم تعترف بها شأن أكثر الملحدّين الماديّين في عصرنا هذا. فيوسف -عليه السلام- لما استتب له الأمر

---

١- اليونان: دولة صغيرة تقع في جنوب أوروبا حيث نشأت الحضارة الغربية قبل ٢٥٠٠ سنة في الوقت الذي سيطر فيه الإغريق على معظم المناطق المحيطة بالبحرين: الأبيض المتوسط، والأسود، وتعد أثينا العاصمة أكبر مدن اليونان، وتوجد باليونان آثار الحضارة الإغريقية القديمة (انظر الموسوعة العربية العالمية ٢٧/ ٣٨١-٣٨٤).

٢- الروم: جبل معروف في بلاد واسعة تضاف إليهم فيقال: بلاد الروم يحدها من الشمال والشرق الترك والخزر والروس ومن الجنوب الشام والاسكندرية ومن الغرب البحر والأندلس. (انظر معجم البلدان ٩٧/ ٣).

في مصر استفرغ جهده في نشر الدين وتعاليمه بينهم، ورسم على أرضه من ذلك أثراً محكماً لم يقدر على محوه أحد، وأهل مصر وإن لم يكونوا إذ ذاك قد آمنوا بدين الله عن بكرة أبيهم، إلا أنه لا يمكن أن يكون قد بقي فيهم من لم يعرف وجود الله ولم يعلم أنه فاطر السموات والأرض. ولم يقف الأمر عند هذا بل الحق أن الأحكام الإسلامية كان لها من النفوذ والتأثير في نفس كل مصري ما جعله -على الأقل- يعتقد بأن الله إله الآلهة ورب الأرباب.

وأما الذين كانوا قد أقاموا على الكفر فكانوا يجعلون مع الله شركاء في الألوهية والربوبية.

وخلاصة القول: أن تأثيرات الإسلام هذه كانت باقية في نفوس أهل مصر الذين بُعث فيهم موسى -عليه السلام- والدليل على ذلك موقف مؤمن آل فرعون: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ \* يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ \* مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَأَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ \* وَيَا قَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ \* تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ \* لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ \* فَسْتَذَكِّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ \* فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكْرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ (١).

وتشهد هذه الآيات من أولها إلى آخرها بأنه لم يزل أثر شخصية النبي يوسف -عليه السلام- باقياً في نفوس القوم إلى ذلك الحين.

الأمر الذي يجعلنا نؤكد أنهم لا يمكن أن يكونوا بلغوا من الجهالة ما يجعلهم لا يعلمون شيئاً عن وجود الله تعالى. وإنما كان ضلالهم كضلال الأمم الأخرى، بمعنى أن هذه الأمة كانت تشرك بالله في صفتي الألوهية والربوبية وتجعل له فيهما أنداداً.

أما مثار الشبهة في أمر فرعون: فهو سؤاله لموسى -عليه السلام-: ﴿وَمَا رَبُّ

١- غافر ٣٨-٤٥.

الْعَالَمِينَ<sup>(١)</sup> حينما سمعه يقول: ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ<sup>(٢)</sup>﴾ ثم قوله لصاحبه هامان: ﴿ابْنِ لِي صِرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ \* أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى<sup>(٣)</sup>﴾ ووعيده لموسى -عليه السلام-: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ<sup>(٤)</sup>﴾ وقوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي<sup>(٥)</sup>﴾ فمثل هذه الكلمات التي قالها فرعون قد خيلت إلى الناس أنه كان ينكر وجود الله تعالى، وكان فارغ الذهن من تصور رب العالمين، ويزعم لنفسه أنه الإله الواحد ولكن الواقع الحق، أنه لم يكن يدعي ذلك كله إلا بدافع من العصبية الوطنية، وذلك أن الأمر في زمن يوسف -عليه السلام- لم يكن قد وقف على أن شاعت أحكام الإسلام في ربوع مصر بفضل الله ثم بفضل شخصيته القوية الجليلة بل جاوز ذلك أن أصبح لبني إسرائيل نفوذ بالغ في أرض مصر تبعاً لما تهيأ ليوسف -عليه السلام- من السلطة والكلمة.

الأمر الذي جعل الإسرائيليين يخيمون على القطر المصري ما يقارب ثلاث مائة سنة إلى أربع مائة سنة، ثم أخذت الوطنية والقومية تخالج نفوس المصريين مما جعلهم يتعصبون ضد بني إسرائيل -إلى أن اشتد بهم الأمر حتى ألفوا السيطرة على الإسرائيليين، فتولت الأمر بعدهم الأسر المصرية الوطنية وتتابع في الحكم، ولم يكن هدف تلك الأسر -حينما تولت زمام الأمور- إخضاع بني إسرائيل وكسر شوكتهم فحسب، بل تعدوه إلى أن حاولوا محو كل أثر من آثار العهد اليوسفي في مصر وإحياء تقليد ديانتهم الجاهلية<sup>(٦)</sup>، فلما بعث إليهم في تلك الآونة موسى عليه السلام خافوا على سلطانهم أن ينتقل من أيديهم إلى أيدي بني إسرائيل مرة أخرى فلم يكن بد من العناد واللجاج مع موسى -عليه السلام- خوفاً على جاههم وذهاب سلطانهم، وذلك واضح جلي في حوار فرعون مع موسى -عليه السلام- حينما سأل سألته ساخطاً متبرماً: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ<sup>(٧)</sup>﴾ بالرغم من أنه لم يكن جاهلاً في الحقيقة وجود رب العالمين كما نصت عليه آيات القرآن الكريم.

١- الشعراء: ٢٣.

٢- الأعراف: ١٠٤.

٣- غافر: ٣٦-٣٧.

٤- الشعراء: ٢٩.

٥- القصص: ٣٨.

٦- انظر مصطلحات القرآن الأربعة في فكر المودودي (الإله - الرب - العبادة - الدين) ص ١٧٧.

٧- الشعراء: ٢٣.



﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ \* قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١﴾ .

وفي موضع آخر يظهر الله ما في صدور قوم فرعون بقوله :

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ \* وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴿٢﴾ . كما يصور لنا القرآن الكريم نادياً آخر جمع موسى -عليه السلام- وسحرة فرعون في قوله تعالى :

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحَتَكُمْ بَعْدَ خَابٍ مِّنْ أَفْتَرَىٰ﴾ \* فَتَنَّا زُجْرًا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا السَّجْوَىٰ ﴿٣﴾ \* قَالُوا إِن هَٰذَا لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثُلَىٰ ﴿٤﴾ \* فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَىٰ ﴿٥﴾ .

والظاهر أن قيام النزاع بينهم وبين نبيهم موسى عليه السلام حين أنذرهم عذاب الله، يدل -وبلاشك- على أن في قلوبهم بقية من أثر عظمة الله تعالى وجلال هيئته، ولكنهم حينما أنذروا بخطر الانقلاب السياسي وحذروا من عاقبة اتباعهم لموسى وهارون -عليهما السلام- وهي عودة غلبة الإسرائيلين على أبناء مصر قست قلوبهم واتفقوا جميعاً على مقاومة النبيين.

وادعى الفراعنة لأنفسهم نوعاً من القداسة والتزّه بانتسابهم إلى الآلهة حرصاً منهم على أن يتغلغل نفوذهم في نفوس الرعية، ويستحكم استيلاؤهم على أرواحهم، على أن دعواهم الألوهية لم تكن هي المقصودة بذاتها في الحقيقة، وإنما يتذرعون بها إلى تأكيد حاكميتهم السياسية، ومن ذلك نرى أن الألوهية تذهب بذهاب سلطان الأسرة الحاكمة السياسي، وتبقى ما بقيت لأن الألوهية في نظرهم تتبع العرش في تنقله من يد إلى أخرى.

١- الإسراء: ١٠١-١٠٢ .

٢- النمل: ١٣-١٤ .

٣- طه: ٦١-٦٤ .

كما أن دعوى فرعون للألوهية لم تكن بمعنى ادعاء الألوهية الغالبة المتصرفة في نظام السنن الطبيعية، بل بالألوهية السياسية فقط، فكان يدّعي بأنه الرب الأعلى لأرض مصر فقط، فهو المالك له وما فيه من الغنى والثروة، وهو الحقيق بالحاكمة المطلقة فيه فلا يجرين فيه إذاً إلا شريعته وقانونه، وكان هذا هو أساس دعوى فرعون بعبارة القرآن:

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

أما دعوة موسى عليه السلام -التي كانت موضوع الحوار بينهما- فمضمونها أن لا إله ولا رب إلا الله رب العالمين، فهو وحده المتصرف في هذا الكون، كما أنه الإله والرب بالمعاني السياسية والاجتماعية، لأجل ذلك يجب ألا تصرف العبادة إلا له سبحانه ولا يتبع في شؤون الحياة المختلفة إلا شرعه وقانونه وأنه -أي موسى عليه السلام- قد بُعث بالآيات البينات وسينزل الله تعالى أمره ونهيه لعباده بما يوحي إليه، لذلك يجب أن تكون أزمة أمور عباده بيده لا بيد فرعون<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا كان فرعون ورؤساء حكومته يرددون المرة تلو الأخرى بأن موسى وهارون -عليهما السلام- قد جاءا يسلباننا أرض مصر وأرادا أن يذهبا بنظمنا الدينية ليستبدلا بها ما يشاءان من النظم والقواعد، فتكون لهما السيادة والسلطة في الأرض كما جاء في قوله تعالى:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ \* فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ \* قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ \* قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

١- الزخرف: ٥١.

٢- انظر مصطلحات القرآن الاربعة في فكر المودودي (الإله - الرب - العبادة - الدين) ١٧٩-١٨١.

٣- يونس: ٧٥-٧٨.

فالملا يحبون الرياسة والجاه والتسلط على رقاب العباد، ولذلك فهم يعارضون كل دعوة تسلبهم مكانتهم بين الناس وتجعلهم تابعين لا متبوعين.

وهم يتصورون أن قبولهم الدعوة إلى الله يسلبهم جاههم وسلطانهم، ولذلك يقاومونها ويعادونها ويأتون بالباطيل لتبرير عداوتهم لها ولمن جاء بها.

قال تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ \* يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى \* قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴾ (٢).

وقوله: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣).

فقوله: ﴿ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ﴾ أي أنكم قد اجتمعتم فيما بينكم لتخرجوا الأكابر والرؤساء من أهل مصر من أرضهم لتكون لكم الصولة والجولة والتصرف فيها دون غيركم (٤) وهذا يكشف لنا مدى خوفهم من ذهاب سلطانهم وجاههم إن تمكنت دعوة موسى - عليه السلام - في القلوب، الأمر الذي جعلهم يناصرون الدعوة العدا.

١- الأعراف: ١٠٩-١١٠.

٢- طه: ٥٦-٥٧.

٣- الأعراف: ١٢٣.

٤- انظر تفسير القرآن العظيم ٢/ ٢٣٩.

### المطلب الثالث: اتباع الآباء والكبراء

إِلْفُ العوائد، وتعظيم الأسلاف والكبراء من الموانع التي حالت بين كثير من الناس وبين اتباع الحق، حيث أخذوا بتعظيم آبائهم، وحسن ظنهم بهم، وأنفوا أن يسفّوها ما كانوا عليه من ضلال ورضوا بهم قادة لهم وأئمة ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فلقد استحكمت في نفوسهم ضلالات ألفوها فقبلوها، وعلى المدى الطويل عظموها إذ من شأن القلوب أن يبهت فيها ضياء الحق مع مضي الزمن ويتضاءل، وترتفع فيها ألوية الباطل وتتطاوّل<sup>(٢)</sup>.

فالحق وإن كان أصيلاً في النفوس، فإن الفطرة إذا فقدت من يكملها ورزئت بمن يضلّلها، تعاظم فيها على المدى الطويل هذا الباطل، وتوارثته كابراً عن كابر وتداخل مع محبتها للآباء والأسلاف وتعظيمهم قال الله تعالى:

﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾<sup>(٣)</sup>.

يقول ابن عطية:

(... ولكن تطاول الأمر على القرون التي أنشأناها زمناً زمناً فعزبت حلومهم، واستحكمت جهالتهم وضلاتهم)<sup>(٤)</sup>.

فشق عليهم إذ ذاك كل المشقة أن يتنازلوا عن موروّثاتهم تلك، بل صاروا يقفون وقفة غضب لمن قاومها، ويستमितون في نصرها والذّب عنها، لا حجة لهم على باطلهم من شرع، ولا عقل قصارى ما عندهم: ﴿بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

فدين كثير من المنكرين لدعوة موسى -عليه السلام- مبني على أصول أعظمها الاتباع

١- المائدة: ١٠٤.

٢- كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (ضمن مجموعة التوحيد) ص ١٨٣ للشيخ محمد بن عبد الوهاب الناشر: دار الفكر.

٣- القصص: ٤٥.

٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٢/ ١٧٠).

٥- الشعراء: ٧٤.

٦- انظر الاعتصام (٢/ ٤٠٢) تأليف: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي الشاطبي بعناية أحمد عبد الشافي الطبعة الثانية ١٤١١ هـ - الناشر: دار الكتب العلمية.

والتقليد، فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار من الأولين والآخرين. فكانوا في ربة هذا الاتباع والتقليد لا يحكمون لهم رأياً، ولا يشغلوا فكراً، ولذلك تاهوا في أودية الجهالة والتعصب لما كان عليه المتبعون<sup>(١)</sup>.

ولقد كان اتباع الأسلاف وتقليدهم من أنواع التقليد التي ذمها القرآن الكريم وركز على خطورتها:

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهذا يفسر العلاقة بين المترفين وبين حرصهم على تقليد أسلافهم، لأن كيانهم مستمد من ذلك. ولقد ظهرت حقيقة هذا المانع بوضوح في موقف فرعون وملئه حينما أظهروا سوء ظنهم بموسى وهارون -عليهما السلام- في غايتهما من الدعوة<sup>(٣)</sup>.

يقول تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

فهم ظنوا أن موسى -عليه السلام- جاءهم لقصد صرفهم عما وجدوا عليه آباءهم، ويتبع ذلك وراثته الملك والتفوق على الناس.

وهنا يكشفُ الملاء عن حقيقة الموانع التي تصدهم عن التسليم بآيات الله، فهو الخوف من تحطيم معتقداتهم الموروثة، التي يقوم عليها نظامهم السياسي والاقتصادي، وهو الخوف على السلطان في الأرض هذا السلطان الذي يستمدونه من خرافات عقائدهم الموروثة<sup>(٥)</sup>، ولذا فهم لا يرغبون في الإصلاح أبداً، بل هم عقبات ضد الإصلاح دائماً، لأنهم يبنون

١- انظر مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية ص ٨ تأليف الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتوسع فيها: محمود شكري الألوسي الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ. الناشر: دار المجد - الرياض.

٢- الزخرف: ٢٣.

٣- انظر التحرير والتنوير ٢٥١/١١.

٤- يونس: ٧٨.

٥- انظر التحرير والتنوير ٢٥٢/١١.

وجاهتهم في المجتمع على الارتباط بالقديم<sup>(١)</sup>.

وهذا الاتباع والتقليد ليس حكراً على الآباء فحسب بل يشمل كذلك اتباع وتقليد الرؤساء والزعماء، فهذه الأصناف تؤثر في الجماهير بحسب قوة نفوذها وقوة شخصياتها، فتدعن الجماهير لها فيحركونها كيف شاءوا ومتى أرادوا، وفي القرآن الكريم شواهد عدة تُبرز الأثر الذي تُحدثه هذه الفئات على متبّعيها حتى توردهم النار وسوء المصير.

فطبقة الزعماء والسادة قد ترى رأياً أو تسنُّ عادةً توافق مصلحتها وهواها، ثم يأتي كثير من أفراد الطبقات التابعة فيقلّدونها في الرأي أو العادة لمجرد أنها قالت به، أو سنته من غير نظر في صواب الرأي وخطئه، وحسن العادة أو سوءها<sup>(٢)</sup>.

فهذا فرعون وهو فرد واحد في جماعة استطاع بقوة نفوذه المادي أن يتلاعب بقومه كيفما شاء حتى قال: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾<sup>(٣)</sup>.

وهذا كذب وبهتان من فرعون لقومه يتجلى فيه منتهى التبعية والخضوع له فلقد غشهم وما نصحهم حينما قال ما أريكم إلا ما أراه لنفسي وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصواب، فهو يعلم في قرارة نفسه صدق موسى عليه السلام— وما جاء به: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾<sup>(٤)</sup>، ولكنه ضلّ وأضل قومه معه ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ﴾<sup>(٥)</sup>.

فإذا كان قوم فرعون قد بلغوا هذه الدرجة من التبعية والتقليد فلم لا يدعي فيهم

الألوهية؟

- 
- ١- انظر في موكب الدعوة ص ٦ تأليف محمد الغزالي الطبعة الرابعة ١٩٦٥م الناشر: دار الكتب الحديثة.
  - ٢- انظر الدعوة الإسلامية والغزو الفكري ص ٢١-٢٢، تأليف: د. جعفر شيخ إدريس بحث أصدرته رابطة الشباب المسلم العربي اللجنة الثقافية سلسلة البحوث والدراسات (١٩٨٧م).
  - ٣- غافر: ٢٩.
  - ٤- النمل: ١٤.
  - ٥- طه: ٧٩.

فهؤلاء الكبراء هم الموجّه الحقيقي للاتباع الذين عطّلوا إرادتهم الشخصية التي وهبهم الله إياها، فاعتقدوا ما يُمليه عليهم السادة والقادة، ولم يُعملوا أفكارهم ببحث أو تقص، فقط اكتفوا بكون هؤلاء سادة فإذا هم على صواب ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ﴾<sup>(١)</sup>.

وفي هذا توجيه لترشيد جهود الدعاة لمعرفة خصائص هذا الصنف من الناس ومحاولة التأثير عليهم بشتى السبل، ليدخلوا في الدعوة، أو على الأقل محاولة تحييدهم لإزالة الحواجز التي يضعونها بين الدعوة وبين جماهير الناس<sup>(٢)</sup>.

وجملة القول أن فرعون وقومه عاشوا في جاهلية جهلاء لا تعرف من الحق رسماً، ولا تقيم به في مقاطع الحقوق حكماً، بل كانت تنتحل ما وجدت عليه آباءها وما استحسنته أسلافها، وما عليها زعماءها من الآراء المنحرفة، والمذاهب المبتدعة، فحين قام فيهم -عليه السلام- بشيراً ونذيراً فسرعان ما قابلوا معروفه بالنكر ونسبوا إليه -لمخالفته إياهم- كلُّ مُحالٍ ورموه بأنواع من الإفك والبهتان.

١- الأحزاب: ٦٧.

٢- دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي وسبل علاجها ص ٢٧٧ تأليف: عبدالرحمن الملاحي الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ الناشر: دار عالم الكتب للطباعة والنشر - الرياض.

## المطلب الرابع: الحسد

عرّف اللغويون الحسد فقالوا: الحسد معروف وحسده الشيء وعليه يحسده حسداً أو حسوداً: تمنى أن تتحول نعمته وفضيلته أو يسلبها هو<sup>(١)</sup>.

والحسد كالقراد، ومنه أخذ الحسد يقشر القلب كما تقشر القراد الجلد فتمتص دمه<sup>(٢)</sup>.

والمحسدة: ما يحسد عليه الإنسان من مال أو جاه أو نحوهما<sup>(٣)</sup>.

والحسد في الاصطلاح: تمنى زوال نعمة المحسود إلى الحاسد<sup>(٤)</sup>.

فالحسد آفة من آفات النفوس، ففي الطباع حب الاستئثار بالفضائل فيكره المرء أن يفوقه في شيء من الفضائل أحد من جنسه، والمصيبة في هذا أن يحمل الإنسان على ارتكاب المخالفة والتعدي بغياً<sup>(٥)</sup> وحسداً إن كان الفضل لغيره، وقد زاغ بسبب هذه الآفة كثير من الناس وقفوا أمام الحق رافضين له ومنابذين لأهله حسداً وبغياً قد ضاقوا بفضل الله على خلقه فما نظروا للحق ولا لنوره، وما فكروا في مآل الباطل ودثوره قد استحكمت في نفوسهم حظوظها، فلم تتجاوز المسألة في حسهم تلك المقامات التي نافسوا عليها:

﴿قَالُوا أَجِئْنَا لَتُلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٦)</sup>.

﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٧)</sup> هذه هي القضية، وبكل هذا الوضوح أبتترك فرعون وملؤه الرئاسة والعظمة لهارون وموسى عليهما السلام<sup>(٨)</sup>؟

١- انظر القاموس المحيط ٢٩٨/١ فصل الحاء باب الدال.

٢- انظر لسان العرب ١٢٥/٤ فصل الحاء حرف الدال.

٣- انظر المعجم الوسيط ١٧٢/١.

٤- التعريفات ص ١١٧.

٥- إذا تجاوز الحاسد كراهة النعمة على غيره إلى السعي في إزالتها فهذا هو البغي.

(انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٤٨٢/١٠)).

٦، ٧- يونس: ٧٨.

٨- انظر جامع البيان في تفسير القرآن (١١/١٠١).



هذا ما لا يُسمح به فأهل الحق ودعائه - في نظرهم - طلاب رئاسة وسلطة . وهذا كمن يقول رمتني بدائها وانسلت<sup>(١)</sup> فالمنافسة والعظمة آفتهم هم أنفسهم .

كما أن قلوبهم أخذت تغلي بالحسد أكثر فأكثر وهم يرون السحرة يلتفون حول موسى عليه السلام بلا ثمن - بعد ما تبين لهم الحق - وإنما بتلك المعجزة التي لا يقدر على منحها ولا منعها البشر .

﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى \* قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾<sup>(٢)</sup>

فقوله : ﴿ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> أي هلا شاورتموني في إيمانكم وما فعلتموه من أمرٍ عظيم بحضرة رعتي !

حسدًا لموسى عليه السلام لئلا يستجيب له السحرة وتشعر الرعية بأنه المنتصر في تلك المنافسة فما كان من الحاسد فرعون إلا أن هدد بقطع الأيدي والأرجل من خلاف ليجعلهم مثلة ونكالا حسداً لئلا يقتدي بهم أحدٌ من رعيته ، ورجال دولته ومملكته<sup>(٤)</sup> فيكونوا عبرة لغيرهم . وهكذا يبدو الحق قوياً شامخاً ، بقوة ذاتية لا يحتاج إلى سند من خارجه ، وهم - أهل الباطل - يدفعون ويهددون وأنى يجدون إلا البطلة والخائبين الذين يلتفون على حظوظهم منهم أيضاً ، وتلك آصرة لا تثبت لأدنى ضربه ، بل قد تنفصم لأدنى رغبة ، فليس لهم لكي يُنْقَسُوا عما اعتمل في صدورهم من ضعيفة لأهل الحق ، إلا أن يرددوا الكلام ذاته الذي يعيدونه اليوم وأمس وغداً : ﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ<sup>(٥)</sup> ﴾ ، ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾<sup>(٦)</sup> وقوله : ﴿ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ﴾<sup>(٧)</sup>

١- مجمع الأمثال ١/ ٢٨٦ .

٢- طه : ٧١-٧٠ .

٣- طه : ٧١ .

٤- انظر قصص الأنبياء أحداثها وعبرها ص ٢٤١-٢٤٣ تأليف : محمد بن حامد الفقي الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ . الناشر : مكتبة وهبة - القاهرة .

٥- ص : ٦ .

٦- طه : ٧١ .

٧- الأعراف : ١٢٣ .

ومعلوم أن هذا محض تضليل وكذب وبهتان لا ينطلي إلا على مثله، ولا يتصوره إلا جهلة عناداً واستكباراً، فإن موسى -عليه السلام- لم ير هؤلاء السحرة مطلقاً قبل ذلك الموقف فكيف يكون كبيرهم الذي علمهم السحر؟ وفوق ذلك: فإنه لم يجمعهم حتى واجههم وواجهوه لأن فرعون هو الذي استدعاهم وأمر بجمعهم، وهذه المقولة وغيرها اتخذها فرعون وملؤه تبريراً لرفضهم اتباع موسى عليه السلام.

فهؤلاء الكبراء لا يملكون في نفوسهم شيئاً إلا الإفلاس، ليس ثمة حقائق معنوية فليس هناك إلا أشياء تكبروا بها لا تنبع من ذواتهم، بل بهارج خارجية، وقيم في الفخر أرضية، أما الحقائق المعنوية التي لا يعرفونها فلا يقوّمون الناس من جهتها، فمن كان دونهم في أعراض الدنيا فما شأنه ليميز عليهم، إنه -ولابد- لن يصل دونهم إلى خير: ﴿أَهْلَاءَ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنَا﴾<sup>(١)</sup> قالوا هذه المقولة على سبيل الاستحقار لهم والأنفة منهم إذ كيف يدخلون في دين سبقهم الضعفاء في الدخول فيه، لأن هذا يعني الاعتراف بهم وبتبعيتهم ومساواتهم بأنفسهم، وهذا بالطبع يشق عليهم. ومن هذا السبب يظهر بوضوح مدى العلاقة بين دافع الكبر ودافع الحسد إذ هي علاقة وطيدة وعكسية، بمعنى أن كلا منهما سبب لوجود الآخر حيث يقوى المانع ويزداد بين الإنسان وبين الحق<sup>(٢)</sup>.

وقد يكون السبب أيضاً التنافس في الدنيا، فمن نافس آخر في عمل دنيوي فإنه يفتقد التوجيه الإلهي فيه كبغية التعامل مع ملذاتها فتكون سبباً في هلاكه إذا أسرف فيها وأعرض عن ذكر الله.

ولقد ذم الله فئة من قوم قارون حينما رأوه في زينته وتمنوا ما عنده فقال الله عنهم: ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾<sup>(٣)</sup>.

١- الأنعام: ٥٣.

٢- انظر دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي وسبل علاجها ص ٢٢٣.

٣- القصص: ٧٩.

قال ابن كثير - رحمه الله - : ( فلما رآه من يريد الحياة الدنيا ويميل إلى زخارفها وزينتها تمنوا أن لو كان لهم مثل الذي أعطي .

وبالمقابل أثنى تعالى على من نصحوهم ، ووصفهم بالعلم بقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ (١) . أي ولا يُلَقَى هذه الكلمة إلا الصابرون عن محبة الدنيا الراغبون في الدار الآخرة (٢) .

فالتنافس بين الناس في سعيهم وراء كثير من مطالب الحياة ، وملذات الدنيا قد يؤدي في كثير من الأحيان إلى نشوء البغضاء والكراهية بينهم ووقوع العداوة بعد ذلك فتشترك هذه الأسباب في تأصيل داء الحسد ، واستمراره .

ولقد توارث أهل الكتاب هذا المرض الخبيث حتى بُعث محمد ﷺ فحال الحسد بينهم وبين الإيمان به وبالحق الذي يحمله : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ (٣) .

فحسدهم لم يكن لشبهة دينية أو غيرة على حق يعتقدونه ، وإنما هو بسبب خبث النفوس ولؤم الطباع وفساد الأخلاق ، والتمادي في الباطل إصراراً وعناداً ولذلك أتبعه بقوله : ﴿ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ (٤) ، فالحق عندهم ظاهر بين ولكنهم حسدوا أهل الحق (٥) وتعدى بهم الحسد حتى تمنوا أن لا ينزل خير على المسلمين فيقول الله تعالى عن رغبتهم هذه : ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (٦) .

فهذا الحسد اليهودي هو الذي يحكم نظرتهم للآخرين الذين أنعم الله عليهم فلا يريدون أن يُنعم على أحد غيرهم .

١ - القصص : ٨٠ .

٢ - تفسير القرآن العظيم ٣ / ٦٣٨ .

٣ ، ٤ - البقرة : ١٠٩ .

٥ - انظر صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم ٢ / ٣٠٢ - ٣٠٣ .

٦ - البقرة : ١٠٥ .

بل ولا يزال هذا الحسد هو الذي يحكم علاقات اليهود بالمسلمين المعاصرين، فهم يحسدونهم على إسلامهم ونعمة الله عليهم، لذلك يتحالفون مع الشيوعيين وغيرهم -إذا كان الإسلام هو الهدف- وكل تحالفاتهم المعاصرة لا تخرج عن هذا التعليل السياسي القرآني الصادق<sup>(١)</sup>.

---

١ - انظر الشخصية اليهودية من خلال القرآن (تاريخ - سمات - ومصير) ص ٢٠٢ تأليف: د. صلاح عبدالفتاح الخالدي الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ، الناشر: دار القلم - دمشق.

## المطلب الخامس: الخوف والجبن

الخوف في اللغة مأخوذ من خاف يخاف خوفاً وخيفة، والخوف هو الفزع. ورجل خائف: شديد الخوف.

يقال تخوفت على الشيء أي خفت. وطريق تخوف: يخاف فيه<sup>(١)</sup>. وخوف الرجل إذا جعل فيه الخوف، وخوفته: إذا جعلته بحالة يخافه الناس<sup>(٢)</sup>.

والخوف في الاصطلاح: إنفعال النفس يحدث لتوقع ما يرد من المكروه أو يفوت من المحبوب<sup>(٣)</sup>.

ويذكر ابن القيم -رحمه الله- تعريفاً لأحد السلف وهو: (الانخلاع عن طمأنينة الأمن والتيقظ لنداء الوعيد، والحذر من سطوة العقاب)<sup>(٤)</sup>.

فالخوف في الأصل مطلوب، فهو غريزي في الإنسان يقبه من الوقوع في المخاطر، فإذا توجه الوجهة السليمة فهو محمود، بل هو غاية المراد ليصل الإنسان إلى مولاه، وفي ذلك فائدة عظيمة حيث يفترق هذا المانع عن الموانع السابقة.

فالموانع السابقة في الأصل مذمومة غير مطلوبة، أما الخوف فمطلوب ولا يستقيم الإنسان إلا بوجود هذا الخوف ليردعه عن ارتكاب النواهي، ويحثه على الامتثال للأوامر. بل هو علاج رئيس لجميع الموانع السابقة حيث يدعو الإنسان إلى تجنبها والابتعاد عن أسبابها.

ولكن إذا فقد الخوف وجهته الصحيحة فإنه ينحرف بالإنسان عن كل فضيلة وكل مقام رفيع، فهو حينئذ يعوق العقل عن القيام بوظائفه العليا على وجهها الصحيح فيؤدي إلى

١- انظر القاموس المحيط ٣/ ١٤٤.

٢- انظر لسان العرب ١٠/ ٤٤٨ فصل الخاء حرف الفاء.

٣- انظر التعريفات ص ١٣٧.

٤- طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٢٨١ تأليف: الإمام شمس الدين أبي بكر بن قيم الجوزية الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

خطأ في التفكير وتشئت في الانتباه<sup>(١)</sup>، وهذا بداية الإعراض عن الحق ودواعيه حيث ينشغل بالتفكير بالخوف وبالتخلص منه ويهمل البحث الجاد في الدعوة وأصولها.

ويتنوع الخوف بتنوع مقامات الناس وميولهم فمنهم مَلِكٌ يخشى على ملكه، ومنهم وجيه يخشى على وجاهته، ومنهم ضعيف يخشى على نفسه وأهله. فهؤلاء يخافون على ما يظنون أنهم يملكونه، وغيرهم من الضعفاء يخاف منهم، فيخضعون ويستسلمون لهم، فيسير بهم هؤلاء الأقوياء والكبراء وفق ما يريدون وكيفما يشاءون بلا سؤال، ولا نقاش ولا يعون إلا وهم واقعون في مواطن الردى والذل. وكل هذا بسبب الخوف الذي يفقد صاحبه الطمأنينة، ويحجزه عن تصرفه في مصالحه حسبما يمليه عليه رأيه وتفكيره<sup>(٢)</sup>.

ومن الخوف المذموم عدم إيمان بني إسرائيل بما جاء به موسى عليه السلام خوفاً من فرعون وملئه ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْهُمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

فلقد سام فرعون هؤلاء سوء العذاب حيث كان يقتل أبناءهم ويستحي نساءهم ويتوعدهم ويهددهم بالعذاب والتنكيل إن هم آمنوا بموسى -عليه السلام- بالرغم مما جاء به من المعجزات البينات التي لم تزد فرعون إلا إعراضاً عن الحق وإصراراً على الكفر وتهديد موسى -عليه السلام- كذلك بالسجن والقتل إن لم يكف عن ذلك، كل هذا وذاك أوقع الرعب والخوف في قلوب بني إسرائيل فما آمن له إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئه<sup>(٤)</sup>، لأن هؤلاء الكبراء بيدهم القوة والنفوذ، ويستطيعون أن يرهبوا الجماهير ويخوفوهم إن خرجوا عن الكفر الذي هم فيه، وهذا الخوف يثبط الهمم والعزائم عند كثير من الناس طلباً لسلامة أنفسهم من الأذى.

فالخوف من تنكيل السادة والكبراء هو أشد العوامل التي تصد المستعبدين عن الإيمان بالدين ولو تيقنوا أنه هو الهدى الحقيقي<sup>(٥)</sup>.

١- انظر مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ٣/ ٤٧٣ تأليف: أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده الطبعة الرابعة ١٤٠٨ هـ الناشر: دار الكتب العلمية بيروت.

٢- انظر دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي وسبل علاجها ص ٢٤٩.

٣- يونس: ٨٣.

٤- انظر تفسير القرآن العظيم ٢/ ٤٢٨.

٥- كيف نكتب التاريخ الإسلامي ص ٦٩ تأليف محمد قطب الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ. الناشر: دار الوطن للنشر - الرياض.

ومن الموانع أيضاً والتي حالت دون الاستفادة من حوار موسى عليه السلام ولها علاقة بهذا المطلب عامل الجبن<sup>(١)</sup>، فالخوف إذا زاد عن قدره لدى بعض الناس تحول إلى جبن.

والذي يكشف صفة الجبن في الإنسان هو وجوده في مواقف الخوف الحقيقي أو الوهمي فيتمثل الجبن بعدم الإقدام في المواقف التي تتطلب الإقدام أو بعدم ثبوت الأقدام في المواقف التي ينبغي فيها ثبوت الأقدام، أو بالفرار من الساحة<sup>(٢)</sup> فهو مرض قلبي يدل على ضعف الإنسان وعدم استقلالته فيعتمد على غيره، الأمر الذي يدفعه إلى الخضوع والاستسلام لما يعرض له ومن ثم يكون من السهل عليه أن يقع في الكفر ومعصية الله ورسوله.

وأقرب مثال يصور لنا ذلك، ما ذكره القرآن الكريم من مواقف الجبن لدى بني إسرائيل حينما أمرهم موسى -عليه السلام- بدخول الأرض المقدسة -كما سبق وأن ذكر<sup>(٣)</sup>- وأخبرهم بأن الله قد كتبها لهم ترغيباً وتشجيعاً لهم في ذلك ولكنهم أعرضوا عن الجهاد وقالوا له: ﴿يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

فَجَبَلَةُ اليهود تبدو هنا على حقيقتها، مكشوفة بلا حجاب، ذلك أنهم أمام الخطر، فلا بقية إذن من تحمل، ولا محاولة إذن للتشجع، ولا مجال كذلك للتحمل فالخطر ماثل قريب فلن يعصمهم منه -كما يرون- وعد الله لهم بأنهم أصحاب هذه الأرض، وأن الله قد كتبها لهم فهم يريدون نصراً رخيصاً لا ثمن له ولا جهد فيه، ولكن تكاليف النصر ليست هكذا كما يريدونها اليهود<sup>(٥)</sup> الأمر الذي دفعهم إلى أن يقولوا لنبيهم -عليه الصلاة والسلام-: ﴿إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

فما دامت الربوبية ستكلفهم ما لا يحبون فلا داعي لها فهو رب موسى لا ربهم قاتلهم الله أنى يؤفكون.

١- الجبن ضد الشجاعة. ورجل جبان: هيبوب للأشياء لا يقدم عليها (انظر لسان العرب ١٦/ ٢٣٥ فصل الجيم حرف النون، وانظر القاموس المحيط ٤/ ٢١٠ فصل الجيم باب النون).

٢- انظر الأخلاق الإسلامية وأسسها ٢/ ٥٨٥.

٣- انظر المبحث الثاني من الفصل الثاني ص ٢٤٥ - ٢٦٠.

٤- المائدة: ٢٢.

٥- المائدة: ٢٤.

## المطلب السادس: الشهوات

﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ<sup>(١)</sup> الْمُقَنْطَرَةِ<sup>(٢)</sup> مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ<sup>(٣)</sup> الْمُسَوَّمَةِ<sup>(٤)</sup> وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ<sup>(٥)</sup>﴾.

إن هذه الجوانب التي زينت للنفس، وحُبَّ إلى الإنسان الميل إليها، ينبغي الإشارة إلى أنها لا تُذم مطلقاً<sup>(٦)</sup>، وإنما تبعاً لما تعلقت به. وسنقف معها هنا على الأسباب الحاملة للنفس على الغي لاعتبارين:

١- أن ميل النفس إليها قد يجر -في سبيل الحصول عليها أو استبقائها- إلى ارتكاب المعصية، أو ترك الطاعة، ففوة داعيتها في النفس قد تحمل على أخذها من غير حلها، وقد يحمل إشارها على التقصير في حق الله أو تركه، وإبليس يبحث عن نقاط الضعف في النفس الإنسانية ليدخل من خلالها، فيقود النفس إلى المعصية عن طريق ما تحب وتؤثر. ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا<sup>(٧)</sup>﴾ تستميله شهواته، ومن سار على هذا الدرب خطوة لم يأمن الانزلاق، فدروب الباطل مزلة ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَتُذُنُونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ<sup>(٨)</sup>﴾.

٢- إن الاستغراق فيها يشغل القلب عن ذكر الله وطاعته ويحمل على الغفلة ﴿أَلْهَاكُمْ<sup>(٩)</sup> التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ<sup>(٩)</sup>﴾.

١- القناطر: واحدها «قنطار» وقد اختلف في تفسيرها فقال بعضهم: القنطار ثمانية آلاف مثقال ذهب بلسان أهل إفريقية وقال بعضهم: ألفا مثقال. وقال بعضهم: ملء مسك ثور ذهباً.

وقال بعضهم: مائة رطل. (انظر تفسير غريب القرآن ص ١٠١-١٠٢).

٢- المقنطرة: المكمل. وهو كما تقول: هذه بدر مبدرة، وألف مؤلفة وقال الفراء: المقنطرة: المضعفة كأن القناطر ثلاثة والمقنطرة تسعة. (انظر تفسير غريب القرآن ص ١٠٢).

٣- الخيل في الأصل اسم للأفراس والفرسان جميعاً (انظر المفردات في غريب القرآن ص ١٦٢).

٤- المسومة: الراعية. يقال: سامت الخيل فهي سائمة. والمسومة في غير هذا: المعلمة في الحرب بالسومة وبالسيما أي العلامة. وقال مجاهد: الخيل المسومة: المطهمة الحسان (انظر تفسير غريب القرآن ص ١٠٢).

٥- آل عمران: ١٤.

٦- انظر تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٥٢-٣٥٣)، وانظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١١/ ٢٤٥-٢٥١).

٧- النساء: ٢٨.

٨- الصف: ٥.

٩- التكاثر: ١-٢.



وعن النبي ﷺ أنه قال: «والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بُسِطَ على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»<sup>(١)</sup>.

فالاشتغال باللذائذ المحسوسة والاستغراق فيها يُشغل القلب عن التبصر والاعتبار، ويحجبه عن التطلع إلى الاهتمامات الكبار، وإذا استغرق الإنسان في لذائذه وشؤون دنياه تشتت همُّه في دروبها، ولم يبق له متسع للفكر في الدعوة وشؤون الآخرة، فكان السهو ودبت الغفلة في النفس، واستولى عليها الطمع والجشع الذي يؤدي إلى تضييع الدعوة وعدم الالتفات إليها<sup>(٢)</sup>، ومن ثم الإعراض عن الحق ودواعيه.

فالملا – أهل الملك والشهوات – هم رؤوس من يقف في وجه الدعوات ويحارب أهلها قد غرهم ما في أيديهم وأطغاهم .

فلم يلتفتوا إلى ما وراء ذلك<sup>(٣)</sup>، وإذا كان هذا شأن شهوات الدنيا عموماً في تضييعها للقلوب وتضليلها للدروب إذا استولت على النفوس فإن من أشدها إفساداً للقلوب والحياة والمجتمعات شهوات الأجساد إذا استعرت فتجاوزت الحلال إلى حظائر الفساد<sup>(٤)</sup>، ولذا تجد من يريد هدم المجتمعات يلجأ بالدرجة الأولى إلى إفساد الأخلاق وإشاعة الفاحشة، والتي تُهدم من خلالها المجتمعات بأقوى المعاول، ويلج الشر من أوسع المداخل.

واليهود – لعنهم الله – هم أرباب هذه الصناعة والمروجون لها، يسعون من وراء ذلك إلى تحقيق أهدافهم عندما تميل الأمم عن الهدى عبر هذا الداء ميلاً عظيماً.

١- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الجزية والموادعة باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب ١٩/٥ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الزهد باب (بدون اسم) ٤/٢٢٧٤ رقم ٢٩٦١ .

٢- انظر الرعاية لحقوق الله ص ٥٤، ٦٨ تأليف الحارث بن أسد المحاسبي تحقيق عبدالقادر عطا، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ الناشر: دار الكتب العلمية.

٣- انظر مجموع الفتاوى ١٠/٥٩٦ .

٤- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ١/٦٥ .

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا، يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ (١).

أقاموا لهذا صناعةً كاملة، حرب واحدة لا تتغير، وإنما فقط وسائلها تتجدد وتتطور، تبدأ من زعزعة الفطرة وطمس معالمها، وتنتهي بضياح الإنسانية وفقد قيمتها.

وحاصل ما ههنا أن الشهوات التي خلقها الله تعالى في النفوس لتعين على قيام الحياة على أرضه، تعود آفة عظيمة عندما يطلق قيادها من سلطان الحق، فليس لها إذ ذاك إلا معاونة الشيطان وجنده قال تعالى:

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢).

فاتباع الهوى والشهوات آفة النفوس وسمة أعداء الأنبياء، فما صدهم عن اتباع الحق غموض فيه أو خفاء، بل إن من أشد المحاربين له من كانوا على معرفة واضحة به لحظوظ خسيصة آثروها لقول الله عز وجل في شأن فرعون وقومه:

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (٣).

ويقول تعالى في شأن اليهود:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (٤).

١- النساء: ٢٧-٢٨.

٢- البقرة: ٢٦٨.

٣- النمل: ١٤.

٤- البقرة: ٨٧.

## المطلب السابع: الجهالة

الجهل نقيض العلم<sup>(١)</sup>.

وجهل جهلاً وجاهلة: ضد علمه وعليه أظهر الجهل كتجاهل وهو جاهل وجهول<sup>(٢)</sup> والجهالة أن تفعل فعلاً بغير العلم<sup>(٣)</sup>.

واستجهله: عدّه جاهلاً واستخفه.

يقال: أرض مجهل لا يهتدى فيها<sup>(٤)</sup>.

والجهل في الاصطلاح هو: اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه<sup>(٥)</sup>.

فالجهالة من سمة أعداء الأنبياء التي جعلتهم يردون دعوة أنبيائهم التي بعثوا بها ويصفونها بالضلال ويرمون مبلغها - وهم الرسل الكرام - بالسفاهة وخفة العقل، ويؤلبون الدهماء عليهم ويكيدون لهم، لأنهم في نظرهم لا يستحقون الرسالة بل هم أولى بها لأنهم أكثر مالاً وأعز نفراً قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ \* أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ \* فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾<sup>(٦)</sup>.

ففرعون لجهالته يرى أن الرسالة لا تكون لمن لا ملك له ولا مال ولا جاه فضلاً عن أن يكون مهيناً لا يكاد يبين، وهذا كله لجهالته إذ لو كان له ثمة عقل لعلم أن الرسول لا بد أن يكون من البشر ولا يشترط نزول الملائكة معه، كما أنه لو كان له عقل سليم لعلم أن الحرمان والفقر والضعف لا علاقة لشيء منها بأمور الرسالة.

كما جعلوا اتباع الضعفاء والفقراء للرسالة سمة نقص فيها كما جاء في القرآن الكريم حكاية عنهم:

١- انظر لسان العرب ١٣/ ١٣٧ فصل الجيم حرف اللام.

٢- انظر القاموس المحيط ٣/ ٣٦٤ فصل الجيم باب اللام.

٣- انظر لسان العرب ١٣/ ١٣٧ فصل الجيم حرف اللام.

٤- انظر القاموس المحيط ٣/ ٣٦٤ فصل الجيم باب اللام.

٥- التعريفات ص ١٠٨.

٦- الزخرف: ٥١-٥٣.

﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾<sup>(١)</sup> فهم يسخرون ويستهزئون بالمؤمنين زاعمين أنهم لا يفهمون ولا يعلمون، ولهذا اتبعوا الدعوة إلى الله واتبعوا رسل الله بلا روية ولا تمحيص، بينما هم لم يفعلوا ذلك لأنهم سادة أشراف يفهمون ويعقلون<sup>(٢)</sup>.

ومن جهالتهم عدم قبول الحق الذي جاءهم به موسى -عليه السلام- بحجة أنهم وجدوا آباءهم على ملة ودين لا يرغبون في تغييره ولا تحويله ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لْتَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وهذا من جهلهم لأن الباطل لا يتابع، وأن الحق أحق أن يتبع، وهذا التقليد الذميمة للباطل القديم الذي كان عليه الآباء والأجداد من أعظم أسباب التمرد على الحق قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

فهذا الجهل وتلك الغمة على عقولهم جعلتهم ينسبون إلى موسى عليه السلام الفساد في الأرض، وأنهم -أي الملأ- هم المصلحون المدافعون عن دين الناس وحقوقهم، وأنهم في سبيل هذا الدفاع سيحاربون موسى -عليه السلام- ومن تبعه قال تعالى:

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنَقْتُلُنَّ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

فلقد أثاروا حفيظة فرعون على موسى -عليه السلام- بإدعائهم أن موسى يريد الفساد في الأرض فلا يصح تركه يستمر في دعوته.

وهذا الجهل والحماسة هو الذي دفع أيضاً بني إسرائيل -لما مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم<sup>(٦)</sup>- أن يطلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهاً كما لهم آلهة.

١- المؤمنون: ٤٧.

٢- انظر أصول الدعوة ص ٣٨٧.

٣- يونس: ٧٨.

٤- البقرة: ١٧٠.

٥- الأعراف: ١٢٧.

٦- انظر المبحث الأول من الفصل الثاني ص ١٨٤ - ١٨٨.

قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وهو السبب نفسه الذي دفعهم إلى عبادة العجل<sup>(٢)</sup> ظناً منهم وجهلاً بأن موسى -عليه السلام- ذهب يطلب ربه وقد نسيه هنا كما صور لهم السامري:

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

لقد أمضى نبي الله موسى -عليه السلام- الأيام والليالي في دعوة القوم إلى توحيد الله تعالى ومحاربة الشرك والوثنية. فلما جاءته المواعدة لمناجاة ربه استخلف أخاه هارون على قومه فطمع القوم في حلمه ولين جانبه فاستغل السامري تلك الفرصة وأضل القوم بعمل عجل من حلي الذهب والفضة على نحو خاص بحيث إذا مر الهواء منه صوت كصوت العجل فاستغل سذاجة بني إسرائيل وجهلهم بحقيقة تلك الصفة وذكر لهم أن هذا هو الإله الذي ينبغي أن يُعبد<sup>(٤)</sup>.

وعلى هذا فالإنسان من حيث سلوكه وموقفه إزاء الحق هو ثمرة لما غلب على نفسه من دواعٍ، منها ما هو كامن فيها، ومنها ما هو خارج عنه لكنه مؤثر فيه، والشر من طبيعة النفس ومن لوازم نقصها، فقد خُلِقَ الإنسان ظلوماً جهولاً: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾<sup>(٥)</sup>.

فمرجع هذا الشر وسببه عدم العلم والإرادة التي تُصلح النفس، فالخلل في أحد هذين الجانبين مجلبة للشر، وإلا فالنفس مفطورة على معرفة الله وقبول الخير، وقد يسر الله لها من

١- الأعراف: ١٣٨.

٢- انظر المبحث الأول من الفصل الثاني ص ١٨٩ - ٢٠٧.

٣- الأعراف: ١٤٨.

٤- دعوة الرسل إلى الله تعالى ص ٢٠٠.

٥- الأحزاب: ٧٢.

أسباب العلم والهدى ما يعينها على لزوم الحق والسير على دربه، وإذا فقدت الفطرة من يكملها رزئى الإنسان بمن يزين له الضلال ويغريه به ويستثير دواعيه في النفوس مال الإنسان إلى ذلك<sup>(١)</sup>، وفي النفوس من الرغائب والشهوات والأخلاق والآفات أصنافٌ شتى والعبد في هذه الدنيا عرضةٌ للافتتان بها، والانسياق وراءها سواء كانت فتن الشهوات أو الشبهات، وإليها يرجع فساد القلوب والأديان، وإلى هاتين الفتنتين يشير قوله تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وإبليس -لعنه الله- يعمد إلى استغلال تلك الدواعي لإضلال الإنسان فكلها جنود لإبليس على هذا الدرب ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

فالإنسان في حاجة دائمة إلى علم مفصل يزول به جهله، وإلى عدل مفصل يشمل سائر شؤون حياته ما يأخذ منها وما يذر، فإن فقد ذلك ضل عن الصراط المستقيم<sup>(٤)</sup>.

١- انظر مجموع الفتاوى ٣١٦/١٤ وانظر طريق الهجرتين وباب السعادتین ص ١٩٢.

٢- التوبة: ٦٩.

٣- الأنعام: ١١٢.

٤- انظر مجموع الفتاوى ٣٨/١٤.

## المبحث الثاني: سبل التغلب على موانع الاستفادة من الحوار في دعوة موسى عليه السلام

### تمهيد:

يتشائم بعض الناس فيظنون أن تلك الموانع -التي سبق الحديث عنها- إذا ما تأصلت في الإنسان فأصبحت توجه فكره وسلوكه فلا سبيل إلى علاجها عندئذ!!.

ولكن التسليم لمثل هذا القول يؤدي إلى إبطال قوة التمييز والعقل وإلى رفض السياسات كلها وترك الناس همجاً مهملين، وإلى ترك الأحداث والصبيان على ما يتفق أن يكونوا عليه بغير سياسة، ولا تعليم وهذا ظاهر الشناعة جداً.

فالإنسان مطبوع على قبول الخلق بالتأديب والمواعظ إما سريعاً أو بطيئاً وهذا مشاهد وملموس<sup>(١)</sup>.

فربّ كلمة نصح تصادف القلب، وربّ حادث مفاجئ يصدّم الشعور، فإذا مجرى الحياة كلها قد تغير في طرفة عين وإذا المعوج يعود مُستقيماً، والفاجر العريذ تقياً نقياً<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة كثير من النصوص التي تأمر بفعل الخيرات وتنهى عن الشرور والمنكرات، ولولا إمكانية التأثير والتغيير لدى الإنسان لما كان ذلك.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

(وقد أمر الله في كتابه بفعل الخصال الحميدة، والله لا يأمر بأمر إلا وقد خلق سببه ومقتضيه في جبلّة العبد، وجعله محتاجاً إليه وفيه صلاحه وكماله، فإنه أمر بالعلم، والصدق، والعدل، وصلة الأرحام وأداء الأمانة وغير ذلك من الأمور التي في القلوب محبتها ومعرفتها. ونهى عن الكفر والكذب والظلم والبخل والجبن وغير ذلك من الأمور التي تنكرها القلوب وإنما يفعل الآدمي الشر المنهي عنه لجهله به أو لحاجته إليه)<sup>(٣)</sup>.

١- انظر تهذيب الأخلاق في التربية ص ٢٦ لابن مسكويه الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.  
٢- انظر دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية الدولية ص ٩٩ د. محمد بن عبدالله دراز، الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ، الناشر: دار القلم - الكويت.  
٣- مجموع الفتاوى ٢٠/ ١٢١.

ولكن الفضائل لا يُستطاع تحصيلها إلا بعد تطهير النفوس من الرذائل التي هي أضدادها وهي شهواتها الرديئة ، وكذا ما يحجب القلب من أمراض نفسية وغير ذلك<sup>(١)</sup> .

ويؤكد هذا شيخ الإسلام -ابن تيمية -رحمه الله- فيرى أن فعل الحسنات يوجب ترك السيئات، وليس مجرد ترك السيئات، يوجب فعل الحسنات، لأن ترك السيئات مع مقتضيها لا يكون إلا بحسنه<sup>(٢)</sup> .

وفي هذا توجيه رشيد للدعاة في متابعة المدعوين بعد قبولهم الدعوة لمدة طويلة حتى يتأصل في نفوسهم حب الخير. وهذا بطبيعته يبعدهم عن المعاصي وعموم النواهي، ويزيدهم رقياً في درجات الإيمان.

فالمعروف أن الخُلُق لا يكون في النفس فجأة، ولا يولد قوياً ناضجاً، بل يتكون على مكث، وينضج على مراحل. ولذا يركز الإسلام على تربية القلوب إذ هي محل الصلاح والفساد.

فمتى تزكت النفس، وتربت على المكارم، وتهذبت طباعها استقام السلوك الداخلي والخارجي لا محالة، وهذا بخلاف توجيه العناية إلى تقويم السلوك الظاهر فقط فإنه بناء على غير أساس، عرضة للانهدار في أي وقت.

ومن خلال استعراضنا لحوار موسى عليه السلام مع فرعون وقومه ظهرت لي سبل العلاج التي سعى فيها موسى -عليه السلام- للقضاء على تلك الموانع التي حالت دون قبولهم للدعوة وقد قمت بتقيسمها على النحو التالي :

المطلب الأول : السُّبُل العقلية .

المطلب الثاني : السُّبُل الحسية .

المطلب الثالث : السُّبُل النفسية .

المطلب الرابع : السُّبُل الاجتماعية .

١- انظر دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي وسبل علاجها ص ٢٨٧ .

٢- انظر مجموع الفتاوى ١٢٢/٢٠ .



## المطلب الأول: السبل العقلية

تعد السبل العقلية من أعظم السبل التي تقام لعلاج الموانع التي حالت دون قبول الحق، لأنها تلزم الخصم بالتسليم، بحيث لا يفرُّ منها إلا عناداً ومكابرة، أو عمى بصيرة، عندئذ يصبح العقل لا قيمة له عند صاحبه لأنه لا يُعْمَلُ فيما خُلِقَ له، ولذلك ينعت الله الكفار بأنهم لا يعقلون، لأنهم لم يُعْمَلُوا هذه الحواس فيما خُلِقَتْ له من إدراك الحقائق والتمييز بين الحق والباطل والضار والنافع والخير والشر، وكان محض التقليد والكبر والحسد ونحو ذلك من الحُجُب التي تحملهم على إهدار العقل وعدم التفكير للوصول إلى الحق وفي أمثال هؤلاء يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

والاستدلال بالسبل العقلية جاء في حوار موسى -عليه السلام- مع قومه حينما دعاهم إلى التوحيد وترك ما هم عليه من أباطيل ورثوها من أسلافهم وتواطأوا عليها عن طريق لفت النظر إلى الآيات الكونية والتذكير بنعم الله عليهم ليلفتهم إلى عظمة الخالق سبحانه وكمال قدرته، وليبين لهم أن ما يتمتع به فرعون وغيره إنما هو من الله سبحانه وبذلك يُري فرعون نفسه على حقيقتها من الضعف والعجز والحاجة الدائمة والافتقار إلى مُولي النعم كلها سبحانه فيقرُّ له بالوحدانية ويكف عما كان عليه من الكبر والتولي والإعراض والجحود.

قال تعالى حكاية عن موسى -عليه السلام- وقد سأله فرعون: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾<sup>(٢)</sup> ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾<sup>(٣)</sup> وهو جواب دلَّ على كمال هيمنة الله سبحانه على كل شيء وعلى عموم إحسانه إلى جميع خلقه، وعلى الدقة

١- الأعراف: ١٧٩.

٢- طه: ٤٩.

٣- طه: ٥٠.

المتناهية في الخلق والإحكام وأن فرعون وقومه مهما طغوا، وبغوا فإنهم جزء من خلقه، وتحت مشيئته وقبضته<sup>(١)</sup>.

فالله سبحانه وتعالى هو الذي أعطى كل شيء في الوجود خلقه اللائق به في المنافع المنوطة به، وما هو به أنسب من الصورة والشكل والمقدار واللون والطبع، ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾<sup>(٢)</sup> كلاً إلى وظيفته، كما هدى كل حيوان إلى منفعه فيسعى لها وهداه إلى مضاره فيحذر<sup>(٣)</sup>.

ولما لزم فرعون الحجة بهذا الدليل الساطع، أراد أن يصرف الأنظار إلى ما يتسع فيه المجال للحوار وهو ما أخبر الله سبحانه عنه بقوله: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾<sup>(٤)</sup>.

غير أن موسى -عليه السلام- لم يطل في الرد على هذا الأمر، بل أجابه بجواب مختصر وهو ما أخبر الله سبحانه عنه بقوله:

﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَىٰ﴾<sup>(٥)</sup>

ثم عاد موسى -عليه السلام- إلى الحديث السابق وهو الحديث عن عظمة الخالق سبحانه، ولفت النظر إلى آياته في الكون، ونعمه التي لا تحصى، فإن ذلك أدل على المقصود، أعني إفحام الخصم لمحاولة القضاء على ما في نفسه من كبر وغرور وذلك بذكر دلائل التوحيد الماثلة في الأنفس وفي الكون كله، فقال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّىٰ كُلُّوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾<sup>(٦)</sup>.

ولما كانت هذه الآيات البينات كافية في الهداية إلى الله عز وجل والدعوة إلى توحيده وعبادته، ختمها بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾<sup>(٧)</sup> أي: العقول التي من شأنها أن تنهى صاحبها عن الغي، ومن عمى عن ذلك فلا عقل له أصلاً، لأن عقله لم ينفعه، وما لا

١- معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم ١/ ٢٥٩-٢٦٠.

٢- طه: ٥٠.

٣- انظر تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٦.

٤- طه: ٥١.

٥- طه: ٥٢.

٦- طه: ٥٣.

٧- طه: ٥٤.

ينفع فإنه في حكم العدم<sup>(١)</sup>.

وفي موضع آخر يذكر الله سبحانه حواراً آخر لموسى عليه السلام مع فرعون - كما ذكر سابقاً<sup>(٢)</sup> - وهو يقرر له ربوبية الله سبحانه عن طريق إعمال الفكر والنظر في آيات الله المبثوثة في كل مكان حينما سأله فرعون عن رب العالمين الذي بعثه إلى الناس فقال :

﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمْعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

أتى موسى - عليه السلام - بالصفات الدالة على الله من مخلوقاته التي لا يشاركه فيها مخلوق، فالسماوات والأرض وما بينهما وفرعون ومن معه وآباؤهم الذين أوجدتهم الله من العدم، والمشرق والمغرب وما بينهما من العوالم التي لا سلطان لفرعون عليها، والتي لا يعلمها إلا الله سبحانه كل ذلك مربوب لله الواحد القهار<sup>(٤)</sup>، فكيف يجعل فرعون من نفسه إلهاً دون الله سبحانه؟

ثم تتجلى لنا مرحلة أخرى وهي مرحلة البلاء العظيم التي عاشها موسى - عليه السلام - مع بني إسرائيل بعد أن نكصوا على أعقابهم، وهم يتقلبون في غمرة النعم الإلهية فموسى - عليه السلام - واجه المشاق، في سبيل تخليص بني إسرائيل من العذاب المهين، حتى من الله سبحانه عليهم بذلك كما قال تعالى :

١- انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٥ / ٢٤ تأليف برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي . الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ الناشر: دار الكتب العلمية بيروت .

٢- انظر المبحث الأول من الفصل الثاني ص ١٧٧ - ١٨٠ .

٣- الشعراء : ٢٤ - ٢٨ .

٤- انظر فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ٤ / ٩٧ - ٩٨ .

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

ولقد كان للوثنية التي ألفها بنو إسرائيل في مصر أثر كبير على نفوسهم إذ كانت لاصقة بقلوبهم، كما كانت بلاد الطبع غالبية عليهم نتيجة الإذلال الذي مارسه نحوهم فرعون طويلاً حتى طبع الذل والبلاد في نفوسهم، من أجل ذلك كله لم تؤثر فيهم الآيات العظيمة التي أجراها الله سبحانه لإنجائهم وإهلاك عدوهم مثل انفلاق البحر لهم حتى جاوزوه على ييس، ولذلك لما جاوزوا البحر، وأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم طلبوا من موسى عليه السلام - أن يتخذ لهم إلهاً كما لهؤلاء القوم آلهة<sup>(٢)</sup> قال تعالى :

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

والذي يعنينا من هذا كله في هذا المجال هو أن نذكر أسلوب موسى عليه السلام - في العلاج وهو يدعو قومه إلى الاستقامة على دين الله، وذلك في تذكيرهم بنعم الله سبحانه عليهم، وقد ورد هذا كثيراً في القصص القرآني عن نبي الله موسى عليه السلام .

فمن ذلك تذكيرهم بتوبة الله سبحانه عليهم، بعد أن طلب منهم أن يقتلوا أنفسهم توبة إلى الله مما اقترفوه من عبادة العجل ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(٤)</sup>.

ومن ذلك تذكيرهم بنعمة إنجائهم من فرعون وتخليصهم من العذاب المهين الذي كانوا فيه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ

١ - الدخان : ٣٠-٣١ .

٢ - معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم ١ / ٢٦٢ .

٣ - الأعراف : ١٣٨ .

٤ - البقرة : ٥٤ .

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١﴾

قال ابن كثير - رحمه الله - : ( ﴿ وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ﴾ <sup>(٢)</sup> أي بآياته ونعمه عليهم، في إخراجهم إياهم من أسر فرعون وقهره وظلمه، وإنجائه إياهم من عدوهم، وفلقه لهم البحر، وتظليله إياهم الغمام، وإنزاله عليهم المن والسلوى، إلى غير ذلك من النعم) <sup>(٣)</sup> .

ومن ذلك تذكيرهم بنعمة النبوة التي جعلها في عدد من بني إسرائيل وسعة الرزق الذي صاروا به ملوكاً حتى كانوا أغنى العالمين يومئذ :

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

فحوار موسى - عليه السلام - مع قومه قام على المطالبة بإعمال العقل والفكر والتأمل في الدلائل والبراهين والآيات التي أيده الله بها للتوصل بذلك إلى معرفة الحق للقضاء على ما في نفوسهم من كبر وحسد وغرور .

كما أمروا بالتأمل كذلك فيما هم عليه من الخرافة، والباطل والضلال التي لا تستند إلى دليل، ولا تقوم على حجة، فقد كان من مبررات قوم موسى - عليه السلام - في إصرارهم على الباطل الذي كانوا عليه أنهم وجدوا آباءهم على هذه الطريق فتمسكوا بها وساروا فيها، دون أن يكون لهم حجة يستندون إليها سوى التقليد الذي أعمى بصائرهم، وأضلهم عن الحق فأهدروا به فائدة العقل الذي منحه الله للإنسان .

١- إبراهيم : ٥-٦ .

٢- إبراهيم : ٥ .

٣- تفسير القرآن العظيم ٢ / ٥٢٣ .

٤- المائدة : ٢٠ .

## المطلب الثاني: سبل العلاج الحسية

يُقصد بالسُّبل الحسية، كل فعلٍ مباشر محسوس قدّمه موسى عليه السلام لقومه في حوارهِ معهم شريطة أن يؤدي هذا الفعل إلى إزالة تلك الموانع التي حالت دون قبول الحق، أو يساعد على إزالتها، أو على الأقل يُحدث أثراً يهوّن من حدتها ووقعها في النفس، لأن هناك فئات من الناس ولغوا في المحسوسات حتى صار لا ينفع معهم إلا ما يحسونه ويلمسونه سواءً أكان ترغيباً وتشويقاً أم ترهيباً وتخويفاً<sup>(١)</sup>.

وقد استخدم موسى -عليه السلام- هذا السبيل مع فئات عدة ممن أُرسِل إليهم، وكان لهذا العلاج النبوي صور عديدة منها:

### ١ - التأييد بالمعجزات والخوارق:

ما من نبي أرسله الله عز وجل يدعو الناس إلى عبادة الله سبحانه ويبلغهم ما أوحى إليه إلا وكان له من الحجج والبراهين والأدلة ما يؤيد صدقه.

ومع هذا فإن الله سبحانه كان يُجري لرسله من المعجزات الحسية الخارقة للعادة ما يؤكد صدق دعواهم الرسالة، لمن لم يقنعه الدليل، ولم يهتد إلى الحق، بمقتضى الفطرة المستقيمة، والإدراك السليم، لوجود الحُجب التي تمنع من إدراك الحق، أو الاستجابة له، فلذلك تأتي المعجزات والخوارق قطعاً للمعاذير، وزيادةً في إظهار صدق الرسل، لأن المعجزات تُثبِتُ قطعاً أن الرسل جاءوا من عند الله سبحانه، وأنهم لم يفتروا الكذب على الله، لأن المعجزات من الأمور الخارقة لقانون الأسباب فهي خارجة عن قدرة الإنسان المحدودة، وعن سنن الكون المألوفة.

---

١ - انظر دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي وسبل علاجها ص ٢٩٢.

ولا شك في أن هذه الآيات تجهز على كل شك في النفوس، وتضمحل معها كل دعوى من شأنها التشكيك في صدق الرسل -عليهم السلام- لمن أراد الله له الهداية .

فقد ذكر الله سبحانه في القصص القرآني، عدداً من هذه الآيات التي أيد بها موسى -عليه السلام- كما أيد بها بعض رسله -عليهم السلام- وكثيراً ما كانت هذه الآيات سبباً في معالجة الأمم بالهلاك، إذا ما أصرّوا على كفرهم بعد مجيئها .

ومن هذه الآيات التي أيد الله بها نبيه موسى -عليه السلام- ما ذكر الله جملتها في كتابه وأنها تسع آيات جاءت في موضعين من القرآن الكريم :

أحدهما في سورة الإسراء في قوله سبحانه :

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾<sup>(١)</sup> .

وثانيهما في سورة النمل، في قوله سبحانه :

﴿وَادْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوَاءٍ فِي تِسْعَ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾<sup>(٢)</sup> .

قال ابن كثير -رحمه الله- (هي : يده وعصاه والسنين، ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، وهذا القول ظاهر جلي حسن قوي)<sup>(٣)</sup> .

فأما اليد والعصا، فهما المذكورتان في قوله تعالى :

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدَبِّرًا وَلَمْ يَعْقِبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ \* إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حَسَنًا بَعْدَ سَوْءٍ فَأِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

١- الإسراء : ١٠١ .

٢- النمل : ١٢ .

٣- تفسير القرآن العظيم ٦٧/٣ رجح ابن كثير هذا القول بعد أن ذكر أقوالاً أخرى في تحديد التسع آيات .

وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١﴾ .

والسبع الآيات الأخرى ذكرت في سورة الأعراف، وذلك في قوله تعالى :

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لَتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٢﴾ .

وقد أوتي موسى -عليه السلام- آيات أخرى كثيرة، منها ضربه الحجر بالعصا، وخروج الماء منه، ومنها تظليلهم بالغمام، وإنزال المن والسلوى وغير ذلك مما أُعطي بنو إسرائيل بعد مفارقتهم بلاد مصر، ولكن ذكر ههنا الآيات التسع التي شاهدها فرعون وقومه من أهل مصر فكانت حجة عليهم فخالفوها وعاندوا كفراً وجحوداً<sup>(٣)</sup> .

وهذه الدلائل التي أيد الله سبحانه بها رسوله موسى -عليه السلام- سماها الله تعالى آيات ووصفها بأوصاف عديدة منها :

أ- أنها بينات

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴿٤﴾ . أي علامات دالة على نبوته<sup>(٥)</sup>

ب- أنها بصائر :

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ... ﴿٦﴾ .

أي حججاً بينة كأنها بصائر العقول، لا يقدر عليها أحدٌ إلا الله سبحانه وتعالى، وهي

في الوقت نفسه تدل على صدق موسى -عليه السلام- في دعواه<sup>(٧)</sup> .

١- النمل : ١٠-١٢ .

٢- الأعراف : ١٣٠-١٣٣ .

٣- تفسير القرآن العظيم ٦٦/٣ - ٦٧ .

٤- الإسراء : ١٠١ .

٥- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ٢٦٢/٣ .

٦- الإسراء : ١٠٢ .

٧- انظر مفاتيح الغيب ٦٥/٢١ - ٦٦ .



ج- أنها مبصرة :

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾<sup>(١)</sup>

لما كانت هذه الآيات سبباً لتأملها والمفكرين فيها لإبصار الحقيقة جعلت كأنها هي المبصرة<sup>(٢)</sup>.

د- أنها مفصلات :

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفْصَلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

أي علامات ودلالات على صحة نبوة موسى -عليه السلام- وحقيقة ما دعاهم إليه مفصلات قد فصل بينها<sup>(٤)</sup> بزمان تمتحن فيه أحوالهم، وينظر أيستقيمون على ما وعدوا من أنفسهم أم ينكثون إلزاماً للحجة عليهم<sup>(٥)</sup>.

ولما كانت هذه الآيات بهذه الدرجة من الوضوح وقوة الحجة، فقد كان لها تأثير في نفوس آل فرعون، ولم يكن استمرارهم بعد ذلك على الكفر والنكران وجحود رسالة موسى عليه السلام، وعدم تصديق ما جاءهم به من الله تعالى إلا محض عناد واستكبار، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ ﴾<sup>(٦)</sup>.

فالآية تنص على أن فرعون لم يبق في نفسه شك في أن تلك الآيات لا تكون إلا بتسخير الله سبحانه، إذ لا يقدر عليها غير الله وإن فرعون إنما قال: ﴿ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾<sup>(٧)</sup> عناداً ومكابرة كما دل عليه قوله تعالى :

١- النمل: ١٣.

٢- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٣/ ١٣٨-١٣٩.

٣- الأعراف: ١٣٣.

٤- جامع البيان في تفسير القرآن ٩/ ٢١.

٥- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٢/ ١٠٨.

٦- الإسراء: ١٠٢.

٧- الإسراء: ١٠١.

أظهروا الجحود والنكران بعد حصول اليقين في قلوبهم وضمائيرهم، وذلك من أقبح الظلم، إذ لا يحمل على هذا الإصرار من التكذيب سوى العلو والاستكبار عن قبول الحق والتي كانت تلك الآيات سبيلاً للتغلب عليه، ولكن القوم استمروا في عنادهم وإصرارهم على الكفر كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ (٢).

كثرة النعم قد تُطغي بعض الناس فيتكبر على الحق والخلق فلا ينفع معه إلا إصابته بآفة توقظه من غفلته، وترقُّق من قساوة قلبه، وذلك هو أسلوب القوة<sup>(٣)</sup>.

هكذا ابتلعت الأرض في لحظة، وابتلعت داره وهوى في بطن الأرض التي علا فيها واستطال، فذهب ضعيفاً عاجزاً، لا ينصره أحد، ولا ينتصر بجاه أو مال.

فردت الضربة القاضية تلك الفئة التي تمت أن يكون لها ما لقارون إلى الله، وكشفت عن قلوبهم قناع الغفلة والضلال وتراجعوا عن أمنياتهم الباطلة: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ

٤ - القصص : ٨١ .

بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنُو وَيْكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١﴾.

اعتدلت أفكارهم واستقامت أفعالهم حينما رأوا عياناً ما حصل بالطاغي المغرور، وندموا بصدق على ما ظهر منهم من سوء، وعلموا أن الثراء ليس علامة على رضا الله فهو يوسع الرزق لمن يشاء من عباده ويضيقه لأسباب أخرى غير الرضى والغضب، ولو كان دليل رضاه ما أخذ قارون هذا الأخذ الشديد العنيف إنما هو الابتلاء الذي يعقبه البلاء.

فكثرة النعم على فئة قد ينشأ عنها إضلال الآخرين، إما بالإغراء الذي يحدثه مظهر النعمة في نفوس الآخرين.

وإما بالقوة التي يمنحها المال لأصحابه فيجعلهم قادرين على إذلال الناس أو إغوائهم، ووجود النعمة في أيدي المفسدين لاشك في أنه يزعزع كثيراً من القلوب التي لا يبلغ من يقينها بالله أن تدرك أن هذه النعمة ابتلاء واختيار، وأنها كذلك ليست ذات قيمة إلى جانب فضل الله في الآخرة. كما تدرك أن الذي أعطاهم هذه النعمة قادرٌ على سلبهم إياها لإيقاظهم من غفلتهم.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ (٢).

فقوله ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ (٣) تشير إلى أن الله -عز وجل- ما أخذهم بالسنين المجدبة وضيق المعيشة إلا رجاء تذكيرهم بضعفهم أمام قوة الله تعالى، وعَجَزِ مَلِكِهِم الجبار المتغطرس عن رفع البلاء عنهم، وكذا عجز آلهتهم التي يزعمون.

ولعل في تذكيرهم عبرة لهم في أن يرجعوا عن ظلمهم لبني اسرائيل، ويجيبوا دعوة نبيهم موسى -عليه السلام- لأن الشدائد من شأنها أن ترقق القلوب وتُرجع الأنفس إلى مرضاة الله (٤).

١- القصص: ٨٢.

٢، ٣- الأعراف: ١٣٠.

٤- انظر دعوة الرسل إلى الله تعالى ص ١٩١.

ولكن القوم هم القوم فلم تُجَدِ معهم تلك الشدائد، بل استمروا على عنادهم وأصروا على كفرهم فإذا جاءتهم الحسنة من خِصْبٍ ورخاء قالوا هي لنا دون غيرنا، وإن تصبهم سيئة من جَدْبٍ أو جائحة تشاءموا بموسى ومن معه:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ﴾<sup>(١)</sup> فكان جزاؤهم أن توالى النكبات عليهم واستمر نزول الآيات بهم الواحدة منها تتبع الأخرى وتُصدقِ اللاحقة منها السابقة:

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

ثم نجى الخاتمة وفق سنة الله في أخذ المكذبين بعد الابتلاء بالضراء والسرء، وتقع الواقعة لما ينس نبهم من دعوتهم ودعا ربه أن ينتقم منهم بعد أن أعيته السبل في صدهم عما هم فيه من ضلال حتى ازداد طغيانهم فبلغوا حداً لا بد أن يُردوا عنه:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾<sup>(٣)</sup>.

فجاء الأمر الإلهي لموسى -عليه السلام- بالخروج من مصر، فانطلق بقومه ليلاً قاصداً فلسطين، فلما علم فرعون بذلك أرسل أعوانه في الأقاليم يجمعون الناس بعنف لتجهيز جيش كبير حتى يقتفوا أثرهم فيدركوهم قبل أن يهربوا إلى فلسطين.

خرج فرعون وجنوده يتبعون موسى -عليه السلام- وقومه وتركوا وراءهم ما كانوا يتمتعون به من بساتين وجنات وكنوز ومقام كريم.

فلما وصل بنو إسرائيل إلى ساحل البحر الأحمر على خليج السويس أدركهم فرعون

١- الأعراف: ١٣١.

٢- الأعراف: ١٣٣.

٣- يونس: ٨٨.

وجنوده مع شروق الشمس، عندئذ أيقنوا بالهلاك، واستولى الذُّعر على نفوسهم وقالوا لموسى ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾<sup>(١)</sup> ولكن موسى -عليه السلام- طمأنهم بأن الله معه وسيهديه إلى طريق النجاة.

عندئذ أوحى الله عز وجل لموسى -عليه السلام- بأن يضرب البحر بعصاه ففعل، فانشق الماء وصار فيه اثنا عشر طريقاً يَبَسُّ على عدد أسباط بني إسرائيل ووقف الماء بينها كالجبل العالي، فسار بنو إسرائيل في الطرق المفتحة لهم في البحر وأشرف فرعون في ذلك الحين على المواضع التي عبروها فرأى طريقاً في البحر، فاقتحم هو وجنوده هذا الطريق خلف بني إسرائيل فانطبق الماء على فرعون وجنوده وأغرقهم جميعاً، وأنجى الله موسى ومن معه من بني إسرائيل فكان ذلك دليلاً لهم على صدق موسى -عليه السلام- وإحقاقاً لوعده الله لهم بأن يورثهم تلك النعم<sup>(٢)</sup>.

وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَهِنَ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي جانب آخر من جوانب الدعوة والذي لا يقل شأنًا عن سابقه يتجلى لنا لونٌ من ألوان الحرمان من النعم لبني إسرائيل بعد أن تقلبوا فيها برهة من الزمن.

فبعد أن أنقذ الله بني إسرائيل من الحال التي كانوا عليها تحت سطوة فرعون وجبروته وآمنوا بما جاء به موسى -عليه السلام- ظهرت منهم مواقف ينبو عنها الطبع السليم، والعقل الرشيد. وقد كانوا أحق بالتوجه إلى الله -عز وجل-، والتزام الأدب معه كما يليق بعظمته وجلاله، إظهاراً لكمال العبودية لله عز وجل والشكر له. لسببين:

**السبب الأول:** أن الله عز وجل أراهم على يد موسى -عليه السلام- من الآيات الخارقة للعادة مالم ير أمة أخرى، فقد رأوا الآيات التي جاء بها موسى -عليه السلام- إلى

١- الشعراء: ٦١.

٢- انظر تفسير القرآن العظيم ٢/ ٤٣١.

٣- الدخان: ٢٥-٣١.

فرعون وملئه، والتي أخذ الله عز وجل بها قوم فرعون من السنين، ونقص الثمار، وتعذيبهم بالطوفان، والجراد والقمل والضفادع والدم.

وأراهم عز وجل آية العصا، وانفلاق البحر، وإيجاد الطريق اليبس فيه، إلى غير ذلك من الآيات الباهرة يقول الله تعالى في الإخبار عن هذه الآيات:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾<sup>(١)</sup>. ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾<sup>(٢)</sup>.

السبب الثاني: وفرة النعم التي أغدقها عليهم، والتي ذكرها الله -عز وجل- في كتابه الكريم ليدكرهم بما يوجب عليهم الشكر لله تعالى، والكف عن التمرد والعصيان والفساد في الأرض، يقول الله عز وجل:

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ويقول الله سبحانه:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْت أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

ومع هذا كله تجد الانحراف عن العادة والشذوذ في الطبع وتبلد الإحساس الذي أفضى بهم إلى الحرمان من كثير من النعم التي تقلبوا فيها.

فمثلاً حينما أمرهم موسى -عليه السلام- بدخول الأرض المقدسة<sup>(٥)</sup> التي كتب الله لهم أن ينعموا فيها بالأمن والاستقرار بعد أن أغرق الله عدوهم وهم ينظرون نجدهم يقابلون ذلك الأمر بالعصيان والنكول الذي ينبىء عن الجحود والجهل بحق الله تعالى:

١- الأعراف: ١١٧.

٢- طه آية ٧٧.

٣- البقرة: ٤٧.

٤- المائدة: ٢٠.

٥- انظر المبحث الأول من الفصل الثاني ص ٢٤٥ - ٢٦٠.

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾<sup>(١)</sup>.

فلقد قضى الله ولا راداً لقضائه في أن تكون الأرض المقدسة محرمة على بني إسرائيل جزاء عصيانهم وجبنهم تحريماً فعلياً لا تكليفاً شرعياً مدة أربعين سنة يسировون في برية من الأرض تائهين لا يدرون إلى أين ينتهون في سيرهم<sup>(٢)</sup>.

وحينما أمروا بدخول القرية<sup>(٣)</sup> التي أبيحت لهم خيراتها جميعاً على أن يقولوا دعاءً بعينه حال دخولهم سجداً، فإذا فريق منهم يُبدلون صيغة الدعاء التي أمروا بها، ويبدلون الهيئة التي كلفوا أن يدخلوا عليها، عندئذ يرسل الله عليهم من السماء (التي كانت تنزل عليهم المن والسلوى وتظلمهم بالغمام) عذاباً بما كانوا يظلمون:

﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

ومرة أخرى يقع القوم في المعصية والخطيئة وهم في هذه المرة لا يُخالفون الأمر جهرية ولكنهم يحتالون على النصوص<sup>(٥)</sup> ليفلتوا منها ويأتيهم الابتلاء فلا يصبرون عليه.

﴿ وَاسْتَلْهَمُوا عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾<sup>(٦)</sup>.

١- المائدة: ٢٤-٢٦.

٢- انظر دعوة الرسل إلى الله تعالى ص ٣٧٨.

٣- انظر المبحث الأول من الفصل الثاني ص ٢٥٧-٢٥٩.

٤- الأعراف: ١٦١-١٦٢.

٥- انظر المبحث الأول من الفصل الثاني ص ٢٣٣-٢٤٤.

٦- الأعراف: ١٦٣-١٦٦.

فلما لم يُجِدِ النصح ولم تنفع الموعظة معهم حقت عليهم كلمة الله وتحقق وعده وانتكسوا إلى عالم الحيوان حين تخلوا عن خصائص الإنسان. ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾<sup>(١)</sup>. قيل: إن الله عاقبهم أولاً بالبؤس والشقاء في المعيشة، لأن من الناس من لا يربيه إلا الشدة، كما أن منهم من يريه الرخاء والنعمة، وبكل يبتلي الله عباده، ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. ولكن هؤلاء القوم لم يزدهم البؤس إلا عتوا وإصراراً على الفحش والظلم فدمدم عليهم ربهم بذنبهم ومسخهم مسخ خلُق وبدن فكانوا قرده بالفعل<sup>(٣)</sup>.

---

١- الأعراف: ١٦٦.

٢- الأعراف: ١٦٨.

٣- انظر دعوة الرسل إلى الله تعالى ص ٢١٥.



## المطلب الثالث: السبل النفسية

للسبل النفسية قدرة عظيمة في فتح النفوس، بيد أن استعمال مفتاح العوامل النفسية صعب لا يتسنى إلا بكثير من المهارة والحدق<sup>(١)</sup> فتأثير هذه السبل في نتائج الدعوة من نجاح وإخفاق له أهميته الكبيرة، فقد تؤثر في جذب الناس أمور شتى، ولكن لا ريب أن السبل النفسية -التي تلامس أدق انفعالات النفس الإنسانية فتثير فيها شعوراً أو تحرك عاطفة- من أهمها في جذب نفوس الناس<sup>(٢)</sup> والعوامل التي تثير ذلك كثيرة منها:

الترغيب والترهيب والأدب وحسن العرض .

وقد استخدم القرآن الكريم هذا السبيل فتراه يدعو للتأمل في السماء والأرض وما بينهما من الآيات التي صنعت في إتقان وإبداع: كالنجوم، والشمس والقمر والبحار والأنهار والجبال إلى غير ذلك من الآيات التي تبهر الأبواب وتحرك النفوس فتسأل بشغف: من ذا الذي صنع ذلك؟ فيقول المجيب: ﴿صَنَّعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾<sup>(٣)</sup> وحسن العرض له زوايا وطرق متعددة منها تقديم الحقائق والمعاني والقيم في وعاء جميل وشكل جذاب، وكساء أنيق...

ولقد استخدم كلیم الله موسى -عليه السلام- هذا السبيل في معرض حوار مع فرعون حينما حاول استمالة قلبه فناده بقلبه في أدب واعتزاز<sup>(٤)</sup>: ﴿يَا فِرْعَوْنُ﴾<sup>(٥)</sup> إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ فكأنه قال: يا ملك مصر إني رسول من رب العالمين فلا غرو أن يتعجب فرعون ويستنكر هذا القول ممن رباه في بيته وأطعمه من طعامه وسقاه من شرابه، كيف يتنكر له ويقابل جميل صنعه بأن يدعو به إلى إله غيره.. ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٧)</sup>.

ولا غرو في أن يهدده ويتوعده بالسجن والقتل وهو الذي سيقضي على ملكه وجاهه

١- انظر سيكولوجية القصة في القرآن ص ٢٤- د. التهامي نقره الطبعة الثالثة الناشر: الشركة التونسية.

٢- انظر دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي وسبل علاجها ص ٣٥٩ .

٣- النمل: ٨٨.

٤- في ظلال القرآن ١٣٤٦/٣.

٥- يقال للملوك مصر الفراعنة كما يقال للملوك فارس الأكاسرة (انظر الكشف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل ١٠٠/٢).

٦- الأعراف: ١٠٤.

٧- الشعراء: ١٨-١٩.

ولا غرو في أن يهدده ويتوعده بالسجن والقتل وهو الذي سيقضي على ملكه وجاهه  
كما يرى: ﴿قَالَ لَنْ اتَّخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (١).  
وقوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ  
أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (٢).

فتجده يكيل له العبارات البذيئة وينسب إليه الصفات الدنيئة ويقابله موسى — عليه  
السلام — بأدب وحسن خلق قال تعالى:

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي  
آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ  
لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٣).

وهو رد مؤدب مهذب يلّمح فيه ولا يصرح، وفي الوقت ذاته ناصح واضح، مليء  
بالثقة والطمأنينة إلى عاقبة المواجهة بين الحق والباطل.

فلم يقاطعه في حديثه ولم يشتمز من كلامه بل أكثر من ذلك يفسح له المجال للحوار  
والسؤال، كي يُفرغ كل ما في جعبته فتقوم عليه الحجة، ولم يكتف بذلك بل كان يناديه في  
كل مرة بأحسن ألقابه ﴿يَا فِرْعَوْنُ﴾ لأن هذه الملاطفة قد تهيء الجو المناسب للاستجابة  
وتشوق المدعو للازدياد مما لدى الداعي فضلاً عن ما فيها من ترقيق لنوازع الغطرسة  
والكبرياء، إذ يحس بأن له قيمة لدى الداعي كما يشعر ببقاء جاهه وعزه.

كما اتبع موسى عليه السلام الأسلوب نفسه مع بني إسرائيل ليحببهم ويقربهم من  
الدعوة. فتراه يخاطبهم كلما أراد توجيههم بقوله ﴿يَا قَوْمُ﴾ التي يُلّمح من خلالها إشفاقه  
عليهم من التردّي أو النكوص على الأعقاب.

١- الشعراء آية: ٢٩.

٢- غافر آية: ٢٦.

٣- القصص الآيتان: ٣٦-٣٧.

قال الله تعالى :

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ<sup>(١)</sup>﴾ .

وقوله : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ<sup>(٢)</sup>﴾ .

وقوله : ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا<sup>(٣)</sup>﴾ .

ففي مثل هذه الكلمات امتصاص لنوازع العناد والجهالة ، إذ فيها إشعار لهم بالمسئولية ، وتذكيرهم بفضائل الله عليهم .

كما يلاحظ أن الكليم موسى —عليه السلام— كان يتجنب الدخول مع فرعون في حوار لا ينتهي إلى شيء إلا الشد والجذب وإضاعة الوقت والجهد :

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى \* قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى<sup>(٤)</sup>﴾ .

وهذا من الإعراض عن الجهل والجاهلين الذي يفضي إلى تذليل نفوسهم وترويضها بدلاً من الفحش في الرد واللجاج والعناد .

١- البقرة : ٥٤ .

٢- المائدة : ٢٠-٢١ .

٣- طه : ٨٦ .

٤- طه : ٥١-٥٢ .

## المطلب الرابع: السبل الاجتماعية

لكل مجتمع أعراف وتقاليد وقيم وأخلاق تكون بمنزلة المرشد الذي يحدد سلوك الأفراد<sup>(١)</sup>، وهذه تختلف باختلاف الثقافات من مجتمع لآخر. بل إن الإدراك والمعرفة تتأثران بالماضي الاجتماعي وبمصالح وطبيعة الأفراد<sup>(٢)</sup>.

لذا فإنه من الأهمية بمكان إحاطة الداعي بجميع أحوال المدعو، وملابس حياته، من حيث مكانته في قومه ووضعه الاجتماعي... فعن طريق الاطلاع والخبرة وقربه من المدعوين سيكتسب معرفة الكثير من سلوكهم باختلاف أجناسهم. كما يختصر كثيراً من المسافات الاجتماعية التي تبعده عن المدعوين. وبذلك تكون دعوته أعمق أثراً، وأوسع انتشاراً والتركيز على دعوة الملائمة من أهم السبل الاجتماعية التي استخدمها الكليم موسى -عليه السلام- في حوار مع قومه.

فالملائمة بأوصافهم وأخلاقهم التي بينها القرآن الكريم، يوجدون في كل مجتمع وفي كل مكان وزمان ولهذا فهم يقفون غالباً في وجه كل دعوة إلى الله تعالى، ويحاربونها بدافع من الكبر الذي يغشى نفوسهم وبدافع حب الرياسة على الناس، وخوفهم من أن تسلبهم هذه الدعوة الاصلاحية مركزهم ومكانتهم.

فالمجتمع بكامله قد يتحرك لحركة أحد هؤلاء الكبراء، فينفرون من عدوه ويقربون من صديقه، فمراعاة أحوال هؤلاء في حقيقة الأمر مراعاة لمن وراءهم كذلك.

وفي هذا ترشيد للجهود الدعوية لأن الداعية قد يدعو أفراداً لا حساب لهم ولا يحصل على الأثر المرجو لارتباطهم بهؤلاء الزعماء وخوفهم منهم.

لذا حرص موسى -عليه السلام- على التركيز على تلك الفئة واستثمارها لأن فيها علاجاً فعالاً لمن وراءهم فالتقليد الأعمى لهؤلاء الزعماء أنجع علاج له، محاولة دعوتهم إلى

١- انظر المرشد في علم النفس الاجتماعي ص ١٢١-١٣٦. تأليف: د. عبد الحميد بن محمد الهاشمي الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ. الناشر: دار الشروق.

٢- دوافع إنكار دعوة دعوة الحق في العهد النبوي وسبل علاجها ص ٣٣٧.

الرسول كأنه خاص بهم، لأنهم إذا آمنوا بالرسول واتبعوه، زالت العقبات المانعة لعامة الناس من معرفة الحق وأتباعه<sup>(١)</sup> قال تعالى:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبينٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

فصاحب السلطة لا يمكن مساواته بالرجل العادي<sup>(٥)</sup>، الذي لا يملك إلا أمر نفسه، ولا يعني هذا إهماله، ولكن يعني الاهتمام والتخطيط السليم لدعوة الملأ، أو على الأقل تحييدهم فلا يتعرضوا للدعوة بسوء، ولا يكونوا عقبة تحول بين الناس وبين قبول الحق.

ومن عنايته -عليه السلام- بهذا الجانب ذهابه. إليهم في دورهم وأماكن تجمعهم لما يعرفه فيهم من أنفة قال تعالى:

﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ فَأَتْيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بَايَةً مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَىٰ﴾<sup>(٦)</sup> فقلوه: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ... إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ... قَدْ جِئْنَاكَ بَايَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ دليل على أن الدعوة لفرعون هي في الحقيقة دعوه لمن تحته من الناس.

فذهاب موسى -عليه السلام- بنفسه إليه قد يكون له أثره الإيجابي في القضاء على ما

١- انظر المبحث الأول من الفصل الثالث ص ٣٣٩ .

٢- الأعراف: ١٠٣ .

٣- يونس: ٧٥ .

٤- المؤمنون: ٤٥-٤٦ .

٥- انظر وقفات دعوية في رحلة سفير الدعوة الأول مصعب بن عمير إلى المدينة ص ٤٤ تأليف: د. زيد بن عبد الكريم الزيد الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - الناشر: دار العاصمة - الرياض .

٦- طه: ٤٣-٤٧ .

في نفس فرعون من كبر وحسد كما سيشعره بالأمن على ملكه وجاهه الذي كان يخشى عليه بمجرد ظهور موسى عليه السلام.

وخلاصة القول: أن مراعاة هؤلاء والتركيز على دعوتهم فيه علاج مباشر للتقليد الأعمى، حيث لا يخفى مبلغ أثر هذا الصنف على من وراءهم. كما أن فيه علاج لدافع الكبر والحسد، حيث تُقْتَلَع دواعيهما بما يشعرون به من اهتمام واحترام من الداعية.

## الفصل الخامس

## **الفصل الخامس**

**أوجه الاستفادة من الحوار في دعوة موسى -عليه السلام-  
في الوقت الحاضر**

**ويحتوي على مبحثين:**

**المبحث الأول :** فوائد تعود على الداعية .

**المبحث الثاني :** فوائد تعود على المدعو .



تمهيد :

إن القصص القرآني آية للخلق فيه عبر وعظات وذكرى تنفع المؤمنين فهو يخاطب الأجيال بما هو ماضٍ في الخلق من سنن لا تحابى ولا تجامل ولا تتبدل ولا تتحول: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ (١).

والقرآن الكريم حين يذكر لنا قصص الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام- يبين لنا ما وقع بالمكذابين من أقوامهم لتحذر الأجيال أن تفعل فعلهم أو تسلك سبلهم، فيرينا آثارهم قائمة بدونهم أو مدمرة مأخوذة بذنوبهم.

وكل ذلك فيه من العبرو العظات مافيه، قال تعالى :

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ (٢).

لهذا فإن القصص القرآني - وهو الحق- له أثره البالغ في تربية النفوس وإعدادها وتقويتها وتثبيتها على الحق.

وحوار موسى -عليه السلام- مع فرعون وقومه الذي قصه الله علينا في كتابه فيه دروس للأغنياء والفقراء للمتكبرين والمستضعفين، للحكام والمحكومين للكبار والصغار، للرجال والنساء.

قصة تنفذ إلى قلب الحكام حيث كانوا فتعلمهم أن ما في أيديهم تبيده معاصيهم وتعصف به ذنوبهم وهم بذلك يؤخذون ويهلكون ﴿كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

١- محمد: ١٠.

٢- هود: ١٠٠-١٠٣.

كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١﴾.

وتنفذ إلى قلوب المحكومين فتعلمهم أن طاعة الحكام في معصية الله تسوقهم معهم إلى الدمار والبوار:

قال تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ (٢).

قصة تُعلم كل إنسان أن ينظر إلى العواقب فيحسن المقدمات، ولا يسيء ولا يقف عند الشهوات فيركن إليها وينسى سوء عاقبتها.

تعلم الجميع أن بساط دنياهم سيطوى وأنهم قادمون على دار البقاء ولا أمن لهم فيها إلا بصدق الإيمان واستقامة السلوك. ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٣).

ففوائد الحوار في دعوة موسى -عليه السلام- كثيرة ومتشعبة، لذا رأيت أن أقسم هذا الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول: فوائد تعود على الداعية.

المبحث الثاني: فوائد تعود على المدعو.

جمعت فيهما ما رأيته مناسباً لعنوان هذا البحث وأغفلت الكثير منعاً للإطالة.

١- الأنفال: ٥٢ .

٢- الزخرف: ٥٤-٥٦ .

٣- الأنعام: ٨٢ .

# **المبحث الأول**

## **فوائد تعود على الداعية**

ويحتوي على ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** الفوائد المستنبطة من حوار موسى -عليه السلام- مع فرعون .

**المطلب الثاني:** الفوائد المستنبطة من حوار موسى -عليه السلام- مع بني

إسرائيل .

**المطلب الثالث:** الفوائد المستنبطة من حوار الرجل المؤمن مع فرعون وقومه .

## المطلب الأول : الفوائد المستنبطة من حوار موسى عليه السلام مع فرعون

### ١ - أهمية البدء بعقيدة التوحيد :

إن الأنبياء جميعهم بعثوا للدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، مبينين الطريق الموصل إليه . وقد اتفقت رسالاتهم في أصول الإيمان وأصول العبادات ومكارم الأخلاق . فبينهم قَدْرٌ مشترك - وإن اختلفت شرائعهم - كما قال صلى الله عليه وسلم : «الأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»<sup>(١)</sup> ، فالتوحيد وإفراد الله بالعبادة، ونبذ كل ما يعبد من دون الله هو القضية الأولى التي دعوا إليها وجاهدوا فيها فلم يقدموا عليها شيئاً، ولم يخضعوها لأي شيء .

فقد صدعوا بكلمة واحدة ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾<sup>(٢)</sup> يقوم عليها دين الله كله ويتعاقب عليها الرسل جميعاً على مدار التاريخ . وعلى أساسها تدور المعركة بين الحق والباطل، جهاد بالحجة، وجهاد بالقوة لتقرير هذه العقيدة مع القريب والبعيد .

فالتوحيد هو أهم قضية، والعقيدة هي المنطلق مهما كانت التكاليف والتضحيات، فلا بد من البدء بالدعوة إلى التوحيد الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله إذ لا تصح الأعمال إلا به فهو أصلها الذي تبنى عليه<sup>(٣)</sup> .

فقضايا العقيدة مواطن حسم لا تقبل أن نلتقي فيها مع المخالف في منتصف الطريق، فالحق والباطل لا يلتقيان أبداً .

والعقيدة بعد هذا هي الرابطة التي نلتقي عليها، وإلا فلا لقاء . وعلى هذا النهج سارت قافلة الإيمان من أنبياء الله ورسله، يتبرأون من كل رابطة تنافي رابطة العقيدة .

وكذلك الحال بالنسبة للدعاة عليهم أن يتبرأوا من كل رابطة تنافي رابطة العقيدة الصحيحة المنزلة من عند الله سبحانه وتعالى .

١ - أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء باب ﴿اذكر في الكتاب مريم...﴾ ٤ / ١٤٢ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب فضائل الأنبياء باب فضائل عيسى عليه السلام ٤ / ١٨٣٧ رقم ٢٣٦٥ .

٢ - الأعراف : ٧٣ .

٣ - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص ١٢٢ .

## ٢- التلطف في القول والدعوة بالحسنى :

أمر الله عز وجل - موسى وهارون - عليهما السلام - أن يبلغا فرعون الرسالة الإلهية، وأمرهما بأن تكون دعوتهما له بالحسنى وأن تكون برفق ولين كما جاء في قوله تعالى : ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (١).

فمن آداب الدعوة أن تكون لينة لا غليظة ولا سيما مع المتكبرين الجاحدين، لأن الغلظة في القول لا تزيدهم إلا عتواً ونفورا (٢).

فقد التزم موسى -عليه السلام- بهذا الأسلوب في دعوته إلى الله عز وجل مع بني إسرائيل - كما التزمه مع فرعون - فهو يستميل قلوبهم ويدكرهم بنعم الله عليهم ويشعرهم بالحرية التي من الله بها عليهم بعد إنقاذهم من الاستعباد والذل الذي أذاقهم إياه فرعون، يفعل ذلك كله لعلهم يرقون لدعوته ويستجيبون لهداه فيقول لهم : ﴿يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ (٣).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَذُبُّونَ آبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (٤).

فرغبة منه في لمس قلوبهم والتأثير فيهم استخدم لفظة ﴿يَا قَوْمِ﴾ تقرباً وتحبباً إليهم ليشعرهم بأنه منهم وهم منه (٥).

والدعوة بالحسنى والتلطف بالقول مع المدعوين أسلوب يلتقي مع منهج الإسلام في الدعوة إلى الله عز وجل قال تعالى :

١- طه : ٤٤ .

٢- انظر دعوة الرسل إلى الله تعالى غايتها وتاريخها ص ٢٠٨ . تأليف : د. محمد بن رجب الشثيوي - الطبعة الأولى - ١٤٠٦ هـ . الناشر مؤسسة سعيد للطباعة - طنطا .

٣- المائدة : ٢٠ .

٤- إبراهيم : ٦ .

٥- انظر مع قصص السابقين في القرآن ص ١٢٣ .

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(١)</sup>.  
وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾<sup>(٢)</sup>. فالدعوة إلى الإسلام لا تكون إلا بالرفق واللين والتلطف في القول.

وما ذاك إلا لعظيم ثمرة هذا المنهج في النفوس فالرفق واللين والرحمة تستجمع القلوب حولها وتتألف النفوس، والداعية أحوج ما يكون إلى هذا ليستصلح الناس، الذين هم بحاجة إلى كنف رحيم يشفق لحالهم، وودٌ وبشاشة تجتذب قلوبهم، وإلى حلم لا يضيق بجهلهم ونقصهم وضعفهم.

وكم يخطئ الداعية عندما يعامل الناس بالمستوى الذي هو فيه، وقد استقرت حقائق الهدى في نفسه، وظهرت آثارها في أعماله ويريد منهم - والفرق بينه وبينهم ما ذكر - أن لا يجهلوا، ولا تصغرا اهتماماتهم، ولا تضيق آفاقهم وهذا أمر عسير.

إنما الداعية حقاً من يستوعب هذا كله، ثم يرتفع بالناس برفق فلا فظاظة ولا جفاء.

فلقد كان الهداة الدعاة - أنبياءُ الله عليهم الصلاة والسلام - في الرحمة والرفق بالناس على أعلى المراتب يتجلى ذلك في سيرهم، ومواقفهم مع أقوامهم، فقد بلغت بهم الرحمة بالخلق أقصاها، فاتسعت صدورهم لجهل الناس وسفاهتهم، وأذاهم لهم وسوء معاملتهم، يوصفون بأسوأ الأوصاف، بالسكر تارة، وبالجنون أخرى، وبالكذب ثالثة كما جاء في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

وما كان الغضب يستطير بهم بل كانوا يتحملون، وينادون في قومهم إنا لكم ناصحون وقد كانوا من النصيح على أعلى المراتب، فلم يدعوا طريقاً يستجلبون به هداية

١- النحل : ١٢٥ .

٢- آل عمران : ١٥٩ .

٣- الذاريات : ٥٢ .

الناس إلا سلكوه، في رحمة ويسر وشفقة على الخلق .

فالتحلي بالقول اللين إرشاد سام ذكره القرآن وحث عليه ليكون مثلاً يُحتذى به في كل الأزمان والظروف . فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا صاحبهما اللين، كانا أشد وقعاً على النفس في ردّها عن غيّها، لأنه يترك لها فرصة التفكير في الوضع الذي هي فيه وفي فائدة النصيحة التي أُلقيت إليها وهذا هو الذي يرضي كرامتها وكبرياءها ويجعلها طيعة لقبول ما يعرض عليها من الخير إذا صاحبه الإقناع<sup>(١)</sup> بخلاف طريقة القسر والشدة والقول الغليظ فإنه يحملها على التمرد والنفور وعدم تقبل النصيحة .

### ٣- تَحْيِينُ الْفُرْصِ واختيار الوقت المناسب للدعوة :

لما تلقى موسى -عليه السلام- الأمر الإلهي بالدعوة إلى الله -عز وجل- توجه بها إلى فرعون وأخذ يحاوره ويعرض عليه دعوته بلين ورفق -كما ذكر آنفاً<sup>(٢)</sup>- متحِيناً بذلك الفرص المناسبة والأوقات الملائمة لإنجاح دعوته عليه السلام .

لذلك نجده لما بادره فرعون بالسؤال عن هذا الإله الذي يدعو إليه كما جاء في قوله تعالى : ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾<sup>(٣)</sup>؟ تحيّن هذه الفرصة التي تنبئ عن استعداد وتقبل للدعوة فأخذ يوقظ في فرعون العقل والضمير علّه يهتدي ويثوب إلى رشده .

فيعرفه بالإله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . وأن هذا الإله يمكن أن يُتعرّف عليه عن طريق إعمال العقل والفكر في ملكوت السماوات والأرض .

ولهذا لم يدخل موسى -عليه السلام- مع فرعون في جدل منطقي عقيم، وإنما تحيّن

١- اليهود في القرآن ص ٢٣٨ .

٢- انظر المبحث الأول من الفصل الثاني ص ٢٩٩ - ٣٠١ .

٣- طه : ٤٩ .

الفرصة سريعاً، وأخذ يدل فرعون على آثار الخالق في هذا الكون قائلاً: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾<sup>(١)</sup> فإن من نظر في هذه المحدثات وما تضمنته من دقائق الحكمة علم أن لها صانعاً واجب الوجود عظيم العطاء والجود<sup>(٢)</sup>.

ولهذا يوجب الإسلام على الإنسان أن يُعْمَلَ نظره وفكره في من حوله حتى يتدبر ويعبد الله على حق<sup>(٣)</sup> قال تعالى ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٤)</sup>.

ونجده يستغل الفرصة في موطنٍ آخر لما سُئِلَ عن رب العالمين، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٥)</sup> حيث كان يمكنه أن يجيب عن ذلك السؤال بقوله رب العالمين هو (الله) ولكنه اختار من الألفاظ ما يبين به أمر العقيدة في كل فرصة تتاح له، فأخذ يوضح الربوبية بالأمر الذي لا يمكن لفرعون أن يدّعيه على أي حال من الأحوال. ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾<sup>(٦)</sup>.

وطالما الأمر كذلك فالذي خلق السماوات والأرض هو الذي خلق ما بينهما من جماد وحياة وإنسان وحيوان وترتيب النتائج على المقدمات على هذا النحو من شأن العلماء الذين لديهم يقين.

فانتفخت أوداج الطاغية وجُنَّ جنونه لما سمع ذلك الكلام من موسى -عليه السلام- فحاول إخفاء مشاعره بالصاق ما يعتمل في نفسه بالخصم<sup>(٧)</sup>. فتصنّع الهدوء والاستخفاف وقال: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾<sup>(٨)</sup>.

وبنفسية المصلح الرببي أثار فيهم موسى -عليه السلام- السعي إلى التعقل والتفكير مرة

١- طه : ٥٠ .

٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٦ / ٢٠٢ .

٣- دعوة الرسل إلى الله تعالى غايتها وتاريخها ص ٢١١ .

٤- يونس : ١٠١ .

٥- الشعراء : ٢٣ .

٦- الشعراء : ٢٤ .

٧- انظر في موكب النبيين ٢ / ٣٩٧ تأليف: سيد بن أحمد الكيلاني الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ الناشر دار القلم - الكويت .

٨- الشعراء : ٢٧ .



أخرى فطرح أمامهم برهاناً آخر يدل على وحدانية الله ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(١)</sup> فلم يقل إنك مجنون كما اتهمه فرعون زوراً. فأخذ فرعون يهدده بالسجن، ويتوعده بذلك، ولكن موسى -عليه السلام- أراد أن يقطع الشك باليقين، وأن يقضي على كل شبه فرعون فقدم له آية تدل على صدقه قال تعالى ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup> فكانت بمثابة الصاعقة على فرعون ومن معه من ملائكة.

فلما أسقط في يده أخذ يبحث عن لعبة أخرى يزيّف بها الحقائق، فقال إن ما جاء به موسى هو من قبيل السحر، ولكنه لم يستطع أن يخفي انبهاره بما رأى فوصف موسى -عليه السلام- بالساحر العليم كما جاء في قوله تعالى :

﴿قَالَ لِلْمَلَآئِكَةِ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ﴾<sup>(٣)</sup> فهو يؤكد كلامه بأن هذا ساحر وقد بلغ من العلم بالسحر مبلغاً فكان عليمًا لا عالماً فقط<sup>(٤)</sup>.

الأمر الذي دفعه إلى أن يطلب من موسى -عليه السلام- أن يحدد موعداً يتبارى فيه مع سحرة فرعون الذين عُرفوا بالحدق والمهارة في هذه المهنة.

فاختار موسى -عليه السلام- يوم الزينة موعداً لاجتماعهم حتى يستطيع أن يدحض ويُبطل حجج الكافرين والمعاندين أمام الجميع وفي وضوح النهار والشمس ساطعة ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيى عن بينة قال تعالى :

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لَتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾<sup>(٥)</sup>.

١- الشعراء : ٢٨ .

٢- الشعراء : ٣٢-٣٣ .

٣- الشعراء : ٣٤-٣٥ .

٤- انظر في موكب النبیین ٣٩٨/٢ .

٥- طه : ٥٧-٥٩ .

#### ٤- إن البلاء في الدنيا سنة من سنن الله سبحانه لأتبيائه وأوليائه :

البلاء في الدنيا سنة من سنن الله سبحانه وتعالى، وأنه قد يكون على أولياء الله سبحانه أشد منهم على غيرهم، يدل على ذلك .

ما رواه سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- قال : « قلتُ يا رسول الله أي الناس أشد بلاءً؟ قال : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، فيبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان دينه صلَباً اشتد بلاءه ، وإن كان في دينه رِقَّة ، ابتلي على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة »<sup>(١)</sup>.

فكانت حياتهم وما واجهوا معالم شاهدة على أن الابتلاء سنة من سنن الله سبحانه وتعالى، فطريق الدعوة إلى الله طريق شاق تعب فيه آدم كما يقول ابن القيم -رحمه الله- ونوح لأجله نوح، ورُمي في النار الخليل، وأُضْجَع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس، ولبث في السجن بضع سنين<sup>(٢)</sup>.

هذه الأمثلة توضح سنة الله سبحانه في عبادته، وأنه لا بد لمن ادَّعى الإيمان أن يُبتلى وبالأخص من سار على نهج الأنبياء في حمل الدعوة، فهؤلاء إذا صدقوا لا بد أن يصيبهم من البلاء الشيء الكثير، ذلك أن أصحاب الجريمة وأرباب الظلم من طواغيت الأمم الذين تربت أنفسهم على محاربة الحق والفضيلة، وألفت المعاصي والردائل، واستساغت الجريمة، هذا الصنف من الناس، لا يريد أن يسمع كلمة الحق، ولا أن يُدعى إلى هدى أو فضيلة، فهو ينفر من هذا الكلام، كما يشق عليه رؤية الحاملين لهذه الدعوة، ولذلك لما كان هؤلاء يفقدون

---

١- أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/ ١٧٢، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن باب الصبر على البلاء ٢/ ١٣٣٤ رقم ٤٠٢٣ وأخرجه الترمذي في كتاب الزهد باب في الصبر على البلاء ٤/ ٢٨ رقم ٢٥٠٩ وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه الحاكم في المستدرک ٣/ ٣٤٣ في معرفة الصحابة وبوب عليه البخاري في صحيحه كتاب المرض ٧/ ٣ وقال أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأول فالأول .  
٢- الفوائد ص ٧٨ لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية، حققه: بشير محمد عيون، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ الناشر: مكتبة دار البيان ، مكتبة المؤيد .

الحجة التي يقارعون بها من يواجههم بالحق، لا يجدون ما يقابلون به أهل الحق سوى استعمال أسلوب القوة والبطش والأذى<sup>(١)</sup>.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في القرآن الكريم على لسان فرعون: ﴿قَالَ لَنْ اتَّخَذَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>. وهذا الموقف يتكرر في تاريخ الدعوة إلى الله تعالى عن طريق مضايقتهم، ومحاولة إخماد صوت الحق، والتفنن في أساليب الصّد عن نشر دين الله تعالى، حيث يلصق بهم من الافتراءات والدعاوى المضلّة، ما يجعل منه مسوغاً لضرب الدعوة وحملتها.

فلا يترك أعداء الله سبيلاً يمكنهم به المساس من أصحاب الدعوة في دينهم أو مصالحهم إلا أخذوا بها، كما تمتد أيديهم بالأذى إلى أتباع الدعوة أيضاً ممن أخذوا على أنفسهم العودة الصادقة إلى دين الله سبحانه.

والصبر على البلاء واحتساب ما يصيبهم في هذه الحياة الدنيا، والتسليم لأمر الله سبحانه والاعتصام به، والتوكل عليه، والثبات على الحق، وتعلق القلوب بالله تعالى، وعدم اليأس، أو استعجال النتائج، وشدة الالتجاء إلى الله تعالى عند اشتداد البلاء، كل ذلك دليل على صدق الإيمان، وكمال المحبة لله تعالى. وإيثار الآجلة على العاجلة وذلك مفتاح النصر وبداية البشارة بدنو الفرج، وذلك مصداق قول الله عز وجل:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

١- انظر معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم ٢/ ٨٠٥.

٢- الشعراء: ٢٩.

٣- الأعراف: ١٢٧.

٤- البقرة: ٢١٤.

## ٥- إن التعنت والعبث في وجه الدعوة من أساليب خصومها في كل زمان :

إن أسلوب التعنت الذي واجهه موسى -عليه السلام- من قومه لا يخلو منه عصر، ولا يسلم من مواجهة مثله داعية إلى الله عز وجل، وإن اختلفت صور المطالب والاقتراحات فالمتعنتون في زماننا لا يطلبون أموراً خارقة للعادة، لأن أحداً من الدعاة لم يدع لنفسه صلته بالوحي الإلهي، الذي انقطع بموت رسول الله ﷺ .

إلا أن مطالبهم تظهر في صور أخرى، ليس الغرض منها سوى التعنت والعبث، ومثل هذه المطالب التي يظهر فيها التعنت وعدم الرغبة في الاهتمام بدين الله سبحانه، لا ينبغي للدعاة أن يُشغلوا أنفسهم بمثلها لأن أصحاب الشهوات والأهواء لن يقفوا عند حد معين في اقتراحاتهم فإذا فكر الدعاة في أن ينزلوا عند رغبات الناس وأهوائهم، ولو شيئاً يسيراً، فسوف يكلفهم ذلك ثمناً ليس باليسير.

فقد يكون من مطالبهم مثلاً: تخوير منهج الدعوة عن طبيعته الربانية، والنزول بالإسلام إلى المستوى الذي يحققون به أهواءهم ورغباتهم.

فلقد طغت اليوم على الناس من العادات وأسلوب الحياة والتعامل -التي أصبحت مألوفة إلى نفوسهم- مما ورثوه من تقليد الشرق أو الغرب والتي تتصادم مع قواعد الشرع وأحكامه وآدابه، ما يريدون لأجلها تخوير الإسلام تبريراً وإقراراً لما ألفته نفوسهم، حتى يصبح الإسلام متمشياً مع الحياة العامة التي داخلها كثير مما هو غريب عن هذا الدين وكلها محاولات ذليلة، لا ينبغي لمسلم أن يُقدم عليها باسم تطوير وسائل الدعوة إلى الله تعالى .

فقد يدفع الإنسان حماسة للإسلام، ورغبته في قبول دعوته، إلى القيام بعرض محاسن الإسلام، وما فيه من حكمة التشريع، وتفوق تشريعاته على سائر الأنظمة، وأن الإسلام في إمكانه احتواء أي فكر من الأفكار المستحدثة، وبذلك ينسبون إليه كل ما يجد من الأفكار والأنظمة البشرية فيقولون : ( ديمقراطية الإسلام ) و( اشتراكية الإسلام ) ( وقومية الإسلام ) .

فقضية الداعية لا تكمن وراء تغيير الأسماء وتطويرها، ولا وراء تجديد مذهب بعينه، وإنما القضية تطهير للقلب، وتحرير للروح من جميع المعتقدات الأرضية والأغراض النفسية والشهوات الحيوانية.

فعلى الداعية أن يستعلي بدينه، فلا يستجيب لاقتراحات المقترحين، ولا يحاول تزيين هذا الدين بغير اسمه وعنوانه ولا يخاطب الناس بغير منهجه ووسيلته، فالله غني عن العالمين، ومن لم يستجب لدينه عبودية له، وانسلاخاً من عبودية ما سواه فلا حاجة لهذا الدين به.

## ٦- التصدي للشبهات التي يثيرها أعداء الدعوة :

من أساليب الحوار في دعوة موسى عليه السلام التصدي للشبهات التي يثيرها الملا حول الدعوة أو الداعي أو الأتباع، من أجل صد الناس وتنفيرهم عن الاستجابة للحق ورؤيته .

وهذا ( المَعْلَم ) من أهم المعالم التي تنير الطريق أمام الداعية إلى الله تعالى ، لأنه يكشف بين يديه طبيعة أعداء دين الله على مرّ العصور من العداء المستحكم، والسير في خط واحد، من التشوية لوجه الحقيقة، وغرس الريب في نفوس الناس، باختلاق الشبهات التي تحمل العامة على الوقوف أمام الدعوة موقف المرتاب المتردد، بل على نفور الكثير منهم من الاتباع والتصديق .

وينطلق أعداء الحق في اختلاق شبهاتهم، من التعرف على نفوس الناس ومألوفاتهم ومصالحهم ثم اختلاق الشبهات التي لها صلة بذلك حتى تجد قبولاً في نفوس الناس . لذلك تجد أن الشبهة مردها إلى أن الداعية إنما يريد بدعوته :

١- السيطرة على الناس .

٢- الإفساد في الأرض .

٣- محاربة ما كان عليه الآباء وألفه الناس وورثوه من معتقدات وعادات .

٤- اتهام الرسل أو الأتباع ممن يحمل هذه الدعوة في عقولهم أو صدقهم أو سلوكهم أو جعلهم مصدر شؤم، أو نحو ذلك<sup>(١)</sup> .

ومن خلال استعراض حوار موسى -عليه السلام- مع فرعون نجد أن هذا الطاغية قد اتهم نبي الله وكليمه بالجنون كما جاء في قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾<sup>(٢)</sup> واتهمه أيضاً بالسحر كما جاء في قوله تعالى : ﴿ أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴾<sup>(٣)</sup> وهذا ما رددته أيضاً أجهزة إعلام الطاغية ﴿ إِنَّ هَذَا

١- انظر معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم ١/ ٤٢٦ .

٢- الشعراء : ٢٧ .

٣- طه : ٥٧ .

لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ﴿١﴾ .

هذه الأجهزة التي سخرت قواها لخدمة الطاغية تشيع في كل مكان ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ (٢) .

وهكذا تحول موسى -عليه السلام- ومن معه من المؤمنين إلى شرذمة متآمرة تريد أن تقلب نظام الحكم وباتوا مطاردين في كل مكان (٣) .

وهذا الموقف مكرور في تاريخ الجاهلية، حملهم العناد والطغيان على ذلك قال تعالى : ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ (٤) .

فلا يظن الدعاة اليوم أنهم يسلمون من إثارة الشبهات حولهم، فالأعداء لا يألون جهداً في استخدام أي وسيلة ممكنة لمحاربتهم، فهم يعرفون جيداً أن من أنجح الوسائل التي تستخدم لصرف الناس عن دين الله إثارة الشبهات حول الدعاة ودعوتهم والتي لا يختلف حالها في كل عصر إلا في الشكل والطريقة التي تعرض بها .

لذلك ينبغي لكل داعية أن يعلم أنه لا بد -إذا ما حمل هذه الدعوة بصدق- أن توجه إليه اتهامات وتُنسَجَ حوله الأباطيل، فإذا حصل له ذلك فعليه التحلي بالصبر والثبات، ونسيان حظ النفس أمام الواجب الذي يقوم به في تبليغ دين الله، وأن لا يحمله الغضب على التراجع أو القعود عن مواصلة السير .

وعليه أن يأخذ من القصص القرآني عظة وعبرة فقد واجه أشد من ذلك رسل الله الكرام -عليهم الصلاة والسلام- وهم أعلى منه خُلُقاً وأزكى منه سيرة، وأنقى منه سريرة، ومن جهل هذه السُّنة فقد جهل جانباً مهماً من فقه الدعوة، وسنة من سنن الله سبحانه في صراع الحق مع الباطل في كل زمان .

١- طه : ٦٣ .

٢- الشعراء : ٥٤-٥٦ .

٣- انظر أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ ص ١٨٤ .

٤- الذاريات : ٥٢ .

## ٧- إن أعداء الدعوة غالباً هم أصحاب السلطة والترف :

إن أصحاب السلطة والترف -من الكبراء والأشراف- هم الذين وقفوا في وجه الدعوة إلى الله عز وجل منذ ظهرت في يومها الأول، فالملا من قوم موسى -عليه السلام- يقفون الموقف الذي وقفه الملا من قوم نوح -عليه السلام- ومن جاء بعده يأنفون من قبول الحق، ويتعالون عن الإيمان بالله وحده ويتناولون على من اصطفاهم الله سبحانه لرسالاته، ويزدرون أتباع الرسل، ويحسبون أن حالهم من السلطان والغنى دليل على محبة الله سبحانه لهم، وأنهم ليسوا بحاجة إلى الإيمان، لأنهم لن يُعذبوا في الآخرة<sup>(١)</sup>، فالذي منحهم المال والسلطان في الدنيا لن يعذبهم في الآخرة بزعمهم ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فكانوا لا يلتفتون إلى الماضي القريب ليأخذوا منه العبرة والعظة وينظرون إلى من سبقهم من الأمم التي كانت أكثر منهم أموالاً، والتي عمرت الدنيا وتناولت فيها أكثر منهم، ثم لم ينفعهم ذلك<sup>(٣)</sup>، ولم يغن عنهم شيئاً من عذاب الله سبحانه ونقمته العاجلة بمن أعرض عن رسله، وسَخَّرَ من عباده المؤمنين، وكذَّبَ بوحيه المنزل ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئَاءً﴾<sup>(٤)</sup>.

وطبعي أن يحزن الداعية من موقف الملا منه، ومقابلتهم له بالتكذيب والسخرية والاستهزاء، ورميهم له بالسحر والجنون ونحو ذلك وهو يحمل إليهم الهدى ويدعوهم إلى

١- انظر تفسير القرآن العظيم ٥٤١/٣ .

٢- سبأ : ٣٥ .

٣- انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١٣١/٥ - ١٣٢ .

٤- مريم : ٧٤ .



الحق ويريد لهم الخير والسعادة في الدارين . ولكن ذلك سرعان ما يزول إذا عُلِمَ أن مردّ الهداية والإضلال إليه تعالى فقلوب العباد بيده وحده، والحاملون للواء الدعوة، إنما تقتصر مهمتهم على إبلاغها إلى مسامع الناس، وإلزامهم الحجة، والكشف عن حقيقة هذا الدين، وعن سبيل الضلالة والغواية التي اجتاحت الناس وصرفتهم عن الحق، والتحذير منها، وبذلك تكون ذمته قد برئت أمام الله تعالى .

## ٨- الاقتداء بموسى - عليه السلام - في الدعوة :

إننا عندما نقرأ الحوار في دعوة موسى - عليه السلام - ونتتبع الجوانب التفصيلية في حياته، فإنما نقصد من وراء ذلك الاهتداء بهديه والاقتداء بسيرته، والتعرف على أسلوبه في الدعوة، وكيف كان يسير القول والعمل معاً في حياته دون انفكاك ولا تخلف لأحدهما عن الآخر. وفي هذا الجانب - أعني تطبيقه العملي لما دعا الناس إليه - يعرضُ علينا القرآن الكريم صفحاتٍ مشرقةً عن سيرته - عليه السلام - نكتفي بعرض جانب منها.

من ذلك شجاعته - عليه السلام - المحفوفة بالمخاطر، بما يفوق الوصف فقد واجه ملكاً ظالماً متألهاً برسالة إلهية تهدم ألوهيته المزعومة وتساويه برعيته، فلم يخشه، ولم يثنه عن هدفه أي تهديد<sup>(١)</sup>.

وذلك ناشئ عن تأييد الله سبحانه وتعالى له، الذي تزود به منذ أن كُلف بالدعوة كما جاء في القرآن الكريم ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي \* يَقْفَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِّي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِ هَرُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾<sup>(٢)</sup>.

فقد سأل ربه أن ييسر له أمره، فبتيسيره - سبحانه - ييسر الطريق فإن لم تكن أنت عونني ونصيري وعضدي وظهري فلا طاقة لي<sup>(٣)</sup> بهذه المهمة ولا قوة لي على هذا الطريق.

ولما استثقل قومه أذى فرعون، خاطبهم بلسان النبي الواثق بربه: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وبهذا اليقين امتلأت نفسه بالله - سبحانه وتعالى - فقد واجه مخاطر جمّة تضطرب نفوس البشر - عادة - إزاءها، لكنه - عليه السلام - كان يقف في ثبات عجيب وليس له من وسائل القوة والمنعة إلا اعتماده على الله وتوكله عليه.

١- انظر اليهود في القرآن ص ٢٢٧-٢٢٨ .

٢- طه : ٣٢-٣٥ .

٣- انظر تفسير القرآن العظيم ٣/ ٢٣٦ .

٤- الأعراف : ١٢٨ .

فها هو يقف تجاه البحر فاراً ببني إسرائيل ويُقبلُ فرعون وجنده بقوتهم وسطوتهم، فتضطرب النفس البشرية تجاه الخطر المحدق ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾<sup>(١)</sup> أما موسى فقد كان له شأن آخر ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾<sup>(٢)</sup>. بهذا الجزم والتأكيد واليقين قالها موسى -عليه السلام- بملء فيه.

ولما أخذت الرجفة خيار قومه توجه إلى الله بالتوسل والدعاء كما جاء في القرآن الكريم: ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ \* وَكُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾<sup>(٣)</sup>.

يتوسل إلى الله سبحانه - في تسليم مطلق له بقضائه وقدره، فإنما هو ابتلاؤك، واختيارك، تُمَيِّزُ به الخبيث من الطيب، ومقاليد الأمور بيدك، فلا مفرَّ إذن من كل بلاء وفتنة إلا إلى لطفك ورحمتك في دفع المحدثور وجلب المطلوب<sup>(٤)</sup>.

ولما ضاقت بموسى -عليه السلام- السبل تجاه التواء بني إسرائيل توجه إلى ربه قائلاً:

﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

فموسى يعلم اطلاع ربه عليه وأنه لا يملك إلا نفسه وأخاه، ولكنه في ضعف الإنسان المخذول، وفي إيمان النبي الكريم، وفي عزم المؤمن المستقيم، لا يجد متوجهاً إلا لله يشكو له حزنه ونجواه، ويطلب إليه الفرقة الفاصلة بينه وبين القوم الفاسقين، فما يربطه بهم شيء بعد النكول عن ميثاق الله الوثيق.

وبهذه الأمثلة الرائعة من حياة موسى -عليه السلام- تتبين سيرته الزكية وكيف كان اهتمامه بالعمل والتطبيق، وأخذ نفسه بالحق الذي يدعوا الناس إليه، وهذا هو أسلوب

١- الشعراء : ٦١ .

٢- الشعراء : ٦٢ .

٣- الأعراف : ١٥٥-١٥٦ .

٤- انظر تفسير القرآن العظيم ٣٩٨/٢ .

٥- المائدة : ٢٥ .

النجاح في الدعوة، والإحساس بعظم المسؤولية التي لا تعني إصدار الأوامر والتوجيهات للناس، ثم يقعد الداعية عن حمل نفسه على أسمى ما يمكن من صور التطبيق والعمل.

ولذلك يحذر الله - سبحانه - أشد التحذير من مخالفة القول للعمل، فيقول سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

مما يدل على أن التطبيق والسيرة الحميدة، تسير إلى جانب الدعوة باللسان، والتوجيه بالقول.

ولعل من أعظم العقبات التي حالت دون استجابة الناس لنداء الحق في العصور المتأخرة، أن الناس أصبحوا يعانون من كثير ممن يتسمون بالإسلام، ويحملون لواء الدعوة، لما يعانون من الفصام النكد بين ما يحمله كلامهم، وترتفع به أصواتهم وتخطه أقدامهم من الحق، وبين سلوكهم الذي لا تتمثل فيه التقوى والصلاح والاستقامة على الحق الذي يدعون الناس إليه، والهدى الذي يرشدون الناس إلى التمسك به، والذي ينبغي أن يكون عليه ورثة الأنبياء من الدعاة المصلحين، فالناس اليوم لا تنقصهم الكلمة، كما تنقصهم القدوة الحسنة، التي يتمثل الإسلام في حياتها وسلوكها<sup>(٢)</sup>.

#### ٩- حرص الداعية على بناء أساس الإيمان بما تسير له من أسباب :

لا بد وأن يوقن الدعاة إلى الإسلام في كل زمان أن إرادة الله لا حد لها وهي تملي للظالم حتى إذا أخذته لم تفلته، فالله سبحانه وتعالى يدبر وتدبيره لا يماثل تدبير البشر ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾<sup>(٣)</sup> ففي اللحظة التي يتصور الشر أنه تمكّن من رفقة الخير، وأنه في الطريق للإجهاز عليه، ليقضي بذلك على دعوة الإسلام، وأنه قد اتخذ

١- الصف : ٢-٣ .

٢- انظر معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم ١/ ٥٩٠-٥٩١ .

٣- الرعد : ١٣ .

من التدابير والحيلة ما يكفل له تنفيذ مخططة الشرير، حينذاك يأتي أمر الله -عز وجل- لحسم الأمر لصالح جند الحق.

فالتائج لا يسبقها بالضرورة أسباب معينة، كما أن الأسباب ليس من الضرورة أن تتبعها نتائج معينة، لأن الذي ينشئ النتائج والأسباب هو الله<sup>(١)</sup> -سبحانه وتعالى- نلمح ذلك في الإيحاء القرآني: حينما أرسل موسى -عليه السلام- إلى فرعون أعتى ملوك الأرض في زمانه كان مجرداً من كل مظاهر القوة المادية، ولكنه -أي موسى- كان يملك كل مقومات القوة الإيمانية التي مَتَّعَهُ الله بها.

فبلغ عن ربه الدعوة ودعا الناس إلى توحيد الله سبحانه وتعالى فبذل كل ما في استطاعته وأعدَّ ما في وسعِهِ، وما في استطاعته لا يصل إلى مستوى إعداد فرعون المادي، فلم يكن له مثل ملأ فرعون، ولم يكن له جيش مثل جيش فرعون، ولم يكن له أجهزة مثل أجهزة إعلام فرعون... أي بمعايير القوة المادية لا يمكن لموسى أن يتغلب على فرعون، ولكنَّ الله حسم المعركة لصالح العصابة المؤمنة، فأهلك فرعون الطاغية المتجبر، واستخلف موسى -عليه السلام- وقومه.

والدرس المستفاد هنا: أن الداعية مطالب دائماً ببناء أساس الإيمان في نفوس الناس وبذل الأسباب التي في قدرته، وإن لم يتيسر له إلا القليل في مواجهة قوة الجاهلين، وحينذاك ينزل نصر الله على المؤمنين.

---

١- أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ ص ١٩٠.

## ١٠- إن الخوف على السلطان والجاه من أسباب عدم قبول الدعوة:

إن الطاغوت لا يهتمه بالدرجة الأولى إلا الاحتفاظ بعرشه وسلطانه وجاهه مهما كان الثمن، ولذلك فإنه يبطش ويقتل وينكل بالمسلمين وأبنائهم ظناً منه أنه بذلك يقضي على العصبة المسلمة في الأرض، ويطيل في عمر ملكه وسلطانه، وهذا وهم يؤدي بصاحبه إلى الدمار كما حدث لفرعون وجنوده<sup>(١)</sup>.

فإذا طال عمر الطغيان، فلا يعني ذلك أن الله تعالى قد تركه يرتع ويفعل ما يشاء دون عقاب، ولكنه من باب الإملاء والاستدراج قال تعالى ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولذلك إذا لاحظ الداعية أن ليل الظالمين قد طال، فلا يحسبن أن الله مخلف وعده رُسُلُه، إن الله عزيز ذو انتقام، فهو سبحانه وتعالى ترك فرعون زمناً طويلاً قبل أن يستأصل شأفته هو والظلمة من قومه.

قال تعالى: ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>. وقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَنْ يَخْشَىٰ﴾<sup>(٤)</sup>.

## ١١- التحذير من الركون إلى الدنيا والاعتزاز بها:

إن غلظ القلوب، وعمى البصائر، تحمل المدعوين على الإصرار على الكفر والفساد، إذ لو كانت القلوب رقيقة تنفع معها الموعظة، وتهزها العبرة لجاشت بالذكرى وتأثرت بالعبرة، حتى لا يدركها المصير الذي أدرك من قبلها وقد رأت مصارعهم، ومرت بآثارهم، وتناقلت أخبارهم.

١- أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ ص ١٨٢ .

٢- الأعراف: ١٨٢-١٨٣ .

٣- الذاريات: ٣٨-٤٠ .

٤- النازعات: ٢١-٢٦ .

فهذه القلوب لا تحاول التأمل في تلك النهايات المؤلمة لتتقي عذاب الله تعالى بالتوبة والإنابة، بل تستعجل العذاب، وهو دأب الظالمين في كل زمن.

فالله تعالى يملي للظالمين، فيأتيهم بخيرات هذه الحياة الدنيا الفانية، فيحسبون أنه لن يصيبهم ما أصاب مَنْ قبلهم، فيكون ذلك سبباً لإغراقهم في الظلم وصدودهم عن الهدى، فيأخذهم الغرور والاستهتار وحينئذٍ يستوجبون المعالجة بالعذاب.

فالذين يتجاوزون الحد في الفساد، والإعراض في هذه الحياة، ويأخذهم الغرور بما أوتوا من متاع هذه الحياة الدنيا، وما سُخِّرَ لهم من خيرات هذه الأرض واستخرجوا من كنوزها، وما مكنهم الله من شتى العلوم والفنون، يجب أن يحذروا عاقبة ما هم فيه، وأنهم إن لم يعودوا إلى الله تعالى ويشكروا نعمته؛ فما عليهم إلا أن ينتظروا سنة الله سبحانه في أمثالهم ممن مضى.

كما أن الدعاة إلى الله سبحانه عليهم أن لا ينظروا إلى ما عليه المعرضون عن دين الله سبحانه، من سعة الرزق، وتقلبهم في نعم الله، ومظاهر التمكين والسلطان، فالإنسان بنظره القاصر، قد يتساءل مع نفسه: كيف يمد الله هؤلاء بهذه النعمة والسلطان، وهم معرضون عنه جاحدون محاربون له ولدينه؟ فيستعجل الإنسان بطبعه العذاب عليهم والانتقام منهم، ولهذا يحذرهم الله عز وجل من قوله تعالى:

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (١).

فالمؤمنون الذين يعانون من بؤس الحياة، ولأوائها وشظفها، والدعاة الذين يواجهون البلاء من المطاردة، والحرب النفسية والجسمية، ويؤذون في أنفسهم وأعراضهم وأهليهم، ولا يجدون في هذه الدنيا سوى الجهد والحرمان والمشقة، حينما يرون أعداءهم المستهترين

١- آل عمران: ١٩٦-١٩٧.

بالدين في بَسْطَةِ من العيش وتصرف في البلاد، فإنه يقع في نفوسهم شيء من همزات الشيطان ووسواسه، كما قد يرتاب العامة في صدق دعوتهم لهذا كله، يصور الله عز وجل حقيقة هذه الحياة بقوله: ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾<sup>(١)</sup> فكل مظاهر هذه الحياة مهما عَظُمَت، ومهما تطاول أهلها فإنها لا تخرج عن كونها متاع، ثم هو قليل بالنظر إلى الحياة الأبدية الدائمة<sup>(٢)</sup>.

---

١- آل عمران: ١٩٧ .

٢- انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١/ ٣٧٨ .



## المطلب الثاني : الفوائد المستنبطة من حوار موسى - عليه السلام - مع بني إسرائيل :

### ١ - إصلاح الأمم بعد فسادها :

إن الشعوب التي تنشأ في مهد الاستبداد، وتعامل بالظلم والاضطهاد من قبل حكامها تفسد أخلاقها، وتذل نفوسها، فتستسيغ حكم كل طاغ، وإذا طال عليها الأمد تصبح هذه الأخلاق موروثة من صميم طباعها<sup>(١)</sup>.

هكذا كان الحال مع بني إسرائيل، أفسد ظلم الفراعنة فطرتهم في مصر وطبع عليها طابع المهانة والذل والجبن إلى أن جاءهم موسى - عليه السلام - يدعوهم إلى الجهاد ودخول الأرض المقدسة، ولكن نفوسهم المهينة التي ألفت الذل والاستعباد لم تطاوعهم على الجهاد فقالوا لنبيهم كما أخبرنا الله عز وجل .

﴿ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

فكان حكم الله فيهم أن حرّمها عليهم وجعلهم يتيهون في صحراء سيناء أربعين سنة<sup>(٣)</sup> قال تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

تلك هي التربية الإلهية لمن فسدت أخلاقهم، وانحطت مداركهم أن يتيهوا في الصحراء لتتربى فيهم عناصر القوة والبأس والاعتماد على النفس، وليذهب هذا الجيل القديم الذي رضخ للطغيان واستعذب العبودية، ولينشأ جيل جديد يجمع بين حرية البداوة وقساوتها، وعدل الشريعة وهدايتها<sup>(٥)</sup>.

١ - اليهود في القرآن ص ٢٢٨ .

٢ - المائدة : ٢٤ .

٣ - انظر دعوة الرسل إلى الله تعالى غايتها وتاريخها ص ٢١٩ .

٤ - المائدة : ٢٦ .

٥ - انظر دعوة الرسل إلى الله تعالى ص ١٧٨ .

ولا شك في أن إعادة الناس إلى جادة الصواب، وحماية عقيدتهم من دسائس الماكرين، يحتاج إلى جهد ليس باليسير، ولا يمكن أن يعطي أحدُ هذا الأمر حقَّه من الاهتمام الذي يستحقه إلا الذي يدرك خطورته على عامة المسلمين، وهم الدعاة إلى الله تعالى المخلصون، والعلماء الربانيون الذين صدقوا مع الله سبحانه في حمل هذه الدعوة، وأدركوا عظم المسؤولية الملقاة على عواتقهم.

## ٢- أهمية أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله تعالى :

إن غرس الرجاء في النفوس، والترغيب فيما عند الله سبحانه من الخير الذي لا منتهى له أمر مطلوب حتى يبادر العبد إلى القيام بكل ما من شأنه أن يجعله أهلاً لنفحات الله سبحانه.

كما أن غرس الخوف من غضب الله وعقابه العاجل والآجل في النفوس أمر مطلوب كذلك، لكي يحملها على اتقائه بتجنب ما يسخط الله عز وجل، والقيام بالطاعة التي ينال العبد بها مرضاته.

وقد جعل الله سبحانه من مهمات الرسل التي يقومون بها: الترغيب والترهيب، مع أنه إنما يقصد بهما بيان عواقب الأعمال من الثواب على فعل ما يرضي الله من الطاعات، والعقاب على فعل ما يسخطه سبحانه من المعاصي، وهذا يعني أن هذا الأسلوب في دعوة الناس إلى الله سبحانه له أهمية بالغة.

فهناك مثلاً من أغرق نفسه في ارتكاب المعاصي، حتى ظن نفسه في بعدٍ سحيق من رحمة الله. وأنه لا يقبل له توبة وإن تاب، وهذا من وسوسة الشيطان. بما يقذف في نفسه من اليأس والقنوط من رحمة الله. ومثل هذا في حاجة إلى بيان سعة رحمة الله، وأن الله سبحانه هو التواب الرحيم، الذي لا يرد توبة من أناب إليه بصدق مهما ارتكب من الذنوب بل التوبة من أحب الأمور إلى الله تعالى حتى يعود هو وغيره من العصاة إلى رحاب رحمة الله الواسعة.

فهذا موسى -عليه السلام- لما عبد قومه العجل<sup>(١)</sup> من دون الله عز وجل خوفهم من عقوبة هذا الفعل: كما جاء في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي الوقت نفسه فتح أمامهم باب التوبة وأنه لا يأس ولا قنوط من رحمة الله عز وجل قال تعالى على لسان موسى -عليه السلام-: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(٣)</sup>.

فالمقصود أنه لا بد من إحياء باعث الرجاء والخوف في النفوس بالترغيب والترهيب، لما لهما من تأثير في النفوس.

فإن حقق الداعية ما يصبوا إليه -بالترغيب والترهيب- فذلك من فضل الله الذي يهدي إليه من أناب، والذي بيده قلوب عباده وإلا فقد برئت ذمة الدعاة، بما قاموا به من واجب التبليغ.

## ٢- وجوب تبليغ الدعوة في جميع الأحوال:

إن الأمة قد تسرف في العدوان، وتتمادى في الباطل، وتملك عليها الشهوات جميع حواسها ومشاعرها، فيقل أمل الداعية فيها، وتتغلب عليه روح اليأس، لاسيما إذا رأى الفساد قد شمل الخاصة والعامة<sup>(٤)</sup>، فيأخذ في التحدث إلى نفسه ما فائدة الدعوة وما غاية الإرشاد؟ وما الأمل في ذلك العمل الذي لا يجدي ولا يفيد؟

١- انظر المبحث الأول من الفصل الثاني ص ١٨٩ - ٢٠٧ .

٢- الأعراف : ١٥٢ .

٣- البقرة : ٥٤ .

٤- دعوة الرسل إلى الله تعالى ص ٢١١ .

وحال هذا كحال تلك الطائفة من أهل القرية التي استولى عليها اليأس وانقطع فيهم الأمل في صلاح من معهم من الذين يعدون في السبت، فأخذت تنكر على الواعظين وعظهم، وعلى المصلحين إصلاحهم وتقول لهم: ﴿لَمْ تَعْظُون قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾<sup>(١)</sup> فكان جواب الواعظين ﴿مَعْدِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> نعظهم وعظ عذر نعتذر به إلى ربكم عن السكوت عن المنكر، وقد أمرنا بالتناهي عنه ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾<sup>(٣)</sup> رجاء في انتفاعهم بالموعظة<sup>(٤)</sup>، وحملاً لهم على اتقاء الاعتداء الذي اقترفوه، أي فنحن لم نياس من رجوعهم إلى الحق.

وفي هذا بيان لما ينبغي أن يكون عليه الداعية، من عدم تسرب اليأس إلى قلبه، وعليه أن يعلم أن للدعوة أثرها وغايتها في النفوس، وإن كانت الغاية تتفاوت بمقدار استعداد النفوس للدعوة. فمن النفوس، ما هو مستعد للإصلاح استعداداً قريباً، فإذا وصل وعظ الداعية إلى ذلك الصنف فإن النفوس تستفيد من الوعظ في الحال، ومنها ما هو مستعد له استعداداً بعيداً، ولا غنى للداعية عن الصبر على ذلك النوع من النفوس، ثم إنه إذا لم يجن هو ثمرة ذلك الوعظ فسيجنه من بعده من الدعاة المصلحين، فإذا أدرك الداعية ذلك كله، فإن اليأس لن يجد إلى نفسه سبيلاً، فأقل فائدة للدعوة هي إقامة الحجة على أنصار الباطل وأصحاب الشهوات<sup>(٥)</sup>.

١، ٢، ٣- الأعراف : ١٦٤ .

٤- انظر تفسير القرآن العظيم ٢/ ٢٥٨ .

٥- انظر دعوة الرسل إلى الله تعالى ص ٢١٢-٢١٣ .

### المطلب الثالث : الفوائد المستنبطة من حوار الرجل المؤمن مع فرعون وقومه :

١ - أهمية أسلوب التخفي بالإيمان عند الخوف من بطش العدو : إن أسلوب الدعوة إلى الله يستلزم أحياناً التخفي بالإيمان ولعل ذلك الموقف الإيماني من الرجل المؤمن خير دليل على ذلك كما جاء في القرآن الكريم ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾<sup>(١)</sup>. فهو يقدم لنا معلماً من معالم الدعوة إلى الله، ودرساً دعوياً ضرورياً للدعاة، وتعليماً لكل داعية، متى يكتُم دعوته ويُسرُّ بها، ومتى يظهر دعوته ويجهر بها<sup>(٢)</sup>.

فكتمان الدعوة قد يكون مطلوباً في بعض الأحيان، ولكن قد تجد ظروف جديدة، تُحتمُّ على الدعاة تحديد مواقفهم، وتدعوهم إلى إظهار دعوتهم والجهار بإيمانهم. فإذا ما أثر أحدهم الكتمان في هذه الظروف، فقد يكون هذا نوعاً من الجبن أو التهرب، أو إشاراً للسلامة والعافية، أو تقديم المصلحة الشخصية على مصلحة الدعوة. فليعرف كلُّ داعية متى يكتُم دعوته، ومتى يظهرها، ولينسّق بين الموقفين باتزان وموضوعية، وليكن دافعة إلى الكتمان أو الإعلان مصلحة الدعوة وقوتها.

٢ - استدراج المخاطب بطريقة النصيح والملاطفة : وقد سلك مؤمن آل فرعون في ذلك أساليب رائعة. فقد حدّد أسلوبه وعباراته تحديداً واضحاً. وانتقل مع الموجودين بدعوته من مرحلة إلى مرحلة - ومن موقع إلى آخر.

وهو بذلك يقدم للدعاة درساً دعوياً بالغ الأهمية في طريقة عرض الدعوة وأساليب التأثير في السامعين<sup>(٣)</sup>.

١ - غافر: ٢٨ .

٢، ٣ - انظر مع قصص السابقين في القرآن ص ١٠٨ - ١١٠ .

فهو يعرض دعوته بلطف يخفي على السامعين أنه متعصب لموسى -عليه السلام- ولما جاء به وذلك واضح من قوله تعالى حكايةً عنه ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾<sup>(١)</sup> ولم يذكر اسمه بل قال ﴿رَجُلًا﴾ ليوهمهم أنه لا يعرفه ثم قال: ﴿أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup> ولم يقل: رجلاً مؤمناً بالله أو هو نبي الله، إذ لو قال ذلك لعلموا أنه متعصب ولم يقبلوا قوله، ثم أتبعه بقوله ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

وهذا هو الأسلوب الدعوي الحكيم، فهو يريد أن يوجد عند المدعوين اهتماماً بالدعوة وصاحبها، ويدعوهم إلى النظر إلى ذلك بحيادية فموسى -عليه السلام- إما كاذب في دعوته، وإما صادق فيها فمن باب الموضوعية والحيادية قدّم احتمال الكذب، فإن كان كاذباً فعليه كذبه ولن يؤاخذهم الله بسببه، وإن كان صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم، ولم يقل كل ما يعدكم ولو قال ذلك لعلموا أنه متعصب له وأنه يزعم نبوته ويصدق بها، لذلك تراه يتبع حوارهم بكلام يفهم منه أنه ليس مصداقاً لموسى -عليه السلام- ولا مكذباً له وهو قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ﴾<sup>(٤)</sup>. فلو كان من المسرفين الكذابين لما هداه الله إلى ما ترون من انتظام أمره وفعله<sup>(٥)</sup>.

٣- ضرورة الاختلاط بأفراد المجتمع من أجل تحقيق المصلحة للدعوة: إن انخراط بعض أفراد الجماعة المؤمنة داخل جسد المجتمع ضروري لأسباب كثيرة، منها التعرف على كيد مخطط الجاهلية للنيل من الصف المؤمن ولتحذير الصف المؤمن من ذلك المخطط. ومنها النجاح في بعض الأحيان في صرف الجاهلية عن النيل من ذلك الصف، وكذلك التعرف على نقاط الضعف في الجاهلية لتقويمها ومعالجتها حتى تستقيم على أمر الله.

٤- الاستفادة من المؤثرات التاريخية والحضارية: إن التفات الداعية إلى المؤثرات التاريخية والحضارية، وإثارة الأسئلة من الأساليب المهمة في إقناع وحوار الآخرين لأنها ترزعق قناعاتهم السابقة وتقربهم إلى صفه<sup>(٦)</sup>.

١، ٢، ٣، ٤- غافر: ٢٨.

٥- تفسير القرآن العظيم ٧٩/٤.

٦- انظر مع قصص السابقين في القرآن ص ١٣٩.

فمثلاً جاء في قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾<sup>(١)</sup> استخدام من الداعية الحكيم للمؤثر الاقتصادي الحضاري، وهو أمر يهم الجميع، لأنهم لا يريدون أن يفقدوا ملكهم وسلطانهم فإذا آذوا موسى فسينتقم الله منهم، ويوقع بأسه وعذابه بهم<sup>(٢)</sup>.

كما ظهر استخدامه للمؤثر التاريخي في قوله: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾<sup>(٣)</sup>.

فالداعية لابد أن يكون ملماً بأحداث الأمم السابقة، والتاريخ القديم والمعاصر. كما يُستحسن أن يكون لديه دراية بأحوال البشر واجتماعاتهم، ونفسية الناس وبأي الأشياء تتأثر.

٥- ضرورة الاستعلاء بالإيمان: على الداعية أن يستعلي بإيمانه ويعتز بدينه، ويتوكل على ربه، فهذا أعظم عوامل الثبات في مواجهة قوى الطغيان. وإن تفويض الداعية أمره إلى الله، واستسلامه المطلق له، واستنجاهه الصادق به معلّم إيماني دعوي بارز، وأساس الثبات والانتصار في المواجهة<sup>(٤)</sup> يقول تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾<sup>(٥)</sup>.

٦- استشارة مشاعر المدعوين بالترغيب والترهيب: قال تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ﴾<sup>(٦)</sup> يستثير هذا الرجل المؤمن مشاعر قومه بالترهيب مما حلّ بالأمم الماضية جزاء تكذيبهم وإعراضهم عن رسلهم من أمثال قوم نوح وعاد وثمود والذين

١- غافر: ٢٩.

٢- انظر تفسير القرآن العظيم ٤ / ٨٠.

٣- غافر: ٣٠.

٤- مع قصص السابقين في القرآن ص ١٤١.

٥- غافر: ٤٤.

٦- غافر: ٣٠-٣١.

من بعدهم من الكفار، الذين كفروا بالله وأذوا جنوده، فأوقع الله بهم بأسه فدمرهم وأهلكهم، ولم ينصرهم جاههم، ولا سلطانهم، ولم ينفعهم عنادهم ولا تجبرهم<sup>(١)</sup>.

ثم يخوفهم من العقوبات الأخروية بعد أن خوفهم من العقوبات الدنيوية ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾<sup>(٢)</sup> يَوْمَ تُولُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ<sup>(٣)</sup>. يخوفهم من عذاب الآخرة في يوم القيامة يوم ينادي بعضهم على بعض فلا يستجيب بعضهم لبعض ويولون مدبرين مالهم من الله من عاصم في الدنيا ومالهم من الله من عاصم يوم القيامة. ثم ينتقل بهم بعد ذلك إلى جانب آخر من جوانب الدعوة وهو جانب الترغيب في الآخرة قال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

يرغبهم في الآخرة التي هي محل الإقامة، ومنزل السكون والاستقرار، ويזהدهم في الدنيا! ذلك المتاع القليل الزائل الذي آثروه على الآخرة<sup>(٥)</sup>، ثم يحثهم على فعل الحسنات، والمبادرة إلى الأعمال الصالحة التي يعطون أجرهم عليها بلا حد ولا عدّ—وهذا من رحمة الله عز وجل أن يجازي السيئة بمثلها والحسنة بعشرة أضعافها<sup>(٥)</sup>.

١- انظر مع قصص السابقين في القرآن ص ١١٤ .

٢- غافر : ٣٢-٣٣ .

٣- غافر من ٣٨-٤٠ .

٤- انظر تفسير القرآن العظيم ٨١ / ٤ .

٥- انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٥٣١ / ٦ .



# **المبحث الثاني**

## **فوائد تعود على المدعو**

ويحتوي على مطلبين :

**المطلب الأول:** الفوائد المستنبطة من حوار موسى -عليه السلام- مع فرعون وقومه .

**المطلب الثاني:** الفوائد المستنبطة من حوار موسى -عليه السلام- مع بني إسرائيل .

## المطلب الأول : الفوائد المستنبطة من حوار موسى -عليه السلام- مع فرعون وقومه :

١- إن محاولة القضاء على الدعوة بكل وسيلة ممكنة من طبيعة أعداء الحق في كل زمان ومكان :

جرت سنة الله سبحانه وتعالى أن يبذل الكفار كل وسيلة للصد عن سبيل الله سبحانه وتعالى سواء في ذلك صدُّ الناس عن اتباع حَمَلَةِ الحق ودعائه، أو صد الدعاة عن استمرارهم في الدعوة إلى الله وتبليغ دينه إلى الناس، فلا يترك أعداء هذا الدين -ممن طبع الله على قلوبهم- وسيلةً يمكنهم استخدامها للوصول إلى هذه الأهداف إلا ويستعملونها لتظلَّ الدعوة في مكان الشك والاضطراب عند العامة .

فقد حاول فرعون النيل من موسى -عليه السلام- بكل الوسائل المتاحة له حينما اتهمه بالسحر والكذب واتهمه بالجنون كما جاء في القرآن الكريم .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾<sup>(١)</sup> وقوله : ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾<sup>(٢)</sup> .

كما ردد الملاء المنافقون من حوله ذلك الاتهام نفسه، وذلك كما جاء في قوله تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

فأظهروه في مظهر الإجرام وأنه يسعى لكسب الأرض وإخراجهم منها، مما جعل ذلك مبرراً لهم في الانقضاض على موسى -عليه السلام- والزجُّ به في السجون ﴿ قَالَ لئن اتَّخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> ومطاردته في كل مكان واستباحة دمه .

١- غافر: ٢٣-٢٤ .

٢- الشعراء : ٢٧ .

٣- الأعراف : ١٠٩-١١٠ .

٤- الشعراء : ٢٩ .

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ﴾<sup>(١)</sup> واستباحة دم أتباعه وأعراضهم ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ قَالَ سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> فشوهت الحقائق أمام المدعوين الذين سلّموا قيادتهم لفرعون تسليمًا مطلقاً نتيجة جهلهم واتباعهم الأعمى لحاكمهم.

فالسّاحة عندما تخلو من مدعو يبحث عن كلمة الحق ليزيل الغشاوة عن قلبه وينفض الغبار عن عينه؛ فإن أعداء الدعوة سيستمرون في ما هم فيه من حرب على الدعوة وحملتها، وتضليل للمدعوين عن طريق بثّ الشبهات وتيسير سبلها وحمايتها حتى يغرق الناس في الشهوات فينصرفوا عن دين الله إلى إشباع رغباتهم، وينصرفوا عن البحث عن الحقائق، ومن ثمّ تخلو السّاحة لحكامهم في التلاعب بعقولهم عن طريق تغطية الحقائق عنهم.

ولا يختلف حال الجاهلية قديماً في تشويه الحقائق عن حال بعض المسلمين اليوم في بعض البلاد، حينما رُصدت الأموال الهائلة وأقيمت المؤسسات الإعلامية التي تبث السم لهم ليلاً ونهاراً وتجذبهم إليها وتشدهم إلى الجلوس معها ساعات طويلة في غاية من الإصغاء والانتباه لكل ما يبث من ألوان الفساد بطرق ما كرة خبيثة تحقق هدفين في وقت واحد:

أحدهما: صرف الناس عن دين الله سبحانه، حتى وصل الحد ببعضهم أنه إذا وجد الجهاز يبث قرآناً، أو حديثاً نبوياً، أو موعظة نافعة، يضجر مما يسمع ويسخر من العالم الذي يقوم بإلقاء الدرس، ويغلق الجهاز حتى يأتي موعد البرامج الأخرى التي يتابعها، وبهذا يصبح المدعو في غفلة كبيرة عن دين الله، وجهل واضح لأبسط حقائق شرع الله.

وثانيهما: ما تحدّثه هذه البرامج من تغيير في سلوك المدعو وتصورات ومعتقداته حسب ما يريده الذين أقاموا هذه الأجهزة، فإذا جهل المسلمون دينهم، وتاريخهم وحياة

١- غافر: ٢٦.

٢- الأعراف: ١٢٧.

أسلافهم، وأصبحت قلوبهم خاويةً من كل ذلك جاءت هذه الوسائل لتغرس في هذا الفراغ كل ما تريد، وهذه هي الغاية التي يرمي إليها الأعداء، ويبدلون جهودهم للوصول إليها في غفلة المسلمين، وانغماسهم في الشهوات وارتئاتهم في أحضان أعداء الإسلام، واحتقارهم لدينهم، ورغبتهم في الظهور أمام أعدائهم بمظهر (المتقدمين).

وعلى هذا فينبغي أن يكون سلاح المدعو أمام كل هذه الجهود المبذولة ضده طلبُ العون من الله، والثبات أمام هذه الهجمات الشرسة، والتفكير في استخدام ما يمكنه من الوسائل المناهضة لوسائل الأعداء، والمقاومة لكيدهم، وفي المقابل الاتصال بالدعاة والعلماء المخلصين لأخذ الحقائق منهم مباشرة دونما تزييف أو تزوير، ومن ثمَّ التكاتف فيما بينهم والالتقاء على كلمة الحق والانطلاق سوياً في ميدان الدعوة، وتوحيد الجهود، وعدم ترك الفرصة للأعداء للعبث بما قد يحدث بينهم من اختلاف.

## ٢- الاعتبار بأحوال الأمم المكذبة وتجنب السبل التي أوصلتهم إلى ذلك المصير المؤلم :

مما لا ينبغي لعامل إهماله هو الاعتبار بأحوال الأمم التي كذبت الرسل، والتي وقفت منهم ومن أتباعهم موقف العداء السافر، وتوعدتهم أن تُنزل بهم ألواناً من الأذى فعليه أن يرى كيف كان مصيرهم؟ وكيف كان مصير المؤمنين بالله تعالى؟ قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾<sup>(١)</sup> ففي استقراء التاريخ وتتبّع عواقب المكذبين على المدى البعيد إثارة للفكر البشري ليلتمس دلائل الحق التي تحملها مسيرة البشرية على الأرض.

---

١- يوسف : ١٠٩ .

فقد جعل الله سبحانه فيها آياتٍ لأولي الألباب تبدو واضحة في مصير أمم بأكملها يطرد فيها إهلاك العصاة، وإنجاء الطائعين مع تنالي الزمان والمكان وتفاوت القوة والعمران<sup>(١)</sup>.

ولعبر التاريخ في آيات القرآن الكريم مجالاً واسع ذلك أن التاريخ بقصصه الصادقة مجال تربوي عميق الأثر. فضرب الأمثال واستحضار النظائر له شأن عظيم في اهتداء النفوس بها وتقريب الأحوال الخفية إليها، وذلك لما في التنظير بالقصة المحسوسة من تذكير مشاهدة الحالة بالحواس بخلاف التذكير المجرد عن التنظير بالشيء المحسوس<sup>(٢)</sup>.

فالنظر في آثار الغابرين يهز القلب البشري - بمشيئة الله - مهما يكن غافلاً قاسياً لهذا كثيراً ما تختتم الآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر مصير الأمم المكذبة والمتمردة على شرع الله سبحانه من الانتقام والاستئصال أو غيره، بطلب الاتعاض والاعتبار قال تعالى في شأن فرعون:

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافُلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>. ويقول تعالى ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَنِ يَخْشَىٰ﴾<sup>(٤)</sup>. وسبب ذلك الأخذ أنهم كذبوا بما جاءهم به موسى - عليه السلام - من الآيات الدالة على حقيقة ما يدعوهم إليه من توحيد الله والانتهاز إلى طاعته فأنكروا الرسالة وجحدوا التوحيد، ولجأوا في المعصية فأخذهم الله بعذابه فلم يغن عنهم عددهم ولا قوتهم من الله شيئاً: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَهِنَ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

١- انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١١٣/١٤ .

٢- انظر التحرير والتنوير ١٧٩/٩ .

٣- يونس اية: ٩٢ .

٤- النازعات : ٢٥-٢٦ .

٥- الدخان : ٢٤-٢٩ .

فهذه الصورة البلاغية التي ذكرها القرآن عن مآل حال هؤلاء ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾<sup>(١)</sup> تجسم النهاية التعيسة المفجعة للظالمين الذين لم يتأثر ولم يحزن عليهم أي مخلوق حتى الجماد. فهذه آية الله في فرعون الذي ملأ الأرض ظلماً وبطشاً، وادعى أنه الرب الأعلى، وقال لبني إسرائيل ما علمت لكم من إله غيري، أغرقه الله في اليم وأخرج بدنه جثة هامدة لا تستطيع حراكاً قد حيل بينه وبين الحياة.

هذه آية الله في فرعون يجعلها عبرة لمن يأتي بعده من الملوك الظالمين والحكام المستبدين، الذين نسوا ربهم وخالفهم واغتروا بسلطانهم الذي لن يبلغ ما بلغه سلطان عدو الله فرعون، ومع ذلك حل به ما حل فاستوت جثته مع أقل الناس عزماً وأضعفهم سلطاناً، وأصبحت خاضعة لكل ما تخضع له الأبدان من فساد وغيره<sup>(٢)</sup>. كما أن آثارهم الباقية تشهد بحضارات فائقة بلغت في الأسباب المادية شأناً بعيداً ثم انتهت - لما استحبت العمى على الهدى - إلى آثار خاوية وعبرة باقية.

فليست الأسباب المادية هي التي تؤثر في حياة الأمم فترفعهم أو تخفضهم أو تعلي مكانتهم وتمد سلطانهم، بل إن بأس الله من وراء ذلك محيط بهم مهما بلغوا من الحول والطول.

فالقرآن في ذكر هذه الوقائع من التاريخ القديم غايته دعوة الناس إلى النظر في تاريخ من قبلهم نظرة استفادة، وبيان أن الحصول على السعادة لا يكون إلا بالإيمان والعمل الصالح وأن الذنوب عاقبتها وخيمة وهذا ما أكدته القرآن الكريم في قوله:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

١- الدخان : ٢٩ .

٢- انظر دعوة الرسل إلى الله تعالى ص ٢٣٠ .

٣- غافر : ٢١ .

فحق على كل عاقل أن يأخذ العظة والعبرة مما قصَّ الله سبحانه عن هذه الأمم، وأن يكون على علم بسنن الله تعالى في خلقه، وأن يتجنب كل طريق يوصل إلى سخط الله وعقوبته العاجلة والآجلة، وأن لا يحمله ما يصل إليه من سلطان أو جاه أو مال إلى أن يطغى، ويتجاهل سنة الله في خلقه، فإنه لا يغني من الله شيء، ولا يمنع من عقابه إذا نزل مانع.

وعند الحديث عن سنة الله سبحانه في شأن الذين يحادونه ورسله ويقعدون بالمرصاد لأولياته، لابد من لفت أنظار المتمادين في طغيانهم، السادرين في غيهم، المحاريين لدين الله وعبادة المجاهدين في سبيله إلى ما حلَّ بالأمم التي يسرون على منوالها، وأنهم إن لم يكفوا عن عدوانهم على دين الله وعباده الصالحين، فلن تتخلف عنه السنة الإلهية من المعاجلة بالانتقام، في أي صورة من الصور.

قال ابن القيم -رحمه الله-:

( كل معصية من المعاصي هي ميراث عن أمة من الأمم التي أهلكها الله عز وجل، فاللوطية ميراث من قوم لوط، وأخذ الحق الزائد ودفعه بالناقص ميراث عن قوم شعيب، والعلو في الأرض بالفساد ميراث عن قوم فرعون، والتكبر والتجبر ميراث عن قوم هود، فالعاصي لابس ثياب بعض هذه الأمم وهم أعداء الله )<sup>(١)</sup>.

فمعالم سنة الله تعالى في حياة الأمم وآياته في هذا المجال لا تقف عند تلك الآثار الخاوية، بل إن لسنة الله حديثاً صادقاً تلمسه في كل حين وفي كل جيل وفي كل مكان،

---

١- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ٦١ للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية - الناشر: دار الندوة الجديدة بيروت - لبنان ١٤٠٥ هـ.

حيث تجد الشُّقوة والانحلال واضطراب الحياة نصيب الشاردين عن منهج الله، وإن أمهلهم الله حيناً، ففتح لهم أبواب كل شيء وازدهرت لهم الحياة الدنيا وأينعت زهرتها.

وواقع الحضارة الغربية المعاصرة عامر بالبراهين والعبر، فمن الأخطار المدمرة التي تهدد أمريكا مثلاً تلك الأمراض التي أفرزتها حضارتهم الهابطة كمرض (نقص المناعة المكتسبة) وأمراض انتشار المخدرات التي أخذت تهدد جميع الطبقات وبشكل أخص العسكريين والناشئة من طلاب المدارس.

ناهيك عما انتشر بينهم من الانحلال النفسي، والخلقي الذي يؤدي إلى تدمير الحياة المادية ذاتها، والقلق العصبي الذي يهبط بمستوى الذكاء والإنتاج وغير ذلك كثير.

ولا تزال هذه العوامل تنخر في تلك المجتمعات، بل منها ما تعاضم وتفاقم وهي آيات حية للمعتبرين، وفي الأرض آيات للموقنين.

٣- إن المتكبرين والمجرمين والفسقة والظالمين هم أعوان الطاغوت في كل زمان ومكان :

قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾<sup>(١)</sup> فالكبر يصرف القلب عن الإيمان بالله عز وجل: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى عنه أيضاً: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْتَهُمُ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾<sup>(٣)</sup>. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قَوْمٌ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

١- الأعراف : ١٣٣ .

٢- الأعراف : ١٤٦ .

٣- القصص : ٣٢ .

٤- الشعراء : ١٠-١١ .



وذلك يعني أن المتكبرين والمجرمين والفسقة والظالمين هم دائماً أعداء الرسل والدعاة وأعداء دين الله على مدار تاريخ البشرية<sup>(١)</sup>.

هؤلاء هم دائماً شركاء الفراعنة في باطلهم، وأصحاب المصلحة في بقاء الأوضاع الجاهلية التي تجعلهم حاشية معتدية ذات نفوذ وسلطان، فقد خافوا أن يغلبهم موسى -عليه السلام- وتتبعه الجماهير حين ترى معجزته، وتستمع إلى ما يقول، لذلك فقد أشاروا على فرعون أن يلقي سحره بسحر مثله ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ليشهدوا المباراة بين الفريقين وقد بثوا فيهم الحماس للسحرة ومن خلفهم من أصحاب السلطان.

فالجماهير تتجمع لمثل هذه الأمور دون أن تفطن إلى أن حكامها يشغلونها بهذه المباريات والتجمعات ليلهوها عما تعاني منه من ظلم وكبت وبؤس، وهي صورة مكرورة من الجاهلية في كل زمان<sup>(٣)</sup>.

ثم يجيء مشهد السحرة بحضرة فرعون قبل المباراة يطمئنون على الأجر والمكافأة (إن كانوا هم الغالبين)، يتلقون من فرعون الوعد بالأجر الجزيل والقربى<sup>(٤)</sup>.

وهكذا ينكشف الموقف فجأة عن جماعة مأجورة يستعين بها فرعون الطاغية تبذل مهارتها في مقابل الأجر الذي تنتظره، ولا علاقة لها بعقيدة، ولا صلة لها بقضية، ولا شيء سوى الأجر والمصلحة. وهؤلاء هم الذين يستخدمهم الطغاة في كل مكان وفي كل زمان وغالبهم من المنافقين والكفرة والملحدين.

---

١- أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ ص ١٨٢.

٢- الشعراء: ٣٨-٣٩.

٣- انظر أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ ص ١٨٣.

٤- انظر دعوة الرسل إلى الله تعالى ص ١٨٤.

٤- إنتصار الحق - وإن كان أهله قلة- على الباطل - وإن كان أهله أقوىاء في الظاهر - :

إن الباطل مهما علا ووجد له أنصار فإنه إلى زوال، وزواله يأتي سريعاً فالزبد دائماً يذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض . حقيقة أقرها القرآن الكريم <sup>(١)</sup> ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ <sup>(٢)</sup> .

فهذا فرعون الذي علا وتجبّر، وأعلن ألوهيته على الناس، وتخطى قدرته البشرية، وقال كما أخبر القرآن الكريم عنه : ﴿يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ \* أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ <sup>(٣)</sup> .

هذا فرعون الذي نادى في قومه وقال : ﴿يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ <sup>(٤)</sup> وقال : ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ <sup>(٥)</sup> ، هذا الذي استخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قومًا فاسقين، هذا فرعون الذي فرق الأمة وجعل أهلها شيعاً وأحزاباً ليسهل عليه السيطرة عليها، هذا فرعون الذي ساقه ظلمه وطغيانه إلى كل أسباب العسف والظلم فقتل أبناء بني إسرائيل وأبقى نساءهم أحياء، وتوعد السحرة بالقطع والصلب هو الذي قال للناس ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ <sup>(٦)</sup> .

ولكن مع قوة هذا الباطل وعلوه وفساده وإفساده إلا أن هذا الباطل لا تدوم دولته، بل هي سريعة الزوال من حيث لا يحتسب الظالم الذي طغى وتجبّر.

ففرعون لما ادعى الألوهية وتخطى حدود البشرية ضرب الله به مثلاً في القرآن ليتعظ به الطغاة والظالمون <sup>(٧)</sup> ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ

١- قال تعالى : ﴿فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ الرعد اية : ١٧ .

٢- النساء : ٨٧ .

٣- غافر : ٣٦-٣٧ .

٤- الزخرف : ٥١ .

٥- السورة نفسها : ٥٢ .

٦- النازعات : ٢٤ .

٧- دعوة الرسل إلى الله تعالى غابتها وتاريخها ص ٢١٦ .

يَذْبَحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿١﴾.

فقضى الله عز وجل أن يكون هلاك هذا العنيد على يد موسى -عليه السلام- الذي تربى في بيته، وقام فرعون نفسه بخدمته فكان يأكل مما يأكل منه فرعون ويشرب مما يشرب منه، والخدم والحشم كلهم في خدمة موسى -عليه السلام- وهو طفل في بيت فرعون كما ألقى الله محبته على قلب زوجته ﴿وَقَالَتْ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢).

وصدق الله العظيم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٣) بالحكمة الإلهية التي من أجلها أراد الله لموسى -عليه السلام- أن يتربى في وسط القصر الفرعوني، وأن يكون أمام فرعون نفسه، ولا يستطيع رغم قوانينه الصارمة في قومه وما أوتيته من قوة وسلطان أن يفتك بهذا الطفل حتى حينما وقع الإيذاء منه فقد وجد موسى من يدافع عنه بقوة وفرعون مكفوف الأذى عنه يصنع بنفسه لنفسه ما يحذره ويخشاه (٤). فالإنسان مهما فكر ودبر فإن تفكيره وتدبيره لا يمنعه من قضاء الله شيئاً، فالعبد دائماً يفكر ويخطط ويدبر ولكن تدبير هذا المخلوق الضعيف لا يساوي شيئاً أمام تدبير الله.

## ٥- وجوب التحرر من سلطان التقاليد المانعة من قبول الحق :

يعد التقليد الأعمى من أمارات الجمود والتخلف التي تصيب الأمة فتجعلها غير قادرة على الحركة والسير في مضمار الرقي، ومسايرة ما يحدث من تطورات اجتماعية، فأعظم ضرر يصيب الجماعات البشرية ويمنعها من ارتياد طرق النجاح هو التقليد الأعمى للآباء.

١- القصص : ٤-٦ .

٢، ٣- القصص : ٩ .

٤- انظر إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ١١٧/٢ .

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لْتَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

فهنا يكشف الملاء عن حقيقة الموانع التي تصدهم عن التسليم بآيات الله وهو الخوف من تحطيم معتقداتهم الموروثة، التي يقوم عليها نظامهم السياسي والاقتصادي، وكذا الخوف على السلطان في الأرض هذا السلطان الذي يستمدونه من خرافات عقائدهم الموروثة<sup>(٢)</sup>.

فهذه الموانع وقفت سداً منيعاً في سبيل قبول فرعون وقومه دعوة موسى -عليه السلام- فعاجلهم الله بالعقوبة بسبب كفرهم واتباعهم مآثر آبائهم المناقضة للحق.

#### ٦- صمود العقيدة -الصحيحة- أمام ترغيب الطغاة وترهيبهم:

إن الإيمان إذا ما وقر في القلب واستقر فيه، نبض القلب بروح الإيمان الصادق والعقيدة الراسخة، فلا تستطيع أي قوة أن تزعزع هذا الإيمان ولا تلك العقيدة.

وهذا درس عظيم نتلقاه من سحرة فرعون حينما خالط الإيمان بشاشة قلوبهم، واستقرت العقيدة في أفئدتهم، وزالت الغشاوة التي كانت على أبصارهم، فلم يلتفتوا إلى فرعون وما ضربه لهم من أجر، ولم يبالوا بتهديده ولم يخافوا ذلك الوعيد، وذلك بعد أن أيقنوا أن ما جاء به موسى -عليه السلام- لا يمكن أن يكون من صنع بشر<sup>(٣)</sup>، فهم أصحاب هذا العلم وخبراء ميدانه، ولذلك تحدوا بإيمانهم أعتى الناس يومئذ لما توعدهم بالصليب والقطع قالوا كما جاء في القرآن الكريم حكاية عنهم: ﴿لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، فلم يخافوا تهديداً ولا وعيداً بل قالوا لفرعون ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾<sup>(٥)</sup>.

هذا هو الإيمان الذي يصنع الرجال الذين لا تخور قواهم أمام المصائب والآلام فكل

١- يونس : ٧٨ .

٢- انظرالمبحث الأول من الفصل الرابع ص ٤٣٥ - ٤٤٠ .

٣- انظر دعوة الرسل إلى الله تعالى غايتها وتاريخها ص ٢١٣ .

٤- الشعراء : ٥٠ .

٥- طه : ٧٢ .

مصيبة تهون أمام العقيدة الصحيحة والإيمان السليم، ولذلك طلب السحرة من الله عز وجل أن يلهمهم الصبر على هذا الإيذاء الذي توعدهم به فرعون وقالوا كما أخبر القرآن الكريم عنهم: ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

فالآلام والمصائب هي أشد ما تمتحن به النفس الإنسانية في إيمانها وعقيدتها، ولذا طلب السحرة من الله عز وجل أن يهبهم صبراً واسعاً يفرغه عليهم إفراغاً حتى يثبتوا على الإيمان وأن يتوفاهم إليه مسلمين مدعنين لأمره مستسلمين لقضائه.

#### ٧- تأثير بطانة السوء في المجتمع:

إن الباغي لا يستمر على بغيه إلا إذا وجد من قومه من يحسن له عمله ويبرر له بطشه، ومن ذلك نعرف أن الظلم إذا انتشر في الأرض كان سببه ضعف القوم وعدم مكافحتهم له<sup>(٢)</sup> قال تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾<sup>(٣)</sup> أي أن فرعون لم يكن مستقلاً بالإثم، بل شاركه قومه وعشيرته، لأنه وجد فيهم استعداداً للشر، كما وجد منهم البطانة التي تعينه على ظلمه، وتحسن له جبروته وكبريائه.

ومن عجيب أمر الناس أن المستبد يظلمهم فيحمدونه على الظلم، ويسيء إليهم فيشكروونه على الإساءة، ويغري بعضهم ببعض فيفرحون بذلك الإغراء، ويخرب بيوتهم بأيديهم، كما يفقر بلادهم، بمعونتهم، يعمل ذلك كله فلا يجد من الناس إلا المعين والناصر.

#### ٨- الأخذ بالأسباب واغتنام الفرص المتاحة:

إن لله في هذا الكون سنناً كثيرة، قدر الله أن تكون مرهونة بأسبابها فلكل شيء سبب قضت إرادة الله عز وجل بذلك قال تعالى:

١- الأعراف : ١٢٦ .

٢- انظر دعوة الرسل إلى الله تعالى ص ٢٧٨ .

٣- الزخرف : ٥٤ .

﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ  
اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَّا تَزَرُ وَأَزْرًا  
وَزَرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ  
الْأَوْفَى﴾<sup>(٢)</sup>.

فكل إنسان يقصر في الأخذ بالأسباب، ويقع فيما لا يحب أن يقع فيه مؤاخذه، لأنه لم  
يفعل ما أمر به من الأخذ بالأسباب والعمل بها ومن طلب شيئاً ولم يسع في تحقيقه وفق سنن  
الله فقد طلب المستحيل<sup>(٣)</sup>.

ففرعون الذي سعى في الأرض غروراً فتكبر وتجبر عن دعوة الحق، لما أدركته ساعة  
الموت والغرق قال: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ  
الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.. ففي تلك اللحظة الحاسمة سقطت عنه كل أرديته التي تنفخ فيه فتظهره  
لقومه ولنفسه قوة مخيفة، فتضاءل وتصاغر وشعر بالخطر المحدق به، فهو لا يكتفي بأن يعلن  
إيمانه بأنه لا إله إلا الذي آمن به بنو إسرائيل بل يزيد في استسلام ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٥)</sup>  
المسلمين لكل ما جاء به موسى ولكن متى أعلن هذا الأمر؟ عندما فاتته تلك الفرص التي  
كانت متاحة أمامه ليؤمن ويدعن لله الواحد الأحد.

وحينئذ لم ينفعه إيمانه ولا استسلامه في تلك اللحظة حيث لا اختيار ولا فرار وقد سبق  
العصيان والاستكبار ﴿آلَآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بَدَنِكَ  
لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

١- فاطر: ٤٣.

٢- النجم: ٣٦-٤١.

٣- خواطر في الدعوة إلى الله ص ٢٧٨ تأليف: د. محمد بن لطفي الصباغ الطبعة الأولى ١٤١١هـ - الناشر: المكتب  
الإسلامي بيروت - لبنان.

٤، ٥- يونس: ٩٠.

٦- يونس: ٩١-٩٢.

وإننا لنرى في هذه الحياة رجالاً تخطوا عتبة الشباب يُبدون أسفهم العميق على ما ضاع من أيام الشباب دون فائدة يدخرونها ليوم المعاد، ويتمنون لو أنهم نبهوا إلى العمل الصالح الذي يجدونه يوم القيامة محضراً، وإلى العمل الفاسد الذي يحملون وزره على ظهورهم يومذاك، ولن يجدوا من يعينهم في ذلك اليوم العصيب ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَآ لَا يَحْمِلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (١).

هذه سنة الله في كونه، وفي دينه الذي أمر الناس بالتزامه قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىٰ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢).

فالواجب على كل مسلم أن لا يدع الفرصة تفوته في العمل ليوم المعاد فربما لا تعود إليه الفرصة مرة أخرى فيضيع على نفسه سعادة الدنيا والآخرة.

## ٩- عدم الاغترار بما يكون عليه أهل الباطل من إملاء واستدراج وتقلب في النعم:

إن الإملاء والاستدراج والتقلب في النعم الذي يكون لأهل الباطل فيه امتحان للنفوس وتمييز للصفوف، فكم من أناس تستخفهم زهرة الحياة الدنيا وزينتها فتصرفهم الشهوات عن العواقب، ويؤخذون بالمقدمات عن النتائج، فيحبون الدنيا وهي فانية ويذرون الآخرة وهي الدائمة، عندئذ يفتنون بأهل الباطل فلا يدركون أنهم يستدرجون ويملي لهم وأن عاقبة أمرهم كما ذكر الله عز وجل:

١- فاطر : ١٨ .

٢- السجدة : ١٢-١٤ .

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ فَقَطَّعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١).

فالحديث عما يكون للباطل وأهله من إملاء واستدراج فيه عظة وعبرة حتى لا يظن بعض الناس أن ما يُعطى لأهل الباطل وما يفتح عليهم دليل تمكين وبقاء وغلبة وانتصار، الأمر الذي يحمل البعض على اتباع الباطل، ومعاداة الحق أو نسيانه.

وقد يُسَوَّلُ لهم أنهم يتعاملون مع الواقع وهم يرون ما للكفر من غلبة وما لأهله من علو في الأرض فيسارعون فيهم، ويسلكون سبلهم، فإذا تبدل الحال وقع الندم، وأقبلت الحسرة، ورأيت أولئك الذين تمنوا مكان المستدرجين يقولون: ﴿ وَيَكُنَّ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا وَيَكُونُ لَهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٢).

وهذا أمر قد يتكرر في حياة الناس، ولا يأخذون العبرة مما مضى، والعظة مما يقع، وينسون أن سنن الله لا تتجامل ولا تحابي وأن الحق هو المنتصر وله العاقبة مهما لقي من جفاء، وصاحب أهله من بلاء، وأن الباطل ذاهب زاهق مهما أعطي من إملاء وأوتي أهله من عطاء، قال تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ (٣).

أهلك الله عز وجل فرعون وجنوده بالغرق جزاء كفرهم وظلمهم، كما خسف الله بقارون جزاء كبره وغروره: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ (٤).

وأهلك بني إسرائيل بالصاعقة بسبب تعنتهم وكثرة مطالبهم:

١- الأنعام : ٤٤-٤٥ .

٢- القصص : ٨٢ .

٣- القصص : ٤٠-٤٢ .

٤- القصص : ٨١ .



﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ومسخ - تعالت أسماؤه وصفاته - ناساً من اليهود قردةً وخنازير بسبب غشهم وتحايلهم على الأمور الشرعية:

﴿قُلْ هَلْ أَنْبَأُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾<sup>(٢)</sup>. وقال: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

فسنن الله مع الخلق لا تتبدل ولا تتحول، يستدرج من يستدرج، ويملي لمن يملي له، ثم يؤخذ وهو في قمة نشوته وفي غمرة بطره وغفلته:

قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾<sup>(٥)</sup>.

لذا فمن رحمة الله بخلقه أن بين لهم ما هم صائرون إليه بأعمالهم حتى لا تشغلهم المقدمات عن النتائج والشهوات عن العواقب. وفي آياته في الأنفس وفي الآفاق عون لهم على اتباع الحق واجتناب الباطل وهم يرون بأعينهم آثار من كذبوا بالحق فاستدرجوا وكان عاقبة أمرهم خسرًا<sup>(٦)</sup>.

﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَهِنَ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾<sup>(٧)</sup>.

١- البقرة : ٥٥ .

٢- المائدة : ٦٠ .

٣- الأعراف : ١٦٦ .

٤- الأنعام : ٤٤ .

٥- فاطر : ٤٣-٤٤ .

٦- كلمة الحق في القرآن الكريم ٢ / ٨٣١ تأليف : محمد بن عبد الرحمن الراوي - أشرفت على طباعته ونشرة إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٨ هـ .

٧- الدخان الآيات من : ٢٥-٢٩ .

## ١٠ - أثر الدعوة على المرأة إيجاباً وسلباً :

إن للمرأة كما للرجل في موقع الهدى أو الضلال ففي قصة فرعون نرى المرأة تهتدي وسط الظلام إلى الحق، وتأخذ طريقها إلى الله، غير ناظرة إلى ما يمكن أن يلحقها على طريقها من بلاء ونكال ذلك أن للحق سلطاناً قوياً متمكناً من النفوس التي يحل بها ويعمر جنباتها بأنواره.

فهذه امرأة فرعون تأخذ طريقاً غير طريق هذا الجبار العنيد، لا يُخيفها سلطانه وسطوته، ولا يغريها ما تجد بين يديها من جاه ومال وسلطان، فلا تقبل أن تكون عابدة لغير الله، ولا تنظر إلى فرعون وما يدّعيه من ألوهية على الناس، إلا نظرتها إلى أي مخلوق من مخلوقات الله، يموت كما يموت الناس، ويحتويه التراب كما يحتوي الناس.

ولهذا أجرى الله تعالى لها ذكراً طيباً في القرآن الكريم، وجعلها مثلاً كريماً للإنسان الذي احتفظ بإنسانيته، وقهر كل دواعي الضعف التي تطيف به، وتحاول أن تغتال عناصر الخير فيه.. وفي هذا يقول الله تعالى عن امرأة فرعون: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

فهذا مثل كريم لأهل الإيمان يجدون فيه عبرة لما يلقاهاهم على طريق الإيمان من شدائد ومكاره، فيتحملونها في صبر ورضى في سبيل حياة طيبة، وجزاء كريم من الله تعالى.

ومما ورد من فضلها -رضي الله عنها- ما جاء عن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا ثَلَاثٌ مَرْيَمُ»<sup>(٢)</sup>

١- التحريم : ١١.

٢- مريم ابنة عمران بن هاشم من ذرية سليمان بن داود -عليهما السلام- كانت من الصديقات المشهورات، طهرها الله واصطفاه على نساء عالمي زمانها. وهي أم عيسى عليه السلام التي أنجبته بلا زوج بل بنفخة من روح الله تعالى (انظر الكامل في التاريخ ١/ ٢٢٨-٢٤٢ وانظر البداية والنهاية ٢/ ٥١-٦٤).

بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة<sup>(١)</sup> بنت خويلد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»<sup>(٢)</sup>.

ذلك أن للإيمان أعباءه وتبعاته في مغالبة الشهوات، وفي التخلي عن أولياء الشيطان ولو كانوا آباءهم، أو أولادهم، أو أزواجهم<sup>(٣)</sup>.

وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

ويقول الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه عنه أنس رضي الله عنه: «حُفَّتِ الجنة بالمكاره وحُفَّتِ النار بالشهوات»<sup>(٥)</sup>.

فالطريق إلى الجنة ملئ بالأشواك التي يُشاك بها سالك الطريق إليها، أما الطريق إلى النار فهو مفروش بالورود والرياحين يبيع الإنسان نفسه للشيطان وأوليائه، فيداهن وينافق، ويفتري الكذب على الله وعلى الناس، لينال ما تشتهي نفسه من مال، أو جاه أو سلطان، وغير ذلك مما هو زائل، لا يبقى منه إلا الحسرة والندم.

وحين ذكر الله تعالى في كتابه الكريم امرأة فرعون، وضربها مثلاً للمؤمنين، الصادقين الصابرين، وجعل سبحانه وتعالى ذلك تنويهاً للمرأة حيث ترشد وتستعلي بذاتها على أهواء النفس، ووساوس الشيطان، شأنها في ذلك شأن أولي الرشاد من الرجال. حين ذكر الله تعالى ذلك في جانب الرشاد والسداد في فضليات النساء، فإنه سبحانه وتعالى ذكر أولئك

١- هي سيدة نساء العالمين في زمانها، أم القاسم ابنة خويلد بن أسد القرشية الأسدية، أم أولاد النبي ﷺ وأول من آمن به وصدقته، وهي ممن كُمل من النساء، كانت عاقلة جليلة دينة مصونة كريمة بُشرت ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب. تزوجها الرسول ﷺ وله خمس وعشرون سنة وكانت أسن منه بخمس عشرة سنة توفيت -رضي الله عنها- قبل الهجرة بثلاث سنين. (انظر الطبقات الكبرى ١١-٧/٨ وانظر صفة الصفوة ٢/٣-٤ وانظر سير أعلام النبلاء ١٠٩/٢-١٨٨).

٢- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا...﴾ ٤/١٣٢-١٣١ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب فضائل خديجة ٤/١٨٨٦ رقم ٢٤٣١.

٣- انظر الأنبياء في القرآن الكريم من البداية إلى النهاية ص ١٢٩ - تأليف عبدالكريم الخطيب الطبعة الأولى ١٩٧٩ م - الناشر: دار الفكر العربي.

٤- العنكبوت: ٢-٣.

٥- أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الجنة باب (بدون اسم) ٤/٢١٧٤ رقم ٢٨٢٢.

السفیهات من النساء، حين يغلب علیهن الرأي الجماعي الغالب الفاسد، فيستحوذ علیهن الشیطان، ويلقین بأنفسهن في مسبح الظلام، ويغرقن مع الغارقین ویأبین أن یمددن أیدیهن إلى جبل النجاة الممدود لهن، من أقرب الناس إلیهن، وألصقهم بهن.

فهذه امرأة نوح - علیه السلام - تخالط هذا النبی الکریم، وتسکن إلیه، وتتفیأ ظلال النبوة في بيته وتشهد أنوارها، في أيامها ولياليها، وكان المؤمل منها في هذه الحالة أن تكون أول المستجيبين له، والمؤازرين لدعوته، ولكنها كانت مع المخالفين له المتحرشين به، فكانت مع المغرقين الهالکین من قوم نوح.

وكذا الأمر بالنسبة لامرأة لوط - علیه السلام - إذ خرجت على دعوته، وأبت إلا أن تكون مع القوم الکافرين وفي هاتین المرأتین - امرأة نوح وامرأة لوط - جاء قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا<sup>(١)</sup> فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ<sup>(٢)</sup>﴾.

وبهذا صارت هاتان المرأتان مثلاً مضروباً لكل من يضل عن الهدى، ويسلك الطريق المعوج، وبين يديه المصباح الموجه إلى مسالك الحق والخير، المؤدي إلى غايات السلامة والأمن.

وهكذا يدور الصراع دائماً بين الخير والشر في داخل الإنسان نفسه، وفي محيط أسرته وأهله، وفي دائرة المجتمع الإنساني كله، ليكون الابتلاء الذي به يُميز الله الطيب من الخبيث كما يقول سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ<sup>(٣)</sup>﴾.

١ - فخانتاهما أي في الإيمان وعدم التصديق بالرسالة فليس المقصود بالخيانة هنا إرتكاب الفاحشة لأن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - (انظر تفسير القرآن العظيم ٤ / ٣٩٤).

٢ - التحريم : ١٠ .

٣ - محمد : ٣١ .

**المطلب الثاني :** الفوائد المستنبطة من حوار موسى - عليه السلام - مع بني إسرائيل

١ - تقرير حرية الشعوب وثبوت حقها في التخلص من إستعباد الأقوياء :

في قصة موسى عليه السلام تقرير لحرية الشعوب وحقها في التخلص من استعباد الأقوياء .

فالأمة المستضعفة وإن بلغت في الضعف ما بلغت لا ينبغي أن يستولي عليها الكسل عن السعي في حقوقها، ولا اليأس من الارتقاء إلى أعلى الأمور، خصوصاً إذا كانوا مظلومين، وذلك كما استنقذ الله بني إسرائيل على ضعفها واستعبادها لفرعون وملئه منهم، ومكنهم في الأرض وملّكهم بلادهم .

قال تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ (١) .

فهؤلاء المستضعفون الذين يتصرف الطاغية في شأنهم كما يريد له هواه، يريد الله تعالى أن يمنّ عليهم بهباته من غير تحديد، وأن يجعلهم أئمة وقادة لا عبيداً ولا تابعين، وأن يورثهم الأرض المباركة التي استحقوها بالإيمان والطاعة، فالآية تعلن أنه لا موجب لأن تستضعف أمة غيرها وتخضعها لقوتها وسيطرتها وتستغل مواردها، فإذا بلغت ذلك كان الله في عون المستضعف فينصره ويحرره من ربة الاستعباد والطغيان (٢) .

وقد جاء استنكار الاستعباد على لسان موسى - عليه السلام - في حوارهِ مع فرعون في قوله تعالى :

١ - القصص : ٥ .

٢ - انظر في ظلال القرآن ٥ / ٢٦٧٨ .

٣ - انظر اليهود في القرآن ص ٢٣٤ .

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾<sup>(١)</sup> حينما قال له فرعون ممتناً:  
﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فموسى عليه السلام أراد أن يرد على امتنان فرعون عليه بالتربية فيبطله من أساسه وأبى عليه أن يسمي هذه النعمة إلا نقمة لأن حقيقة إنعامه عليه تعبيد لبني إسرائيل وإذلال لهم. والشر إذا سبب خيراً لا يؤجر عليه فاعل الشر ولا يصح له أن يمتن به<sup>(٣)</sup>. وقد كان موسى -عليه السلام- في هذا الحوار شديد الذكاء حاضر البديهة لم يلبث فرعون أن يذكره بنعمة التربية حتى أعقبها موسى بنقمة التعبيد لبني إسرائيل.

وفي فحوى هذا القول حملة جريئة على العبودية وتقريع لفرعون المتكبر المستبد وانتقاد عنيف لتصرفاته.

وفي هذا درس لأولئك الذين استعبدوا رقاب بعض الناس فسخروهم لخدمتهم ليلاً ونهاراً، يعاقبونهم عند كل زلة ويؤنبونهم عند كل خطيئة، فكم سمعنا بأناس يضربون ويحرقون، وكم سمعنا بأناس يُسَجَّنون ويُحَرَّمون، وكم سمعنا بأناس يبخسونهم حقوقهم فلا يعطونهم ما يستحقون من راتب وغيره.. يحرمونهم من المأكل والمشرب، فلا يأكلون إلا فضلات طعامهم ولا يلبسون إلا الرث من ثيابهم.. ناسين أو متناسين أنهم بشر مثلهم يشعرون كما يشعرون ويحسون كما يحسون، ألجأتهم الحاجة والفقر والعوز فاغتربوا عن بلادهم وتركوا أهليهم وأولادهم بحثاً عن لقمة العيش بالحلال. فكيف نستعبدهم وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟.

فالمسلم مأمور بالرحمة والشفقة وحسن التعامل لكل من هو تحت يده فكيف إذا كانوا مسلمين تجمعهم بهم أخوة الدين والعقيدة؟

١- الشعراء : ٢٢ .

٢- الشعراء : ١٨ .

٣- دعوة الرسل إلى الله تعالى ص ٢٥٦ .

## ٢- الدعوة إلى الكفاح وعدم اليأس مهما حدث من المصائب والحن:

إن في إيمان قوم موسى -عليه السلام- وتحملهم إيذاء فرعون، ووصايا موسى لهم بالصبر والكفاح درساً للمؤمنين ليستمروا في كفاحهم في سبيل عقيدتهم. فهؤلاء المؤمنون برسالة موسى -عليه السلام- يمعن فرعون فيهم تقتيلاً وتعذيباً فيواسيهم موسى بقوله ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(١)</sup> يوصيهم بالصبر ويعددهم بالنصر إذا اتقوا ربهم.

ولكنهم يتململون تحت وطأة العذاب الأليم فيجأون بالشكوى إليه قائلين ﴿أَوَذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾<sup>(٢)</sup> فيجيبهم موسى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> ففي هذه الإجابة تجرد واضح من التشبث بالنصر العاجل، فهلاك العدو بيد الله إن شاء قُدَّمه، وإن شاء أخره، ولكن الله سينصرهم إن عاجلاً أو آجلاً ليرى ما يصدر منهم من عمل ﴿وَيَسْتَخْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

فهذا الاعتقاد إذا سيطر على المؤمنين -وهو أن الله سينصرهم على أعدائهم إذا استمروا في كفاحهم- له أكبر الأثر في شحذ الهمم وتقوية العزائم، وإزالة الوهن من النفوس، وإبعاد اليأس من القلوب.

## ٣- افتقار الخلق إلى الله مهما بلغت منزلتهم في الدنيا:

إن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وهم أعلى أصناف الخلق مفتقرون إلى الله، فلا يلجأون إلا إليه ولا يستغيثون إلا به، ولا يسألون إلا إياه. فهذا موسى -عليه السلام- يستسقى ربه لقومه كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾<sup>(٥)</sup> كما استسقى أشرف الأنبياء محمد ﷺ لقومه

١- الأعراف : ١٢٨ .

٢، ٣، ٤- الأعراف : ١٢٩ .

٥- البقرة : ٦٠ .

حين دخل رجل يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال: يا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال: «اللهم أغثنا اللهم أغثنا، اللهم أغثنا» قال أنس: «والله ما نرى في السماء من سحابة ولا قرعاً»<sup>(١)</sup> وما بيننا وبين سلع<sup>(٢)</sup> من بيت ولا دار. قال فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، فلا والله ما رأينا الشمس سبتاً، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فاستقبله قائماً فقال: يا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنا. قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال: «اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والضراب، وبطون الأودية ومنابت الشجر، قال: فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس»<sup>(٣)</sup>.

ففي هذه القصة، وفي قصة موسى -عليه السلام- دليل على أن الخلق مفتقرون إلى الله مهما بلغت منزلتهم عند الله عز وجل فإذا كان هذا مقام الأنبياء -عليهم السلام- فما بالك بمقام من دونهم؟

ويتفرع عن هذه الفائدة فائدة أخرى وهي أنه من الواجب على الإنسان الذي أصابه الضرر ألا يلجأ إلا لله -عز وجل- لا يلجأ إلى فلان وفلان من الأحياء أو الأموات فيدعوهم ويستغيث بهم ويسألهم كشف الضرر، لأن الاستغاثة بغير الله في أمر لا يقدر عليه المستغاث به هو من الشرك الأكبر المخرج عن الملة<sup>(٤)</sup>. فالله سبحانه وتعالى هو الملجأ الذي يلجأ إليه كل مخلوق، فلا عاصم من أمر الله إلا من رَحِمَ.

١- القرعة: هي القطعة من الغيم (انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ٥٩).  
 ٢- السلوع: شقوق في الجبال وأحدها سَلَعٌ وسَلْعٌ. وقال أبو زياد: الإسلاع طرق في الجبال يسمى الواحد منها سَلْعاً وسَلْعٌ: جبل يسوق المدينة (انظر معجم البلدان ٢/ ٢٣٦ كتاب السين).  
 ٣- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الاستسقاء باب الاستسقاء في المسجد الجامع وباب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة ٢/ ١٦-١٧، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب صلاة الاستسقاء باب الدعاء في الاستسقاء ٢/ ٦١٢-٦١٤ رقم ٨٩٧.  
 ٤- أحكام من القرآن الكريم ص ٢٤١ لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمعه: عبد الكريم بن صالح المقرن الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ الناشر: دار طويق للنشر والتوزيع.



#### ٤ - عقوبة الإصرار على المعاصي :

لعل في مسخ بني إسرائيل قردة وخنازير جزاء ما اقترفته أيديهم عبرةً وعظةً لقوم استهانوا بالمعاصي، واستمرؤا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وفسقوا عن أمر الله، وضلوا ضلالاً بعيداً، لعلهم يعلمون أن الله تعالى الذي مسخ سلفهم في الشهوات وأثمتهم في الضلال، فصاروا قردة وخنازير في النفوس والطباع<sup>(١)</sup> إنما كان بسبب فسقهم وإصرارهم على المعاصي، وإن في قدرته أن يمسخ من كان مثلهم ذلك المسخ المعنوي الذي يقضي على كل فضيلة في النفوس، ويمحو كل خلق من أخلاق الإنسانية الفاضلة، لعل لهم مذكراً في أولئك الأقوام، وما حل بهم من عقوبات فيقلعوا عن سيئاتهم، ويرجعوا إلى ربهم وخالقهم، ويثوبوا إلى رشدهم، والله تعالى واسع الفضل يقبل التائب، ويعفو عن أساء، متى أصلح ما أفسد، وبذل سيئاته حسنات وعمل عملاً صالحاً:

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾<sup>(٢)</sup>.

١ - انظر دعوة الرسل إلى الله تعالى ص ٢١٥ .

٢ - طه : ٨٢ .

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على إمام الدعاة معلّم الناس الخير وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أحمد الله -عز وجل- على ما وفقني إليه من الكتابة في موضوع: الحوار في دعوة موسى -عليه السلام- في ضوء الكتاب والسنة، والذي أرجو أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به الإسلام والمسلمين .

ومن خلال بحثي هذا الموضوع برزت لي نتائج عديدة وتوصيات مهمة يمكن تلخيصها في ما يلي :

أولاً: النتائج :

١- إن دعوة موسى -عليه السلام- بدأت في مرحلة الجهر بكبار القوم، يظهر هذا واضحاً في عرض موسى -عليه السلام- الدعوة على فرعون وملائه كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ \* فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾<sup>(١)</sup> . وقوله تعالى: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> . وفي مواجهة الملأ بالدعوة ابتداءً - في مرحلتها العلنية - حكمة لا تخلو من إحدى حالتين :

الحالة الأولى: أن يستجيبوا للدعوة فيستجيب لها كل من هو تحت سلطتهم أو -على الأقل- يفسحوا المجال أمام الداعي حتى يوصل الدعوة إلى مسامع العامة .

الحالة الثانية: أن يقابلوها بالرفض وحينئذ لابد للرفض من مبرر، والملأ لا يجدون الحجة التي يدفعون بها الحق، وهذا يُسقط هيبتهم عند العامة .

٢- تشابه قلوب الكفار في حوارهم وتعتنهم وإعراضهم عن الحق وما يفترونه على

١- طه : ٤٣-٤٤ .

٢- الشعراء : ١٦ .

الرسول -عليهم الصلاة والسلام- وأتباعهم في كل عصر من الاتهامات والمطاعن، وما يحيكونه من الكيد والشبهات لصرف الناس عن دين الحق. قال تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ أَتَوَا صُورًا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٣- إن من تربي تحت سياط الذل والقهر والظلم، حتى طبعت نفسه على الخنوع والذل، يحتاج المصلحون إلى جهود كبيرة لغرس العزة والكرامة والحرية في نفسه، وذلك من أشق ما يواجهه المصلحون وأصعبه في طريق الإصلاح، ومواقف موسى -عليه السلام- مع بني إسرائيل أكبر دليل على ذلك.

فمثلاً كان للوثنية التي ألفها بنو إسرائيل -زمناً طويلاً- تأثير كبير في نفوسهم إذ كانت لاصقة بهم، كما كانت بلاد الطبع غالبية عليهم نتيجة الإذلال الذي مارسه فرعون نحوهم من أجل ذلك كله لم تؤثر فيهم الآيات العظيمة التي أجراها الله -سبحانه وتعالى- لإنجائهم وإهلاك عدوهم مثل: إنفلاق البحر لهم حتى جاوزوه على يابس، ولذلك لما جاوزوا البحر، وأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم طلبوا من موسى -عليه السلام- أن يتخذ لهم إلهاً كما لهؤلاء القوم آلهة<sup>(٣)</sup> قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

كما أفسد ظلم الفراعنة فطرتهم وطبع عليها طابع المهانة والذل والجبن إلى أن جاءهم موسى -عليه السلام- يدعوهم إلى الجهاد ودخول الأرض المقدسة، ولكن نفوسهم المهينة التي ألقت الذل والاستعباد لم تطاوعهم على الجهاد فقالوا لنبيهم

١- البقرة : ١١٨ .

٢- الذاريات : ٥٢ .

٣- انظر المبحث الأول من الفصل الرابع ص ٤٦٥ .

٤- الأعراف : ١٣٨ .

—عليه السلام— كما أخبرنا الله —عز وجل— في كتابه: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

٤— أن سنة الله —سبحانه وتعالى— لا تتبدل ولا تتغير في شأن عباده المؤمنين والكافرين مهما تباينت الظروف وتباعدت الأزمان، قال تعالى: ﴿... فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>. وفي قصة موسى —عليه السلام— مع فرعون وملئه عظة وعبرة لكل عاقل، فهذا فرعون الذي ملأ الأرض ظلماً وبطشاً وادعي أنه الرب الأعلى أغرقه الله في اليم وأخرج بدنه جثة هامدة لا تستطيع حراكاً قد حيل بينه وبين الحياة.

وغاية القرآن الكريم في ذكر مثل هذه الوقائع دعوة الناس إلى النظر في تاريخ من قبلهم نظرة استفادة، وبيان أن الحصول على السعادة لا يكون إلا بالإيمان والعمل الصالح وأن الذنوب عاقبتها وخيمة<sup>(٣)</sup>، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

٥— إن الأدب في الحوار لا يقل أهمية عن الحوار نفسه، إذ إن فقدان الأدب وعدم مراعاة الظروف والأحوال قد يؤدي إلى نتائج سلبية ويزيد التنافر والاختلاف بين المتحاورين، أو يقضي على الحوار ويهدمه من أساسه، يظهر هذا واضحاً في استخدام موسى —عليه السلام— هذا الأسلوب في معرض حوار مع فرعون حينما حاول استمالة قلبه فناده بلقبه في أدب: ﴿يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٥)</sup>. فكأنه يقول يا ملك مصر إني رسول من رب العالمين، ولكن فرعون —قبحه الله— أخذ يسأل موسى —عليه السلام— في تهكم واستهزاء... ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٦)</sup> وهي محاجة تبين فيها إفلاس فرعون من وجود حجة بل شبهة يدفع

١— المائدة : ٢٤ .

٢— فاطر : ٤٣ .

٣— انظر المبحث الثاني من الفصل الخامس ص ٥٢٣ .

٤— غافر : ٢١ .

٥— الأعراف : ١٠٤ .

٦— الشعراء : ٢٣ .

بها ما جاء به موسى -عليه السلام- من البينات لأنه سأل عن الجنس ولا جنس لله تعالى، فعلم موسى -عليه السلام- جهله فأضرب عن سؤاله وأعلمه بعظيم قدرة الله التي تبين للسامع أنه لا مشاركة لفرعون فيها<sup>(١)</sup> قال تعالى على لسان موسى -عليه السلام-: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ \* قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمْعُونَ \* قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ \* قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ \* قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ \* قَالَ لئنِ اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾<sup>(٢)</sup> ومع هذا فلم يشتغل موسى -عليه السلام- بدفع ما نسب إليه من العبارات البذيئة ولم يقل لفرعون إنك لمجنون كما اتهمه فرعون زوراً بل أخذ يعرض آثار قدرة الله المثبوتة في السماء والأرض بكل أدب واحترام.

٦- على الداعية المسلم ألا يتجاسر على الحوار ويدخل فيه، ما لم تكن عنده الأهلية في هذا ويتأكد من انطباق الشروط اللازمة عليه.

يؤخذ هذا من موقف موسى -عليه السلام- حينما سأل فرعون كما جاء في القرآن الكريم: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾<sup>(٣)</sup>، أجابه موسى -عليه السلام- بأن علمها عند الله -عز وجل- فلم يحاول أن يدخل معه في جدل عقيم لا يثري الحوار في شيء، بل رد العلم إلى الله -عز وجل- كما جاء في القرآن الكريم: ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾<sup>(٤)</sup>.

٧- إن الحوار وسيلة من وسائل الدعوة -لا يمكن الاستغناء عنها فعن طريقه يمكن عرض الإسلام وإقناع الآخرين بقضاياه، وكذا الأمر في رد شبهات المعاندين وكيد

١- انظر المبحث الأول من الفصل الثاني ص ١٧٩ .

٢- الشعراء : ٢٣- ٢٩ .

٣- طه : ٥١ .

٤- طه : ٥٢ .

المضلّلين، فموسى -عليه السلام- عرض أصول دعوته على قومه عن طريق الحوار وقد تحدثت عن هذا الموضوع بشكل مستفيض في الفصل الثاني مما يغني عن الإعادة.

٨- أن نصوص الكتاب والسنة احتوت على أقوم الطرق وأهدى السبل وأفضل المناهج في الحوار وآدابه، وعلى كل من أراد الحوار أن يسلك سبيلهما ليصل إلى مقصوده بأيسر طريق وأسرع وقت.

#### ثانياً: التوصيات :

١- أوصي قسم الدعوة والاحتساب بإعداد دعاة مؤهلين للحوار، ملتزمين بآدابه، يملكون القدرة على الإقناع والرد من خلال إقامة ندوات علمية شرعية، وعملية تطبيقية تساعد على استكمال الشروط اللازمة لذلك.

٢- كما أوصي مراكز البحوث والمؤسسات العلمية بجمع وتحقيق ودراسة ما يمكن الحصول عليه من الحوارات القديمة والحديثة وإبرازها في موسوعة أو مؤلف خاص، تُرتَّب حسب موضوعاتها وأهدافها، مثل أن تجمع الحوارات مع أهل الكتاب في قسم خاص، والحوارات بين الفقهاء في قسم آخر، وهكذا، ليسهل تناولها وتكمل الفائدة منها.

٣- أوصي أيضاً مراكز الدعوة والإرشاد بترجمة الحوارات المفيدة إلى لغات مختلفة، ونشرها في بقاع المعمورة لتكمل الفائدة منها.

٤- توجيه مراكز البحوث وأقسام الدراسات العليا التي تعني بالدعوة إلى الاهتمام بهذا الموضوع، وإعطائه حقه من الدراسة والبحث، لأهميته والحاجة إليه في وقتنا الحاضر.

هذا فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ أو نسيان فمن نفسي وحسبي أنني اجتهدت، فالكمال لله -سبحانه وتعالى- والقصور من سمات العمل البشري. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

# الفهارس

# فهرس الآيات القرآنية

مرتبة حسب ورودها في المصحف

الآية	رقمها	الصفحة
﴿سورة الفاتحة﴾		
إياك نعبد .	٥	١٠٧
اهدنا الصراط المستقيم .	٦-٧	١٤٥
﴿سورة البقرة﴾		
الذين يؤمنون بالغيب .	٣	١٧٤
أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون .	٥	١٧٤
وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض .	١١-١٢	٣٨٧
وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض .	٣٠-٣٢	٣٦
لا علم لنا إلا ما علمتنا .	٣٢	١٦٠
وآتوا الزكاة .	٤٣	٢٣٠
يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم .	٤٧	٤٧٥، ٣١٠
وأني فضلتكم على العالمين .	٤٧	٣١٠
وإذ نجيناكم من آل فرعون .	٤٩	٣١٣
وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم .	٥٠	٣١٦
فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون .	٥٠	٣١٦
وأنتم تنظرون .	٥٠	٣١٦
وإذ أتينا موسى الكتاب والفرقان .	٥٣	٣٢٠
وإذ قال موسى لقومه .	٥٤	٢٠٦، ٢٠٥، ٧
يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم .	٥٤	٢٠٦
ظلمتم أنفسكم .	٥٤	٢٠٦
فتوبوا إلى بارئكم .	٥٤	٢٠٦
وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة .	٥٥	٥٣٤، ٢٠٨
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة .	٥٥	٣٠٤، ٢١١، ٢٠٩



الآية	رقمها	الصفحة
فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون .	٥٥	٢١٨، ٢١٠
ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون .	٥٦	٢١٨، ٢٠٩
وظللنا عليكم الغمام .	٥٧	٣٢٦، ٣٢٥
وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .	٥٧	٣٢٦
وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية .	٥٨	٢٥٧
وقولوا حطة	٥٨	٢٥٧
فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم .	٥٩	٢٥٩
فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء .	٥٩	٢٥٩
وإذ استسقى موسى لقومه .	٦٠	٥٤٠، ٣٢٣، ٢٩٨
فقلنا اضرب بعصاك الحجر .	٦٠	٣٢٤، ٣٢٣
فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا .	٦٠	٣٢٤
وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد .	٦١	٣٢٧، ٣٠٤، ٢١١
لن نصبر على طعام واحد .	٦١	٣٠٤
فادع لنا ربك .	٦١	٣٢٨
يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها .	٦١	٣٢٨
اتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير .	٦١	٣٢٨، ٣٠٤
اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم .	٦١	٣٢٩
وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله .	٦١	٣٢٩
ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت .	٦٥	٢٤٢، ٢٣٩، ٢٣٣
كونوا قردة خاسئين .	٦٥	٢٤٢
فجعلناها نكالاً لما بين يديها .	٦٦	٢٤٣
وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم .	٦٧	٢٦٤، ٢٦٣
إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة .	٦٧	٢٦٧، ٢٦٣
أتخذنا هزواً	٦٧	٢٦٨، ٢٦٧، ٢٦٦

الصفحة	رقمها	الآية
٢٦٨، ٢٦٧	٦٧	قال أعود بالله أن أكون من الجاهلين .
٢٦٩	٦٨	ادع لنا ربك يبين لنا ما هي .
٢٦٩	٦٨	قال إنه يقول إنها بقرة .
٢٦٩	٦٨	لا فارض ولا بكر .
٢٧٠	٦٨	فافعلوا ما تؤمرون .
٢٧٠	٦٩	ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها .
٢٧٠	٦٩	قال إنه يقول إنها بقرة صفراء .
٢٩	٦٩	تسر الناظرين .
٢٧١	٧٠	قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا .
٢٧١	٧٠	وإننا إن شاء الله لمهتدون .
٢٧١	٧١	قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول .
٢٧٢	٧١	قالوا الآن جئت بالحق فذبوها .
٢٧٢	٧١	الآن جئت بالحق .
٢٧٣، ٢٧٢	٧١	فذبوها وما كادوا يفعلون .
٢٧٢	٧١	وما كادوا يفعلون .
٢٧٤، ٢٧٣	٧٢	وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها .
٢٧٤	٧٢	فادارأتم فيها .
٢٧٤	٧٣	فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى .
٢٧٥	٧٣	اضربوه ببعضها .
٢٧٥	٧٣	كذلك يحيي الله الموتى .
٣٠١	٧٤	ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة .
٢٢٤، ١١٥	٨٣	وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل .
٢٢٥	٨٣	وبالوالدين إحساناً .
٢٢٥	٨٣	وذوي القربى .

الآية	رقمها	الصفحة
واليتامى والمساكين .	٨٣	٢٢٦
وقولوا للناس حسناً .	٨٣	٢٢٦، ٢٢٧
وأقيموا الصلاة .	٨٣	٢٢٧
ثم توليتم إلا قليلاً .	٨٣	٢٣٠
وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم .	٨٤	٢٣٠، ٢٣١
ثم أنتم هؤلاء تقتلون .	٨٥	٢٣٢
ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسول .	٨٧	٣٩٥، ٤٥٥
ولقد جاءكم موسى بالبينات .	٩٢	١٣٣
ولتجدنهم أحرص الناس على حياة .	٩٦	٢٤٥
ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب .	١٠٥	٤٤٨
ود كثير من أهل الكتاب .	١٠٩	٤٤٨
من بعد ما تبين لهم الحق .	١٠٩	٤٤٨
وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله .	١١٨	٥٤٤
يعرفونه كما يعرفون أبناءهم .	١٤٦	١٧٥
أولئك عليهم صلوات من ربهم .	١٥٧	٣٠٢
إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا .	١٦٦	٣٣٩
وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا .	١٧٠	٤٥٧
أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون .	١٧٧	٣٣٢
يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص .	١٧٨	٢٨٥، ٢٨٦
كتب عليكم القصاص في القتلى .	١٧٨	٢٨٦
فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان .	١٧٨	٢٨٦
فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم .	١٧٨	٢٨٦
يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام .	١٨٣	١٤٣
سل بني إسرائيل كم آتيناهم .	٢١١	٣١١

الآية	رقمها	الصفحة
وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات .	٢١٣	٢٢٤
أم حسبتم أن تدخلوا الجنة .	٢١٤	٤٩٦
لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي .	٢٥٦	٣٨٨
ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم .	٢٥٨	٣٢
وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى .	٢٦٠	٣٦
الشیطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء .	٢٦٨	٤٥٥
فمنظرة إلى ميسرة .	٢٨٠	٢٩
آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه .	٢٨٥	١٧٣، ١٣٥
<b>﴿ سورة آل عمران ﴾</b>		
هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات	٧	٢٧
زين للناس حب الشهوات .	١٤	٤٥٣
فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله .	٢٠	٣٣
إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين .	٢١	٣٩٥
لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون الله .	٢٨	٩١
هأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به .	٦٦	٣١
ولكن كونوا ربانيين .	٧٩	١٣١
وإذ أخذ الله ميثاق النبيين .	٨١	١٢٣
قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً .	٩٥	٣٣٢
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته .	١٠٢	٤
كنتم خير أمة أخرجت للناس .	١١٠	١٨٧
فبما رحمة من الله لنت لهم .	١٥٩	٣٠١
ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك .	١٥٩	٤٩١
لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً .	١٦٤	٣٧٨
لا يغرنك تقلب الذين كفروا .	١٩٦	٥٠٨

الآية	رقمها	الصفحة
متاع قليل .	١٩٧	٥٠٩
﴿سورة النساء﴾		
يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة .	١	٤
والله يريد أن يتوب عليكم .	٢٧	٤٥٥
وخلق الإنسان ضعيفاً .	٢٨	٤٥٣
يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا .	٤٧	٢٣٣
كما لعنا أصحاب السبت .	٤٧	٢٤٢
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم .	٦٥	٢٢٢
ومن أصدق من الله حديثاً .	٨٧	٥٢٧، ٣٣٢
ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم .	١٠٧	٥١
ومن أصدق من الله قيلاً .	١٢٢	٣٣٢
يسألك أهل الكتاب .	١٥٣	٢١١، ٢١٠
ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم . . .	١٥٣	٢٣٤
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم .	١٦٠	٢٨٤
وكلم الله موسى تكليماً .	١٦٤	٣١٩
رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة .	١٦٥	١٣٦
لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله .	١٧٢	٢٩٥
﴿سورة المائدة﴾		
يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود .	١	١٧٣
اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي .	٣	٩٤
يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا .	١٥	١٣٠
نحن أبناء الله وأحباؤه .	١٨	٤٣٢
وإذ قال موسى لقومه .	٢٠	٤٦٦، ٢٤٦
		٤٧٥

الآية	رقمها	الصفحة
يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم .	٢٠	٤٩٠ ، ٤٨٠
إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً .	٢٠	٣١٢ ، ٢٤٧
يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة .	٢٢ ، ٢١	١٤٦ ، ٧
		٣٠١ ، ٢٤٨
التي كتب الله لكم .	٢١	٢٥٦ ، ٢٤٨
ولا ترتدوا على أدباركم فتتقلبوا خاسرين .	٢١	٢٤٩ ، ٢٤٨
قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين .	٢٢	٤٥٢ ، ٢٤٩
يا موسى إن فيها قوماً جبارين .	٢٢	٢٥٢
إنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها .	٢٢	٤٥٢ ، ٢٥٢
قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما .	٢٣	٢٥٢ ، ٢٥٠
من الذين يخافون .	٢٣	٢٥٠
وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين .	٢٣	٢٥١
قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً .	٢٤	٢٥٣ ، ٢٥٢
		٥٤٥ ، ٤٧٦
إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها .	٢٤	٥١٠ ، ٢٥٣
فاذهب أنت وربك .	٢٤	٢٥٤ ، ٢٥٣
قال رب إني لا أملك إلا نفسي .	٢٥	٢٥٤
رب إني لا أملك إلا نفسي .	٢٥	٥٠٤ ، ٢٥٤
قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة .	٢٦	٥١٠ ، ٢٥٥
فإنها محرمة عليهم أربعين سنة .	٢٦	٣٢٥ ، ٢٥٦
فلا تأس على القوم الفاسقين .	٢٦	٢٥٥ ، ٢٥٣
من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل .	٣٢	٢٨٧
إنا أنزلنا التوراة فيها هدى .	٤٤	٢٢١ ، ١٤٦
وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس .	٤٥	٢٨٤ ، ١٤٦

الآية	رقمها	الصفحة
		٢٨٥
ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون .	٤٥	١٤٦
وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم .	٤٦	٢٢١ ، ١٧٠
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء .	٥١	٩١
قل هل أنبئكم بشر من ذلك .	٦٠	٥٣٤ ، ٩٣
لولا ينهاهم الربانيون والأحبار .	٦٣	٢٦٢
لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل .	٧٠	٣٩٥ ، ٩٧
وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم .	٧٢	٣٩٥
وأمه صديقة .	٧٥	٣٣١ ، ٨٧
لعن الذين كفروا من بني إسرائيل .	٧٨	٢٦٢
لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم .	٨٩	١٧٣ ، ٩٥
يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء .	١٠١	٢٦٥
وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله .	١٠٤	٤٤١
﴿ سورة الأنعام ﴾		
ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً .	٩	
ولقد استهزئ برسل من قبلك .	١٠	٣٧٨ ، ١١٨
فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا .	٤٤	٣٥١
حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم .	٤٤	٥٣٣
وكذلك فتنا بعضهم ببعض .	٥٣	٥٣٤
أهؤلاء من الله عليهم من بيننا .	٥٣	٤١٤
وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين .	٥٥	٤٤٧
وحاجه قومه .	٨٠	٤٧٣ ، ٨٧
أتحاجوني في الله وقد هدان .	٨٠	٨٩
الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم .	٨٢	٣١
وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم .	٨٣	٤٨٧ ، ٣٣

الآية	رقمها	الصفحة
أولئك الذين هدى الله فيبهداهم اقتده .	٩٠	٥١٣
انظروا إلى ثمره .	٩٩	٣٨١
لا تدركه الأبصار .	١٠٣	٢٠٦
وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً .	١١٢	٢١٣، ٢١٢، ٢٩
قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم .	١٥١	٤٥٩، ٢١٢
﴿سورة الأعراف﴾		٤٨٥، ٣٢٠
قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو .	٢٤	
قل إنما حرم ربي الفواحش .	٣٣	٣٤٥
إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض .	٥٤	٢٨٤، ١٢٢
لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه .	٥٩	١٩٠
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره .	٥٩	١١٦
وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله .	٦٥	١١٨
اعبدوا الله مالكم من إله غيره .	٦٥	١٠٢
أتجادلونني في أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم .	٧١	١١٠
وإلى عاد أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله .	٧٣	١١٠
اعبدوا الله ما لكم من إله غيره .	٧٣	١١٢، ١٠٢
وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله .	٨٥	١١٦، ٣٣
تلك القرى نقص عليك من أنبائها .	١٠١	٤٨٩، ١١٨، ٨٧
ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا .	١٠٣	١١٦
وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين .	١٠٤	٣٥٥، ١١٨
		١٢١، ٤٨٢، ٣٣٩
		٣٣٣، ١٤٩، ١٣١
		٤١٢، ٣٥٧، ٣٤٠



الآية	رقمها	الصفحة
يا فرعون إني رسول من رب العالمين.	١٠٤	٥٤٥، ٤٧٨
إني رسول من رب العالمين.	١٠٤	٤٣٧
حقيق علي أن لا أقول على الله إلا الحق.	١٠٥	١٤٩
قد جئتكُم بآية من ربكم.	١٠٥	٣٣٣
فأرسل معي بني إسرائيل.	١٠٥	١٥٠
قال إن كنت جئت بآية فات بها إن كنت من الصادقين.	١٠٦	٣٣٣
فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين.	١٠٧	٣٥٨
ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين.	١٠٨	٢٩
قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم.	١٠٩	٤٠٦، ٣٧٨، ٣٧٣
		٥١٩، ٤٤٠
يريد أن يخرجكم من أرضكم.	١١٠	٣٧٤
قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين.	١١١	٣٥٨
وجاء السحرة فرعون.	١١٣	٤١٦، ٣٨١
فلما ألقوا سحروا أعين الناس.	١١٦	٣٣٤
وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك.	١١٧	٤٧٥، ٣٦١
فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون.	١١٨	٣٦١، ١٦٣
قال فرعون آمنتُم به قبل أن آذن لكم.	١٢٣	٤٤٠، ٣٩٣
إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة.	١٢٣	٤٤٦، ٣٩٣
فسوف تعلمون.	١٢٣	٣٩٤
لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف.	١٢٤	٣٩٤
وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا.	١٢٦	٥٣٠
وقال الملأ من قوم فرعون.	١٢٧	٣٨٥، ٣٠٥، ١٦٨
		٤٢٩، ٤١٧، ٤٠٩

الآية	رقمها	الصفحة
		٥٢٠، ٤٩٦، ٤٥٧
قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم .	١٢٧	٣٨٦
استعينوا بالله واصبروا .	١٢٨	٥٤٠، ٥٠٣
قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا .	١٢٩	٤١٨
أوذينا من قبل أن تأتينا .	١٢٩	٥٤٠، ٣١٧
عسى ربكم أن يهلك عدوكم .	١٢٩	٥٤٠
ويستخلفكم في الأرض .	١٢٩	٥٤٠
ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين .	١٣٠	٤٦٩، ٤٠٨
		٤٧٢
فإذا جاءتهم الحسنة .	١٣١	٤٧٣
وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا .	١٣٢	٣٦٥، ١٦٤
		٤٠٨
فأرسلنا عليهم الطوفان .	١٣٣	٤٧٣، ٤٧٠، ٣٦٦
		٥٢٥
ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى .	١٣٤	١١٥
لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك .	١٣٤	٣٦٦
وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون .	١٣٧	٤١٤
وجاوزنا ببني إسرائيل البحر .	١٣٨	١٨٨، ١٨٤، ١١٥
		٥٤٤، ٤٦٥، ٤٥٨
اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة .	١٣٨	١٨٧، ١٨٥
إنكم قوم تجهلون .	١٣٨	١٨٦
إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون .	١٣٩	١٨٦
قال أغير الله أبغيكم إلهاً .	١٤٠	١٨٧
وهو فضلكم على العالمين .	١٤٠	١٨٧

الآية	رقمها	الصفحة
وإذ أنجيناكم من آل فرعون .	١٤١	٣١٥، ١٨٨
وواعدنا موسى ثلاثين ليلة .	١٤٢	١٨٩
ثلاثين ليلة .	١٤٢	١٩٠
وقال موسى لأخيه هارون اخلفني .	١٤٢	٢٩٨، ١٩٢، ١٩١
ولما جاء موسى لميقاتنا .	١٤٣	٣١٩، ٧٩
قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني .	١٤٣	٢١٢
رب أرني أنظر إليك .	١٤٣	٢١٤، ٢١٠
لن تراني ولكن انظر إلى الجبل .	١٤٣	٣١٩
ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه .	١٤٣	٢١٢
فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكا .	١٤٣	٢١٣
وخر موسى صعقا .	١٤٣	٢١٨
قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي .	١٤٤	٣٢٠، ٣٠٧
وكتبنا له في الألواح من كل شيء .	١٤٥	٢٢١، ١٤٦
سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون .	١٤٦	٥٢٥
واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً .	١٤٨، ١٥١	٢٨٩، ١٩٣، ١٣٨
		٤٥٨
ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً .	١٤٨	١٩٥
اتخذوه وكانوا ظالمين .	١٤٨	١٩٦، ١٩٥
ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا .	١٤٩	١٩٦
لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا .	١٤٩	١٩٧
ولما رجع موسى إلى قومه .	١٥٠	٢٩٠، ١٩٧، ٧٨
		٣٠٦
بئسما خلفتموني من بعدي .	١٥٠	١٩٨، ٧٨
وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه .	١٥٠	٧٨

الآية	رقمها	الصفحة
أعجلتم أمر ربكم .	١٥٠	١٩٨
قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني .	١٥٠	٢٦٢، ٢٠١، ٢٠٠
رب اغفر لي ولأخي .	١٥١	٢٠٢
إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم .	١٥٢	٥١٢، ٢٠٥
والذين عملوا السيئات ثم تابوا .	١٥٣	٢٠٥
فلما أخذتهم الرجفة .	١٥٥	٢١٨
قال رب لو شئت أهلكتهم .	١٥٥	٥٠٤
الذين يتبعون الرسول النبي الأمي .	١٥٧	١٢٤
وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً .	١٦٠	٣٢٦
وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية .	١٦١	٤٧٦، ٢٥٧
فبدل الذين ظلموا منهم .	١٦٢	٢٥٨
وسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر .	١٦٣	٢٣٦، ٢٣٥، ١٦٣
		٤٧٦
كانت حاضرة البحر .	١٦٣	٢٣٥
إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم .	١٦٣	٢٣٦
كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون .	١٦٣	٢٣٦
وإذ قالت أمة منهم لم تعظون .	١٦٤	٢٣٦، ١٤٦، ٨٨
		٢٦٢، ٢٣٧
لم تعظون قوماً .	١٦٤	٥١٣، ٢٣٩، ٢٣٨
الله مهلكهم أو معذبهم .	١٦٤	٢٣٨
معذرة إلى ربكم .	١٦٤	٥١٣
ولعلمهم يتقون .	١٦٤	٥١٣
وأخذنا الذين ظلموا .	١٦٥	٢٣٩
فلما عتوا عن ما نهوا عنه .	١٦٦	٥٣٤، ٤٧٧، ٢٣٩

الآية	رقمها	الصفحة
وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون .	١٦٨	٤٧٧، ٢٤٠
وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم .	١٧٢	١٠٤
ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس .	١٧٩	٤٦٢
والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون .	١٨٢	١٢٢
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون .	١٨٢	٥٠٧
<b>﴿ سورة الأنفال ﴾</b>		
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة .	٤٢	٨٧
كدأب آل فرعون والذين من قبلهم .	٥٢	٤٨٧، ٤٨٦
<b>﴿ سورة التوبة ﴾</b>		
كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة .	٦٩	٤٥٩
ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم .	٧٠	٣٥٥
يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين .	٧٣	٤١
ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم .	٧٨	٢٤١
<b>﴿ سورة يونس ﴾</b>		
قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي .	١٥	١٣٢
للذين أحسنوا الحسنى وزيادة .	٢٦	٢١٤
قل من يرزقكم من السماء والأرض .	٣١	١٠٣
ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون .	٧٥	٤٨٢، ٤٣٩
فلما جاءهم الحق من عندنا .	٧٦	٤٠٧
قالوا أجبثنا لتلفثنا عما وجدنا عليه آباءنا .	٧٨	٤٠٩، ٣٧٤، ٣٧٣
		٥٢٩، ٤٥٧، ٤٤٢
وتكون لكما الكبرياء في الأرض .	٧٨	٤٤٥، ٣٧٣
وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم .	٧٩	١٨١

الآية	رقمها	الصفحة
فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه .	٨٣	٤٠٠، ٣٣٨، ١٤٥
		٤٥١
أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا .	٨٧	١٤٢
وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة .	٨٩، ٨٨	٤٧٣، ١٢١
وجاوزنا ببني إسرائيل البحر .	٩٠	١٠٥
آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به .	٩٠	٥٣١
وأنا من المسلمين .	٩٠	٥٣١
الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين .	٩١	٥٣١
فاليوم ننجيكَ بيدنك لتكون لمن خلفك .	٩٢	٥٢٢
قل انظروا ماذا في السموات والأرض .	١٠١	٤٩٣
<b>﴿ سورة هود ﴾</b>		
كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير .	١	٢٢٢
فقال الملأ الذين كفروا من قومه .	٢٧	٣٥٤
قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا .	٣٢	٣٤
حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور .	٤٠	٢٦٤
وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها .	٤١	٢٦٤
إني أعظك أن تكون من الجاهلين .	٤٦	٢١٢
وما قوم لوط منكَم ببعيد .	٨٩	٧١
فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد .	٩٧	٤٠٠
وما أمر فرعون برشيد .	٩٧	٤٠٠
ذلك من أنباء القرى نقص عليك منها .	١٠٠	٤٨٦
<b>﴿ سورة يوسف ﴾</b>		
أفلم يسيروا في الأرض فينظروا .	١٠٩	٥٢١

الآية	رقمها	الصفحة
<b>سورة الرعد</b>		
وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال .	١٣	٥٠٥
<b>﴿سورة إبراهيم﴾</b>		
ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك .	٥	٣٠٨، ١٣٢، ١١٧
		٤٦٦، ٤٦٥
وذكرهم بأيام الله .	٥	٤٦٦
وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله ...	٦	٤٩٠
وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم .	٧	٣٠٩، ٣٠٨
ألم يأتكم نبيُّ الذين من قبلكم .	٩	٣٥٦
أفي الله شك فاطر السموات والأرض .	١٠	١٧٧، ١٠٣
قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم .	١١	١٣٦
وقال الذين كفروا لرسلكم .	١٣	٣٨٤
<b>﴿سورة الحجر﴾</b>		
ولقد أرسلنا قبلك في شيع الأولين .	١٠	٣٥١
<b>﴿سورة النحل﴾</b>		
ولقد بعثنا في كل أمة رسولا .	٣٦	١٧٦، ١١٠، ١٠٣
		٢٢٤
إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون .	٤٠	٢٤٢
وأوحى ربك إلى النحل .	٦٨	٦٠
ولنجزي الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون .	٩٦	٣٠٢
وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل .	١٠١	٨٩
إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه .	١٢٤	٢٣٤
ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة .	١٢٥	٤٩١، ٨٧، ٤٦، ٢٦

الآية	رقمها	الصفحة
وجادلهم بالتي هي أحسن.	١٢٥	٢٨
﴿سورة الإسراء﴾		
وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل.	٢	١٥٠
ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير.	١١	٨١
من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها.	١٨	٨٥
وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً.	٢٣	٢٨٥
وما منع الناس أن يؤمنوا.	٩٤	٣٧٨، ٣٧٦
ولقد آتينا موسى تسع آيات.	١٠١	٤٦٨، ١٣٣، ٧٥
		٤٦٩
فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحوراً.	١٠١	٤٣٨، ٣٧٢، ٣٦٦
إني لأظنك يا موسى مسحوراً.	١٠١	٤٧٠
قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء.	١٠٢	١٧٥، ١١٥، ١٠٤
		٣٩٠، ٣٧٠، ١٧٧
		٤٧٠، ٤٦٩، ٤٦٨
فأغرقناه ومن معه جميعاً.	١٠٣	٣١٦
﴿سورة الكهف﴾		
كلتا الجنتين آتت أكلها.	٣٣	٢٠٦
وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره.	٣٤	٢١
قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك.	٣٧	٢١
فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها.	٤٢	١٩٦
وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً.	٤٧	١٨٨
وإذ قال موسى لفتهاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين.	٦٠	٢٧٧
لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين.		٢٨١
	٦٠	



الآية	رقمها	الصفحة
آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً.	٦٢	٢٨١، ٢٧٨
لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً.	٦٢	٢٨١
أرأيت إذ أويننا إلى الصخرة.	٦٣	٢٧٨
ذلك ما كنا نبغ فارتدا.	٦٤	٢٧٨
آتيناه رحمة من عندنا.	٦٥	١٥٩
وعلمناه من لدنا علماً.	٦٥	٢٨٢
قال له موسى هل أتبعك.	٦٦	١٥٨
هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا.	٦٦	٢٨٢
تعلمن مما علمت رشدا	٦٦	٢٨٢
قال إنك لن تستطيع معي صبراً.	٦٧	٢٧٩
إنك لن تستطيع معي صبراً.	٦٧	٢٨٢
ستجدني إن شاء الله صابراً.	٦٩	٢٨٣، ٢٧٩
فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء.	٧٠	٢٧٩
قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً.	٧٢	٢٧٩
أقتلت نفساً زكية بغير نفس.	٧٤	٢٧٩
قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني.	٧٦	٢٧٩
لو شئت لاتخذت عليه أجراً.	٧٧	٢٨٠
أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر.	٧٩	٢٨٠
فمن كان يرجو لقاء ربه.	١١٠	٨٥
﴿سورة مريم﴾		
أولئك الذين أنعم الله عليهم.	٥٨	٣٧٧
وكم أهلكنا قبلهم من قرن.	٧٤	٥٠١

﴿سورة طه﴾

الآية	رقمها	الصفحة
فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى .	١٢	٢٢٧، ٧٤
إنني أن الله لا إله إلا أنا فاعبدني .	١٤	١٤٠، ١١٠، ١٠٩
		١٤٢
فاعبدني وأقم الصلاة لذكري .	١٤	١٤١
وأقم الصلاة لذكري .	١٤	١٤٣
إن الساعة آتية أكاد أخفيها .	١٥	١٢٣، ١٢٢
وما تلك بيمينك يا موسى .	١٧	٧٤
واضمم يدك إلى جناحك .	٢٢	٧٤
إذهب إلى فرعون إنه طغى .	٢٤	١١١
قال رب اشرح لي صدري .	٢٥	٥٠٣
رب اشرح لي صدري ويسري لي أمري .	٢٥	٣٥٣
واحلل عقدة من لساني .	٢٧	٤١٠
قد أوتيت سؤالك يا موسى .	٣٦	٤١٠، ٣٥٣
ولقد مننا عليك مرة أخرى .	٣٧	٦٥
وألقيت عليك محبة مني .	٣٩	٦٣، ٥٩
اذهب أنت وأخوك بآياتي .	٤٢	١٤١، ١٣٧، ١١١
إذهبوا إلى فرعون إنه طغى .	٤٣	٤٢٨، ٣٠٠، ٢٩٩
		٥٤٣، ٤٨٢
فقلوا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى .	٤٤	٤٩٠، ١٤٥
قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا .	٤٥	١٤٨
قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى .	٤٦	١٤٨
فاتياه فقلوا إنا رسولا ربك .	٤٨-٤٧	١٣٧، ١٣١، ١٢٦
		٤١٣، ١٤٨، ١٤٧
إنا رسولا ربك .	٤٧	٣٤٢، ١٥٠

الآية	رقمها	الصفحة
فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم .	٤٧	١٤٧
قد جئناك بآية من ربك .	٤٧	١٤٨، ١٤٧
والسلام على من اتبع الهدى .	٤٧	١٤٧
إنا قد أوحى إلينا .	٤٨	١٤٨، ١٤٧
		٣٠٠، ١٥١
قال فمن ربكما يا موسى .	٤٩	١٧٨، ١٥٦، ٥
		٤٦٢، ٣٤٢
فمن ربكما يا موسى .	٤٩	٤٩٢، ٣٤٢
ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى .	٥٠	٤٦٢، ٣٤٢، ١٥١
		٤٩٣
ثم هدى .	٥٠	٤٦٣
قال فما بال القرون الأولى .	٥١	٤٦٣، ٤٠٥، ١٥٧
		٥٤٦، ٤٨٠
قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى .	٥٢	٥٤٦، ٤٦٣
علمها عند ربي .	٥٢	١٥١
لا يضل ربي ولا ينسى .	٥٢	١٥١
الذي جعل لكم الأرض .	٥٣	١٧٨، ١٦٥، ١٥١
		٤٦٣، ٣٤٣
وسلك لكم فيها سبلاً .	٥٣	١٧٨
وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً .	٥٣	١٧٨
فأخرجنا .	٥٣	١٥١
كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى .	٥٤	١٧٨
إن في ذلك لآيات لأولي النهى .	٥٤	٤٦٣
منها خلقناكم وفيها نعيدكم .	٥٥	
		١٧٩، ١٥١، ١٤٠

الآية	رقمها	الصفحة
ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى .	٥٦	٣٤٤، ١٨١، ١٦٦ ٤٤٠
قال أجبنا لتخرجنا من أرضنا .	٥٧	٣٧٣، ٣٣٤، ١٦٣ ٤٩٩، ٤٩٤
فلنأتينك بسحر مثله .	٥٨	٣٥٩
قال موعدكم يوم الزينة .	٥٩	١٥٢
موعدكم يوم الزينة .	٥٩	١٦٦
وأن يحشر الناس ضحى .	٥٩	١٦٦
فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى .	٦٠	١٦٦
قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله .	٦١	٤٣٨، ٣٦٠
قالوا إن هذان لساحران .	٦٣	٣٧٥، ٣٥٩، ٥ ٣٨٢
إن هذان لساحران .	٦٣	٥٠٠، ٤٩٩
فأجمعوا كيدكم ثم اتوا صفاً .	٦٤	٣٨٣، ٣٦٠، ١٦٦
قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى .	٦٥	٣٦٠
فألقي السحرة سجداً قالوا آمنا برب هارون وموسى .	٧٠-٧٦	١٦٧، ١٢٣ ٤٤٦، ١٨١
آمنا برب هارون وموسى .	٧٠	٣٦٢
قال آمنتم له قبل أن آذن لكم .	٧١	٣٩٣، ١٨١، ١٨٢
آمنتم له قبل أن آذن لكم .	٧١	٤٤٦
إنه لكبيركم الذي علمكم السحر .	٧١	٤٤٦، ٣٧٨
قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات .	٧٢	١٨٢، ١٣٩ ٣٩٥
لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات .	٧٢	١١٦

الآية	رقمها	الصفحة
فاقض ما أنت قاض .	٧٢	٥٢٩
ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي .	٧٧	٤٧٥
وأضل فرعون قومه وما هدى .	٧٩	٤٤٣
يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم .	٨٠	٣١٥
وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً .	٨٢	٥٤٢
وما أعجلتك عن قومك يا موسى .	٨٣	١٩٧، ٨١، ٧٩
		٣٠٦
فرجع موسى إلى قومه غضبان .	٨٦	٤٨٠، ٧٩
أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب .	٨٦	١٩٩
قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا .	٨٧	١٩٩، ١٦٨
ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم .	٨٧	١١٥
فأخرج لهم عجلاً جسداً .	٨٨	٢٨٩
فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي .	٨٨	١٩٤، ١٩٣
هذا إلهكم وإله موسى .	٨٨	١١٨
أفلا يرون ألا يرجع إليهم .	٨٩	١٩٥
ولقد قال لهم هارون من قبل .	٩٠	٢٦١، ٢٠١
قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى .	٩١	٢٠١
قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن .	٩٢	١٦٩
يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا .	٩٢	٢٦١، ١٩٩
أف عصيت أمري .	٩٣	٢٦١
قال يابنؤم لا تأخذ بلحيتي .	٩٤	٢٦٢، ٢٠٠، ١٩٩
		٢٩٠
إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل .	٩٤	١٦٩
قال فما خطبك يا سامري .	٩٥	٢٠٣

الآية	رقمها	الصفحة
قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة .	٩٦	١٦٩
فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول .	٩٧	١٦٩
وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً .	٩٧	٢٠٤، ١٨٢، ١٦٩
إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو .	٩٨	٢٠٥، ١٣٤، ١١٨
<b>﴿سورة الأنبياء﴾</b>		
وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه .	٢٥	١٠٩، ١٠٣
ونبلوكم بالشر والخير فتنة .	٣٥	٢٤٠
خلق الإنسان من عجل .	٣٧	٨١
<b>﴿سورة الحج﴾</b>		
ذلك بما قدمت يداك .	١٠	١٩٦
وأذن في الناس بالحج .	٢٧	١٤٤
وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح .	٤٢	٣٧٦
وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات .	٧٢	٣٩٦
<b>﴿سورة المؤمنون﴾</b>		
قد أفلح المؤمنون .	١	١٧٤
ولو شاء الله لأنزل ملائكة .	٢٤	١٣٥
ثم أرسلنا رسلنا تترأ .	٤٤	٤٢٢
ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا .	٤٥	٣٥٣، ٣٤٤، ١٠٧
		٤٨٢، ٤٢٩
فاستكبروا وكانوا قوماً عالين .	٤٦	٤٧١
فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا .	٤٧	٤٠٨، ٣٧٦، ١٠٧
		٤٥٧، ٤١٣
وقومهما لنا عابدون .	٤٧	١٠٩
فذرهم في غمرتهم حتى حين .	٥٤	١٢٢

الآية	رقمها	الصفحة
فإذا نفخ في الصور .	١٠١	٤٣٢
﴿سورة الفرقان﴾		
وقال الذين لا يرجون لقاءنا .	٢١	٢١١
لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً .	٢١	٤٢٦
يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين .	٢٢	٣٧٧
وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة .	٣٢	٨٨
ولا يأتونك بمثل .	٣٣	٨٨
إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً .	٣٣	٨٨
﴿سورة الشعراء﴾		
وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين .	١٠	٥٢٥، ١١٧
فاتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين .	١٦	٥٤٣، ٤١٣، ١١٢
قال ألم نربك فينا وليداً .	١٨	٤٧٨، ٤٠٣، ٣٣٣
ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين .	١٨	٥٣٩، ٤٠٤، ١٥٥
وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين .	١٩	١٥٥
قال فعلتها إذا وأنا من الضالين .	٢٠	٣٣٣
فعلتها إذا وأنا من الضالين .	٢٠	١٥٥
ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً .	٢١	١٥٥
وتلك نعمة تمنها أن عبدت بني إسرائيل .	٢٢	٥٣٩، ١٠٧
قال فرعون وما رب العالمين .	٢٣	١٥٦، ١٣٤، ٩٠
		٤٩٣، ٣٤١، ١٧٩
وما رب العالمين .	٢٣	٤٠٤، ١١٢، ١٠٤
		٥٤٥، ٤٣٧
قال رب السموات والأرض وما بينهما .	٢٤	٤٩٣، ٣٤١، ١٦٢
رب السموات والأرض وما بينهما .	٢٤	١٦٥، ١١٣

الآية	رقمها	الصفحة
		٣٤٨، ١٧٩
		٥٤٦، ٤٦٤، ٤٠٤
ألا تستمعون .	٢٥	١٦٢، ١١٣
		٤٠٤، ١٧٩
قال ربكم ورب آبائكم الأولين .	٢٦	٣٤١
ربكم ورب آبائكم الأولين .	٢٦	١٧٩، ١٦٢، ١١٣
		٤٠٤، ٣٤٨
قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون .	٢٧	٣٧٠، ١٥٢
		٤٠٨، ٣٧٢
		٥١٩، ٤٩٩
إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون .	٢٨-٢٧	١٨٠، ١٦٢، ١١٣
		٤٩٣، ٤٠٤
قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون .	٢٨	٤٩٤، ١١٣
رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون .	٢٨	٤٠٤، ١٨٠
إن كنتم تعقلون .	٢٨	١١٦
قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين .	٢٩	٣٣٣، ١٦٧، ١٦٣
		٤٧٩، ٣٩٢
		٥١٩، ٤٩٦
لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين .	٢٩	٤٠٥، ٣٩٢، ١١٤
		٤٣٧، ٤٢٩
أولو جنتك بشيء مبين .	٣٠	١١٤
قال فأت به إن كنت من الصادقين .	٣١	٣٣٣
فأت به إن كنت من الصادقين .	٣١	١١٤
فألقي عصاه فإذا هي ثعبان مبين .	٣٢	٤٩٤، ٣٣٤، ١١٤



الآية	رقمها	الصفحة
قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم .	٣٤	٣٧٣، ١١٦
		٤٩٤، ٤٠٨
فجمع السحرة لميقات يوم معلوم .	٣٨	٥٢٦
وقيل للناس هل أنتم مجتمعون .	٣٩	٣٨٢
فلما جاء السحرة قالوا لفرعون .	٤١	٣٨١، ٣٦٠
فالتقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون .	٤٥	٣٣٤
لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون .	٥٠	٥٢٩
إن هؤلاء لشردمة قليلون .	٥٤	٥٠٠
فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى .	٦١	٢١٣، ١٨٢
		٥٠٤، ٣١٨
إنا لمدركون .	٦١	٤٧٤
قال كلا إن معي ربي سيهدين .	٦٢	٥٠٤
بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون .	٧٤	٤٤١
وإنه لفي زبر الأولين .	١٩٦	١٢٣
أولم يكن لهم آية .	١٩٧	١٢٣
<b>﴿ سورة النمل ﴾</b>		
أتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون .	٧	٧٣
نودي أن بورك من في النار .	٨	٧٤
يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم .	٩	١١٠
إنه أنا الله العزيز الحكيم .	٩	١١١
وألق عصاك فلما رآها تهتز .	١٠	٤٦٩، ٤٦٨
وأدخل يدك في جيبك .	١٢	٤٦٨، ٧٥
فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر .	١٣	٤٣٨، ٣٧٠، ١٦٤
		٤٧١، ٤٧٠

الآية	رقمها	الصفحة
وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً .	١٤	١٧٥، ١١٥، ١٠٤
		٤٤٣، ٤٣٠، ١٧٧
		٤٥٥
أحطت بما لم تحط به .	٢٢	١٥٩
والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين .	٣٣	٢٩
صنع الله الذي أتقن كل شيء .	٨٨	٤٧٨
﴿ سورة القصص ﴾		
إن فرعون علا في الأرض .	٤	١٢٠، ٥٩، ٥٧
		٤١٢، ١٨٠، ١٥٤
		٥٢٨، ٥٢٧
ونريد أن نمن على الذين استضعفوا .	٥	٥٣٨، ٥٧
ونجعلهم الوارثين .	٥	٣١٧
وأوحينا إلى أم موسى .	٧	٦٠
أن أرضعيه فإذا خفت عليه .	٧	٦٠
فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً .	٨	٦٣، ٦٢
وقالت امرأة فرعون قرت عين لي .	٩	٥٢٨
قرت عين لي ولك لا تقتلوه .	٩	٦٣
لا تقتلوه عسى أن ينفعنا .	٩	٦٦
وهم لا يشعرون .	٩	٥٢٨
وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً .	١٠	٦٤
وقالت لأخته قصيه .	١١	٦٤
وحرمنا عليه المراضع من قبل .	١٢	٦٤
هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه .	١٢	٦٥
فرددناه إلى أمه كي تقر عينها .	١٣	٦٥

الآية	رقمها	الصفحة
ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً .	١٤	١٥٣
ودخل المدينة على حين غفلة .	١٥	١٥٣، ٧٧، ٦٧
فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه .	١٥	٦٧
فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان .	١٥	٦٧
هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين .	١٥	٦٧
ظلمت نفسي فاغفر لي .	١٦	١٥٦
فأصبح في المدينة خائفاً .	١٨	٧٧
قال له موسى إنك لغوي مبين .	١٨	٧٨
يا موسى أتريد أن تقتلني .	١٩	٦٨
يا موسى إن الملائكة يأتون بك .	٢٠	٦٨
ولما ورد ماء مدين .	٢٣	٦٩
ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء .	٢٣	٦٩
رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير .	٢٤	٧٠، ٦٩
إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا .	٢٥	٧٠
لا تخف نجوت من القوم الظالمين .	٢٥	٧٠
يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين .	٢٦	٧٢
قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً .	٢٩	٧٣
اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء .	٣٢	٧٤
فذانك برهانان من ربك إلى فرعون .	٣٢	٥٢٥، ١٥٤، ٧٥
قال رب إني قتلت منهم نفساً .	٣٣	٧٥
إني أخاف أن يكذبون .	٣٤	٧٦
سنشد عضدك بأخيك .	٣٥	٧٦
فلما جاءهم موسى بآياتنا .	٣٦	٤٧٩
وقال فرعون يا أيها الملائكة .	٣٨	٣٤٧، ١٦١

الآية	رقمها	الصفحة
ما علمت لكم من إله غيري .	٣٨	٣٤٧، ١٨٠، ١٦١
		٤٢٩، ٣٩٩، ٣٨١
		٤٣٧، ٤٣٢
وإني لأظنه من الكاذبين .	٣٨	١٦١
فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم .	٤٠	٥٣٣
ولكننا أنشأنا قروناً .	٤٥	٤٤١
فلما جاءهم الحق من عندنا .	٤٨	٤٥
وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون .	٥٩	٤٢٢
وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون .	٦٩	٢٤١
إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم .	٧٦	٣٤٦، ٣٧
لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين .	٧٦	٤٣٤، ٤٢٨
قال إنما أوتيته على علم .	٧٨	٤٢٨، ٣٤٦
إنما أوتيته .	٧٨	٤٢٨
على علم عندي .	٧٨	٤٣٤
قال الذين يريدون الحياة الدنيا .	٧٩	٤٤٧
وقال الذين أوتوا العلم .	٨٠	٤٤٨
فخسفنا به وبداره الأرض .	٨١	٥٣٣، ٤٧١، ٣٤٦
وأصبح الذين تمنوا مكانه .	٨٢	٤٧٢، ٤٧١
ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء .	٨٢	٥٣٣
<b>﴿سورة العنكبوت﴾</b>		
أحسب الناس أن يتركوا .	٢	٥٣٦
وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه .	١٦	١١٦
قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق .	٢٠	٢٩
وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى .	٣٩	٣٥٠

الآية	رقمها	الصفحة
ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض .	٣٩	٣٤٩
فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً .	٤٠	٣٥٠
ومنهم من أخذته الصيحة .	٤٠	٣٥٠
ومنهم من خسفنا به الأرض .	٤٠	٣٥٠
ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن .	٤٦	٢٦
<b>﴿ سورة لقمان ﴾</b>		
إن الشرك لظلم عظيم .	١٣	٢٠٦
ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة .	٢٨	٢٧٥
<b>﴿ سورة السجدة ﴾</b>		
ولو ترى إذ الظالمون ناكسو رؤسهم .	١٢	٥٣٢
ولقد آتينا موسى الكتاب .	٢٣	٣٠٣
<b>﴿ سورة الأحزاب ﴾</b>		
غير ناظرين إناه .	٥٣	٢٩
وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا .	٦٧	٤٤٤
وكان عند الله وجيهاً .	٦٩	٧٦
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولا قولاً سديداً .	٧٠	٤
وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً .	٧٢	٤٥٨
<b>﴿ سورة سبأ ﴾</b>		
وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً .	٣٥	٥٠١، ٤٢٧، ٣٥٤
قل إن ربي ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر .	٣٦	٤٢٧
<b>﴿ سورة فاطر ﴾</b>		
ولا تزرر وازرة وزر أخرى .	١٨	٥٣٢

الآية	رقمها	الصفحة
لا يحق المكر السيء إلا بأهله .	٤٣	٥٣١
فهل ينظرون إلا سنت الأولين .	٤٣	٥٣٤
فلن تجد لسنة الله تبديلاً .	٤٣	٥٤٥

### ﴿سورة يس﴾

يا حسرة على العباد .	٣٠	٣٥١
هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون .	٥٢	٣٣٢
ألم أعهد إليكم يا بني آدم .	٦٠	١٠٨، ١٠٢

### ﴿سورة الصافات﴾

إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون .	٣٥	٤٢٦
وإن إلياس لمن المرسلين .	١٢٣	٢٠٧
فلولا أنه كان من المسبحين .	١٤٣	١١١

### ﴿سورة ص﴾

إن هذا لشيء يراد .	٦	٤٤٦
وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب .	٢١	٣٧

### ﴿سورة الزمر﴾

إنما يوفى الصابرون أجرهم .	١٠	٣٠٢
فصعق من في السموات ومن في الأرض .	٦٨	٢١٨

### ﴿سورة غافر﴾

ما يجادل في آيات الله .	٤	٥٠
كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب .	٥	٣٨٤، ٣٦٨
وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه .	٥	٣٨٤
أولم يسيروا في الأرض فينظروا .	٢١	٥٤٥، ٥٢٣
ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين .	٢٣	٥١٩، ٤٠٧، ٣٤٩

الآية	رقمها	الصفحة
فلما جاءهم بالحق من عندنا .	٢٥	٢٨٦
وقال فرعون ذروني أقتل موسى .	٢٦	٤٢٩، ٤٠٩، ٣٨٦
		٥٢٠، ٤٧٩
ذروني أقتل موسى وليدع ربه .	٢٦	٤٣٠
إني أخاف أن يبدل دينكم .	٢٦	٣٨٦
وقال موسى إني عذت بربي وربكم .	٢٧	٣٨٧
إني عذتُ بربي وربكم من كل متكبر .	٢٧	٤٣٠
وقال رجل مؤمن من آل فرعون .	٢٨	٥١٤، ٣٨٧
أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله .	٢٨	٥١٥، ١٦٨، ٩٢، ٩١
أن يقول ربي الله .	٢٨	٥١٥
وقد جاءكم بالبينات من ربكم .	٢٨	٣٨٨
وإن يك كاذباً فعليه كذبه .	٢٨	٥١٥، ٣٨٩، ٣٨٨
إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب .	٢٨	٥١٥
يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين .	٢٩	٥١٦، ٣٨٩
ما أرىكم إلا ما أرى .	٢٩	٤٣١، ٣٩٢، ٣٩٠
		٤٤٣
وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم .	٣٠	٣٩٠
يا قوم إني أخاف عليكم .	٣٠	٥١٦
يا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد .	٣٢	٥١٧، ١٢٤
ولقد جاءكم يوسف من قبل .	٣٤	٣٩١
كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر جبار .	٣٥	٤٢٦
وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً .	٣٦	٦
يا هامان ابن لي صرحاً لعلني أبلغ الأسباب .	٣٦	٥٢٧
إبن لي صرحاً لعلني أبلغ الأسباب .	٣٦	٤٣٧، ٣٤٩

الآية	رقمها	الصفحة
وإني لأظنه كاذباً .	٣٧	٣٤٩
وقال الذي آمن يا قوم .	٣٨	٤٣٦، ٣٩٢، ٣٩١
يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد .	٣٨	٥١٧، ٣٩٢
فستذكرون ما أقول لكم .	٤٤	٥١٦
وإذا يتحاجون في النار .	٤٧	٣١
إن الذين يجادلون في آيات الله .	٥٦	٥٠
قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله .	٦٦	١٠٨
ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك .	٧٨	٣٦٧
<b>﴿ سورة فصلت ﴾</b>		
ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك .	٤٣	٤٠٦
من عمل صالحاً فلنفسه .	٤٦	٢٣٦
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم .	٥٣	١٦٢
<b>﴿ سورة الشورى ﴾</b>		
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً .	١٣	٢٢٣
والذين يجادلون في الله .	١٦	٥٠، ٣١
حجتهم داحضة .	١٦	٣٢
من كان يريد حرث الآخرة .	٢٠	٨٥
وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً .	٥١	٣١٩
وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا .	٥٢	٢٢٠
<b>﴿ سورة الزخرف ﴾</b>		
وكذلك ما أرسلنا من قبلك .	٢٣	٤٤٢
ولقد أرسلنا موسى بآياتنا .	٤٦	٣٥٢، ١٣٢
		٣٦٧، ٣٥٣،



الآية	رقمها	الصفحة
وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها... ونادى فرعون في قومه .	٤٨	٣٥٣
	٥١	٣٥٣، ٣٤٥، ١٦٤
		٤٠١، ٣٧٦، ٣٦٣
		٤١٣، ٤١٠
		٤٥٦، ٤٣٩، ٤٢٧
يا قوم أليس لي ملك مصر .	٥١	٥٢٧
أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار .	٥١	٤٣٣
أنا خير من هذا .	٥٢	٥٢٧، ٣٦٣
فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب .	٥٣	٤٣٣، ٣٦٣، ١٣٥
أو جاء معه الملائكة مقترنين .	٥٣	٣٦٤
فاستخف قومه فأطاعوه .	٥٤	٤١١، ٣٩٩، ٣٤٥
		٥٣٠، ٤٨٧
إنهم كانوا قوماً فاسقين .	٥٤	٣٩٩
بل هم قوم خصمون .	٥٨	٢٧
﴿سورة الدخان﴾		
كم تركوا من جنات وعيون .	٢٥	٥٣٤، ٥٢٢، ٤٧٤
فما بكت عليهم السماء والأرض .	٢٩	٥٢٣
ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين .	٣٠	٤٦٥، ٣١١
ولقد اخترناهم على علم على العالمين .	٣٢	٣١٢
﴿سورة الجاثية﴾		
ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة .	١٦	٣١١
﴿سورة الأحقاف﴾		
وقال الذين كفروا للذين آمنوا .	١١	٤١٨
لو كان خيراً ما سبقونا إليه .	١١	٤٢٥، ٤١٤

الآية	رقمها	الصفحة
وإذ لم يهتدوا به فسيقولون .	١١	٤٢٣
إننا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى .	٣٠	٢٢١
فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل .	٣٥	٣٠٣
﴿سورة محمد﴾		
أفلم يسيروا في الأرض .	١٠	٤٨٦
ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين .	٣١	٥٣٧
﴿سورة الفتح﴾		
محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار .	٢٩	١٣٠
﴿سورة الحجرات﴾		
لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم .	١١	١٨٥
إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله .	١٥	٣٣٢، ١٧٤
﴿سورة ق﴾		
لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد .	٣٥	٢١٤
ولقد خلقنا السموات والأرض .	٣٨	١٩٠
﴿سورة الذاريات﴾		
وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان .	٣٨	٥٠٧
فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون .	٣٩	٣٧٠
فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم .	٤٠	٣١٦
كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول .	٥٢	٤٩١، ٤٢٢، ٣٦٩
		٥٤٤، ٥٠٠
ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر .	٥٢	٤٠٦
﴿سورة النجم﴾		
وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .	٣	١٣٢
فأعرض عن من تولى عن ذكرنا .	٢٩	٨٥

الآية	رقمها	الصفحة
أم لم ينبأ بما في صحف موسى . ﴿سورة القمر﴾	٣٦	٥٣١
كذبت ثمود بالنذر .	٢٣	٣٥٤
ولقد جاء آل فرعون النذر .	٤١	١٢٢
﴿سورة المجادلة﴾		
قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها .	١	٢٧، ٢٦، ٢١، ١٩
لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر .	٢٢	٩٣، ٩٢
﴿سورة المتحنة﴾		
قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم .	٤	٩٢
لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم .	٨	٩٠
﴿سورة الصف﴾		
يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون .	٢	٥٠٥
وإذ قال موسى لقومه .	٥	٤٥٣
فأمنت طائفة من بني إسرائيل .	١٤	٤٠١
﴿سورة الجمعة﴾		
مثل الذين حملوا التوراة .	٥	٣٢١
﴿سورة التحريم﴾		
ضرب الله مثلاً للذين كفروا .	١٠	٥٣٧
وضرب الله مثلاً للذين آمنوا .	١١	٥٣٥
﴿سورة الملك﴾		
ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت .	٣	٢٢١
ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .	١٤	٩٨
﴿سورة القلم﴾		

الآية	رقمها	الصفحة
قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون . ﴿سورة المدثر﴾	٢٨	١١١
قم فأنذر وربك فكبر . ﴿سورة القيامة﴾	٥-٢	٢٢٧
وجوه يومئذ ناضرة . ﴿سورة النازعات﴾	٢٣	٢١٦، ٢١٤
اذهب إلى فرعون إنه طغى .	١٧	٢٩٧
فقل هل لك إلى أن تزكى .	١٨	٣٠٠، ١٤٥
فكذب وعصى .	٢١	٥٠٧
فحشر فنأدى .	٢٣	١٦١
فقال أنا ربكم الأعلى .	٢٤	٣٨١
أنا ربكم الأعلى .	٢٤	٤٢٩، ٤١٠، ٣٩٩
		٥٢٧، ٤٣٢
فأخذه الله نكال الآخرة والأولى .	٢٥	٥٢٢
فأما من طغى .	٣٧	٨٥
يسألونك عن الساعة أيان مرساها . ﴿سورة المطففين﴾	٤٢	١٥٨
كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . ﴿سورة الإنشقاق﴾	١٥	٢١٤
إنه ظن أن لن يحور . ﴿سورة الأعلى﴾	١٤	١٩
قد أفلح من تزكى .	١٤	٢٩٧
إن هذا لفي الصحف الأولى . ﴿سورة الغاشية﴾	١٨	٢٩٧

الآية	رقمها	الصفحة
أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . ﴿سورة الفجر﴾	١٧	٢٩
وفرعون ذي الأوتاد . ﴿سورة الشمس﴾	١٠	٤٣٣
قد أفلح من زكاها . ﴿سورة التين﴾	٩	٢٩٦
والتين والزيتون . ﴿سورة العلق﴾	١	١٢٦
ألم يعلم بأن الله يرى . ﴿سورة التكاثر﴾	١٤	٢١٦
ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر . ﴿سورة العصر﴾	٢-١	٤٥٣
والعصر، إن الإنسان لفي خسر . ﴿سورة الكافرون﴾	٣-١	٢٩٢
قل يا أيها الكافرون .	٦-١	٩٥

## فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث
٥١	أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم .
٢٢٥	أتدري ما حق الله على العباد .
٣٢، ٣١	احتج آدم وموسى .
٢١٥	أسألك لذة النظر إلى وجهك .
٣٨٨	أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر .
٢٩٨، ٢٩٤	أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً .
١٢٨	الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام .
٥٤١	اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا .
١٢٨	اللهم حبيب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد .
١٩١	أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى .
٢٢٥	أملك قال ثم من؟ قال أملك .
٢٩٦	إن الله تعالى لا ينظر إلى أجسامكم .
٢٦٦	إن الله كتب عليكم الحج .
٦٠	إن ثلاثة من بني إسرائيل .
٢٢٨	إنه جبريل - عليه السلام - أتاني فأخبرني أن فيهما قدراً .
٢٩٢	إن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً .
٢٨٠، ١٥٨	إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل .
٥٢	أنا زعيم بيت في ربض الجنة .
٤٨٩	الأنبياء أخوة لعلات .
٤٩٥	الأنبياء ثم الأمل فالأمل .
١٥٩	أنتم أعلم بأمور دنياكم .
٢١٥	إنكم سترون ربكم عياناً .
٨٦	إنما الأعمال بالنيات .
٣٧٧	إنما بعثتك لا ابتليك وابتلي بك . ( حديث قدسي ) .

الصفحة	الحديث
١٢٩	إني عبد الله في أم الكتاب لخاتم النبيين .
١٥٦	إني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها .
١٧٤	الإيمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه .
٢٩٤	الإيمان بضع وسبعون شعبة .
٢٨٧	بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة . ( حديث قدسي ) .
٣٥، ٣١	تحتاج الجنة والنار .
٤٢٥	ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة .
٥٥	جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم .
٥٣٦	حفت الجنة بالمكاره .
٢٢٨	خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم .
٢٦٥	دعوني ما تركتم .
٣٢٨	رأينا رسول الله ﷺ حافياً ومنتعلاً .
٢١٧	رأيت نوراً .
١٨٧	سبحان الله هذا كما قال قوم موسى .
٢٢٥	الصلاة على وقتها .
١٥٧، ٨٩	فإنه جبريل آتاكم يعلمكم دينكم .
٨٧	فإنه من يعيش منكم يرى اختلافاً كثيراً .
٢٥٨	قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً .
٨١	كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض .
٢٢	كان رسول الله ﷺ إذا سافر يتعوذ بالله .
٢٨٧	كان فيمن كان قبلكم رجل له جرح .
٤٢٦	الكبر: بطر الحق وغمط الناس .
٥٣٦	كمل من الرجال كثير .
٢٢٩	لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة .

الصفحة	الحديث
٢٩١	ليلة أسري بي رأيت موسى .
٢٨٨	ما تجدون في كتابكم .
٢٧	ما ضل قوم بعد هدى .
٢٨	ما مجادلة أحدكم في الحق يكون له .
٢٩٢	من من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة .
٣٠٦	ما من مصيبة تصيب المسلم .
٢٧	المراء في القرآن كفر .
٧١	مرحباً بقوم شعيب وأختان موسى هديت .
٣٩٦	من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس .
٨٦	من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا .
٢١٧	نور أنى أراه .
٢١٥	هل تضارون في رؤية الشمس .
٤٥٤	والله ما الفقر أخشى عليكم .
٣٦٤	وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم .
٣١	والقرآن حجة لك أو عليك .
٢٢	ومن دعا رجلاً بالكفر .
٤٧	يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ فقال : بلى .
٤٨،٤٧	يا رسول الله : أوحى من السماء .
٥١،٢٧	يا عائشة : إذا رأيتم الذين يجادلون .
٩٥	يا محمد هلم نعبد ما تعبد .
١٩٨	يرحم الله موسى .



## فهرس الآثار

الصفحة	الأثر
٧٢	أفرس الناس ثلاثة.
٢٤٧	ألك امرأة تأوي إليها؟
٩١	إن أبا موسى الأشعري - رضي الله عنه - عين كاتباً نصرانياً.
١٢٨	أن رسول الله ﷺ وأصحابه عندما قدموا مكة.
٥٣	إياك والخصومة والجدال في الدين.
٥٣	إياكم والمرء فإنه ساعة جهل العالم.
١٠١، ٣٨	حوار ابن عباس - رضي الله عنهما - مع الخوارج
١٠٣، ٤٩، ٣٨	حوار أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - في جمع القرآن.
٣٨	حوار أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - في قتال المرتدين.
٣٨	الحوار بين عبدالرحمن بن عوف وأصحاب الشورى.
٣٨	الحوار بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة.
٤٨، ٣٨	سألني يهودي من أهل الحيرة.
٧٣	كانت بين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - محاورة.
٢٣	كفى بك إثماً أن لاتزال ممارياً.
٥٣	لا والله ما أعطينا الدنية.
٢١٧، ٣٩	لقد قف شعري مما قلت.
٥٣	من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنفل.
٢٠	يرجع إليكما آبنكما بحور ما بعثتما به.
٢٠	يوشك أن يرى الرجل من ثبج.
٢٨٦	كان في بني إسرائيل القصاص
٣٩	مناظرة ابن عباس وابن الزبير - رضي الله عنهم - في حكم المتعة.
٦١	نهى النبي ﷺ عن الكي.

## فهرس الأعلام

- ١- آسية بنت مزاحم بن عبيد : ٥٦ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٥٣٦ .
- ٢- الآلوسي = محمود عبدالله الحسيني : ٣١٤ .
- ٣- إبراهيم بن تارخ بن ناحور - أبو الأنبياء : ٣١ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٥٨ ، ٧١ ، ٧٩ ، ٨٧ ، ٩٤ ، ١٠٤ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٤٤ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣٥٥ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٤٣٥ .
- ٥٣١ ، ٤٩٥
- ٤- أبي بن كعب بن قيس : ١٥٨ ، ٢٧٨ .
- ٥- أحمد بن عبدالعزيز الفتوحي = أبو العباس : ٤٠ .
- ٦- أحمد بن محمد بن حنبل : ٣٩ ، ٢٨٩ .
- ٨- آدم عليه السلام : ٢٤ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٠ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٣٥ ، ١٧٧ ، ٤٩٥ .
- ٨- أرسطو ديموس : ٤٢ .
- ٩- إسحاق بن إبراهيم بن تارخ : ١٢٦ .
- ١٠- إسماعيل بن إبراهيم بن تارخ بن ناحور : ١٢٥ ، ١٢٦ ، ٤٩٥ .
- ١١- الأسود بن عبدالمطلب : ٩٥ .
- ١٢- إشعياء بن امصيا : ١٢٩ .
- ١٣- أبو الأعلى المودودي : ١٠٧ .
- ١٤- إلياس بن ياسين : ٢٠٧ .
- ١٥- ابن أم مكتوم : ١٩٢ .
- ١٦- أبو أمامة = صدي بن عجلان بن الحارث : ٥٢ .
- ١٧- امرؤ القيس بن حجر بن الحارث : ٢٤ .
- ١٨- أمية بن خلف : ٩٥ .
- ١٩- أنس بن مالك بن ضمضم : ٥٥ ، ٥٣٦ ، ٥٤١ .
- ٢٠- أنور الجندي : ٩٧ .
- ٢١- الباقلاني = محمد بن العيثب بن محمد - أبو بكر : ٢١٤ ، ٢١٥ .

- ٢١- البخاري = محمد بن إسماعيل - أبو عبدالله: ٢٣، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٠، ٢٩٤ .
- ٣٢- البراء بن عازب بن الحارث: ١٢٧ .
- ٢٤- أبو بكر الصديق = عبدالله بن عثمان بن عامر: ٢٣، ٣٨، ٤٧، ٤٨، ٧٢ .
- ٢٥- بلقيس = بلقمة ابنة إيلي شرح بن ذي جدن: ٣٨ .
- ٢٦- ابن تيمية = أحمد بن عبدالحليم بن تيمية - أبو العباس: ٤٠، ٤٤، ٤٩، ٨٩، ٩٠، ٩٤، ٩٥، ٩٨، ٢٢١، ٢٢٧، ٢٨٤، ٢٨٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٢٦ .
- ٢٧- الجاحظ = عمرو بن بحر الكناني الليثي - أبو عثمان: ٤٢٦ .
- ٢٨- جبريل عليه السلام: ٦٦، ٩١، ١٣٥، ١٧٤، ١٩٣، ٢٢٨، ٣٤٨، ٣٧٧، ٣٩٥، ٤٥٥ .
- ٢٩- الجرجاني = علي بن محمد بن علي الحسيني: ٢٥، ٢٢٢، ٣٠٧ .
- ٣٠- جريج: ٢٢٩، ٢٣٠ .
- ٣١- جرير بن عبدالله البجلي: ٢١٥ .
- ٣٢- جمال الدين الأفغاني = محمد بن صفور الحسيني: ٩٤ .
- ٣٣- جندب بن عبدالله بن سفيان: ٢٨٧ .
- ٣٤- ابن الجوزي = عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي - أبو الفرج: ٣٢، ٣٣ .
- ٣٥- الجوهري = إسماعيل بن حماد الجوهري: ٨٤ .
- ٣٦- الجويني = عبدالملك بن أبي محمد بن عبدالله - أبو المعالي: ٣٠، ١٠٢ .
- ٣٧- حافظ بن أحمد الحكمي: ١٠٨ .
- ٣٨- الحباب بن المنذر بن الجموح: ٤٨ .
- ٣٩- ابن حجر = أحمد بن علي بن محمد: ٢٢٩ .
- ٤٠- ابن حزم = علي بن محمد بن سعيد بن حزم - أبو محمد: ٦٠ .
- ٤١- الحسن البصري = الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري: ٧٠، ٧٦، ٣٢٧ .
- ٤٢- أبو الحسن الندوي: ١٣٢ .
- ٤٣- خباب بن الأرت: ٨١ .
- ٤٤- خديجة بنت خويلد: ٥٣٦ .

- ٤٥- الخضر بن آدم: ٨٠، ١٥٨، ١٥٩، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٢، ٢٨٣ .
- ٤٦- الخطيب البغدادي = أحمد بن علي بن ثابت - أبو بكر: ١٠٠ .
- ٤٧- خولة بنت ثعلبة بن أكرم: ٢٨ .
- ٤٨- دانيال: ١٢٩ .
- ٤٩- أبو داود = سليمان بن الأشعث بن شداد: ٢٧، ٦١ .
- ٥٠- داود بن إيشار بن عويد بن عابر: ٣٦، ٣٧ .
- ٥١- أبو الدرداء = عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري: ٥٣، ٢٩٢، ٣٦٤ .
- ٥٢- ديموقريطس: ٤٢ .
- ٥٣- أبو ذر = جندب بن جنادة الغفاري بن شعبان: ٢٢، ٢١٧ .
- ٥٤- ذو النون = يونس بن متى: ١١٣ .
- ٥٥- الرازي = محمد بن عمر بن الحسين - أبو عبدالله: ٨٦، ١٦٧، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٦، ٣٨١ .
- ٥٦- الربيع بن سليمان: ٩٩ .
- ٥٧- روجيه جارودي: ٩٨ .
- ٥٨- ابن الزبير = عبدالله بن الزبير بن العوام: ٣٩ .
- ٥٩- الزمخشري = محمود بن عمرو بن محمد الخوارزمي - أبو القاسم: ٢١، ٢٢، ١٧٨، ٢٣٩، ٢٥١، ٢٥٦، ٢٧٢، ٣٢٩، ٣٨٩، ٤٠٠ .
- ٦٠-: الزهري = محمد بن مسلم بن عبدالله: ١٨٦ .
- ٦١- سارة بنت هاران الأكبر: ٥٨، ١٣٤ .
- ٦٢- السامري: ١١٥، ١٦٨، ١٦٩، ١٨٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٢٨، ٤٥٨ .
- ٦٣- السدي = إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريم: ١١٢، ١٩٤، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢٣١ .
- ٣٢٥
- ٦٤- سراقه بن مالك بن جعشم: ٢٦٥ .

- ٦٥- سعد بن أبي وقاص بن مالك : ١٩١، ٤٩٥ .
- ٦٦- سعد بن عبادة بن دليم : ٤٦، ٤٨ .
- ٦٧- سعد بن معاذ بن النعمان : ٤٦، ٤٨ .
- ٦٨- أبو السعود = محمد بن محمد بن مصطفى العمادي : ١٤٤ .
- ٦٩- سعيد بن جبير بن هشام : ٦٧، ٧٣، ١٩٨، ٢٥٩، ٢٧٨، ٢٨٠ .
- ٧٠- أبو سعيد الخدري = سعيد بن مالك بن سنان بن ثعلبة : ٢٨، ٢١٥، ٢٢٨ .
- ٧١- أبو سفيان = صخر بن حرب بن أمية : ٣٣٩، ٣٩٨، ٤١٨ .
- ٧٢- سلمة بن سعد العنزي : ٧١ .
- ٧٣- سليمان بن داود بن إيشار بن عويد : ٣٨، ١٥٩ .
- ٧٤- سنان بن أبي سنان الدؤلي : ١٨٦ .
- ٧٥- سهل بن حنيف بن واهب : ٤٧ .
- ٧٦- سويد بن أبي كاهل : ١٩٦ .
- ٧٧- ابن سينا = الحسين بن عبدالله بن الحسن - أبو علي : ٢٥ .
- ٧٨- الشافعي : محمد بن إدريس : ٩٩ .
- ٧٩- شداد بن أوس : ٢٢٨ .
- ٨٠- شعيب بن ميكيل بن يشجن : ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ١٠٤، ١١٨، ١٢٢، ٥٢٤ .
- ٨١- الشوكاني = محمد بن علي بن محمد بن عبدالله : ١١١ .
- ٨٢- الشنقيطي = محمد الأمين : ٢٦، ١٩٣ .
- ٨٣- صالح بن عبد بن ماسح : ١٠٢، ١١٨، ٣٥٤ .
- ٨٤- الطبري = محمد بن جرير - أبو جعفر : ٢١، ٢٢، ٣٢، ٣٣، ٣٢٧، ٣٢٦، ٣٢٠، ٢٧١، ٢٣٥ .
- ٨٥- العاص بن وائل السهمي : ٩٥ .
- ٨٦- عائشة بنت أبي بكر الصديق : ٢٧، ٣٩، ٥١، ٢١٧، ٣٠٦، ٣٩٦، ٥٣٦ .
- ٨٧- عبادة بن الصامت بن قيس بن الخزرج : ٢٠ .
- ٨٨- ابن عباس = عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب : ٣٨، ٣٩، ٤٩، ٧٣، ١٠٣، ١٢٨ .

. ٢٨٦، ٢٨٠، ٢٧٨، ١٩٨، ١٥٨

٨٩- عبدالله بن برجس المزني : ٢٢ .

٩٠- عبدالله بن عمرو بن العاص : ٢٤٧ .

٩١- عبدالله بن مسعود بن غافل : ٧٢، ٢١٧، ٢٢٥، ٢٥٣ .

٩٢- ابن عبدالبر = يوسف بن عبدالله بن محمد : ٥٢ .

٩٣- عبدالرحمن بن زيد بن أسلم : ٢٠٩ .

٩٤- عبدالرحمن بن عوف بن الحارث : ٣٨ .

٩٥- عبدالرحمن بن محمد الدوسري : ٢٠٦، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٥ .

٩٦- عبدالرحمن بن ناصر السعدي : ٦٢، ٧١، ١٩٥، ٢٠٤، ٢٥٥ .

٩٧- عبدالكريم زيدان : ٣٠٠، ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٠٢ .

٩٨- أبو عبيدة = عامر بن عبدالله بن الجراح : ٤٨ .

٩٩- عرياض بن سارية السلمي - أبو نجيح : ٢٤، ٨٩ .

١٠٠- عروة بن مسعود الثقفي : ٢٠٠ .

١٠١- ابن عطية = أبو محمد بن عبدالحق بن الحافظ : ١٨٥، ١٨٧، ٤٠١، ٤٤١ .

١٠٢- عكاشة بن محصن : ٢٦٥ .

١٠٣- علي بن أبي طالب : ٢٠، ٤٩، ١٠٣، ١٩١، ١٩٢ .

١٠٤- ابن عمر = عبدالله بن عمر بن الخطاب : ٢٨٧، ٣١٧ .

١٠٥- عمر بن الخطاب بن نفيل : ٢٣، ٣٨، ٤٧، ٤٨، ٧٢، ٨٦، ٩٣، ١٥٧ .

١٠٦- عمر بن عبدالعزيز بن مروان : ٥٣ .

١٠٧- عمران بن حصين بن عبيد بن خلف : ٦١ .

١٠٨- عمرو بن شعيب : ٢٢٨ .

١٠٩- عياض بن موسى بن عياض = أبو الفضل : ٢١٧، ٤٢٥ .

١١٠- عيسى بن مريم = المسيح : ١١٦، ٢٢١، ٢٢٩، ٢٤٧، ٢٩١، ٢٩٥، ٣٩٥، ٤٥٥ .

١١١- الغزالي = محمد بن محمد بن أحمد الطوسي - أبو حامد : ٨٨، ١٤٢، ٢٩٣، ٤٢٩ .

١١٢- الفيومي = أحمد بن محمد الفيومي - أبو العباس : ٢٥ .

- ١١٣- قابوس بن مصعب بن معاوية: ٥٦، ٥٧ .
- ١١٤- قارون بن يصهر بن قاهث: ٣٧، ٣٤٦، ٣٤٩، ٣٥٠، ٤٠٧، ٤٢٨، ٤٣٣، ٤٤٧، ٥١٩، ٥٣٣ .
- ١١٥- قتادة بن دعامة بن قنادة: ٦٠، ٦٥، ٦٧، ١٨٤، ١٩٤، ٢١٩ .
- ١١٦- القرطبي = محمد بن أحمد بن أبي بكر - أبو عبدالله: ١٥٦، ٢٢٧، ٢٣٦، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٩٧ .
- ١١٧- ابن القيم = محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي: شمس الدين: ٤٩، ٩٤، ١١١، ١٢١، ٢٠٠، ٢٤٤، ٢٥٢، ٣٠٧، ٣٢١، ٣٣١، ٣٩٦، ٤١٤، ٤٢٣، ٤٥٠، ٤٩٥، ٥٢٤ .
- ١١٧- كالب بن يوقنا: ٢٥٠ .
- ١١٨- ابن كثير = إسماعيل بن عمر بن كثير البصري- عماد الدين: ٣٣، ٤٦، ٥٠، ٦٩، ٨٨، ٩٠، ٩٣، ١١٢، ١١٤، ١١٨، ١٥٨، ١٦٦، ١٨٤، ١٨٨، ٢٠٠، ٢٣٩، ٣٩٠، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٩٧، ٣٢٩، ٣٦٢، ٣٦٤، ٣٩٠، ٣٩٨، ٤٣٠، ٤٤٨، ٤٦٦، ٤٦٨ .
- ١١٩- لوط بن هاران بن آزر: ٧١، ١٠٤، ٣٧٦، ٥٢٤، ٥٣٧ .
- ١٢٠- لينين: ١٠٥ .
- ١٢١- ابن ماجة = محمد بن يزيد - أبو عبدالله: ٢٦ .
- ١٢٢- ماركس كارل: ١٠٥ .
- ١٢٣- مالك بن أنس بن مالك - أبو عبدالله: ٢٨٩ .
- ١٢٤- الماوردي = علي بن محمد بن حبيب - أبو الحسن: ١٢٣، ١٩٨، ٢٦٧ .
- ١٢٥- مجاهد بن جبر المكي: ٥٠، ٥٩، ٦٧، ١٠٥، ١٩١، ٢٤٠ .
- ١٢٦- محمد بن أحمد أبو زهرة: ٩٠ .
- ١٢٧- محمد رشيد رضا: ٢٤٠، ٢٤٨ .
- ١٢٨- محمد بن عبد الوهاب: ٩٣ .
- ١٢٩- محمد عبده: ٩١ .

- ١٣٠- المراغي = محمد بن مصطفى : ٩٠ .
- ١٣١- مريم ابنة عمران : ٥٣٥ .
- ١٣٢- مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية : ٣٩ ، ٢١٧ .
- ١٣٣- مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري : ٢٢ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٤٧ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٣٧٧ .
- ١٣٤- مسلم بن يسار : ٥٣ .
- ١٣٥- معاذ بن جبل - أبو عبد الرحمن : ٢٢٥ .
- ١٣٦- معاوية بن أبي سفيان : ٣٩٦ .
- ١٣٧- المقداد بن عمرو بن ثعلبة : ٢٥٤ .
- ١٣٨- أبو موسى الأشعري = عبد الله بن قيس بن سليم : ٩١ ، ٥٣٥ .
- ١٣٩- موفق الدين أبو محمد عبد الله بن قدامة : ٢٤٣ .
- ١٤٠- مؤمن آل فرعون : ١٦٨ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٤٣٦ ، ٥١٤ ، ٥١٦ .
- ١٤١- ميمون بن مهران الجندي : ٥٣ .
- ١٤٢- نوح بن لامك بن متشولخ : ٣٤ ، ٨٦ ، ١٠٤ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٣٥ ، ٢١٢ ، ٢٢٣ ، ٢٦٤ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧٥ ، ٣٨٤ ، ٣٩٠ ، ٤٩٥ ، ٥١٦ ، ٥٣٧ .
- ١٤٣- النمروذ بن كنعان بن كوشي : ١٨٠ ، ٤٣٥ .
- ١٤٤- نوح بن فضالة بن الحميري البكالي : ٢٧٨ .
- ١٤٥- النووي = يحيى بن شرف بن مري - أبو زكريا : ٥١ ، ٥٢ ، ٤٢٥ .
- ١٤٦- هاجر : ١٢٥ .



- ١٤٧- هارون بن عمران بن يصهر بن قاهث: ٥٧، ٥٩، ٧٥، ٧٦، ١٠٩، ١٢٥، ١٢٩،  
 ١٣٧، ١٣٨، ١٤٢، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٠، ١٥٤، ١٦٧، ١٦٩، ١٩١، ١٩٢، ١٩٧،  
 ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٣٠، ٢٤٧، ٢٥٤، ٢٦١، ٢٩٨، ٢٩٩،  
 ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٣٤، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٥٣، ٣٦٢، ٣٧٤، ٤٠٢، ٤١٣، ٤٢٩،  
 ٤٣٩، ٤٤٢، ٤٦٣، ٤٤٥، ٤٥٧، ٤٨٢، ٤٩٠، ٥٠٣ .
- ١٤٨- هامان بن همدان الأجاجي: ٥٧، ٦٢، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٤٠٧، ٤١٢،  
 ٥١٩، ٣٩٨، ٤١٨ .
- ١٤٩- هرقل بن بوسطينوس - قيصر: ٣٣٩، ٣٩٨، ٤١٨ .
- ١٥٠- أبو هريرة = عبدالرحمن بن صخر الدوسي: ٢٧، ٦٠، ٢١٧، ٢٢٩، ٢٥٨،  
 ٢٦٥، ٢٩٠، ٢٩٤، ٢٩٦ .
- ١٥١- هود بن شالخ: ١٠٢، ١٠٤، ١١٨، ٥٢٤ .
- ١٥٢- أبو وائل = شفيق بن سلمة الأسدي: ٤٧ .
- ١٥٣- أبو واقد الليثي = الحارث بن عوف بن أسيد: ١٨٧ .
- ١٥٤- الوليد بن مصعب: ٥٧ .
- ١٥٥- الوليد بن المغيرة: ٩٥ .
- ١٥٦- وهب بن منبه بن كامل: ١١٩، ١٢٠، ١٩٤ .
- ١٥٧- يثرون: ٧١ .
- ١٥٨- يوسف بن يعقوب: ٥٦، ٧٢، ٣٩١، ٤٣٧، ٤٣٥، ٤٩٥ .
- ١٥٩- يوشع بن نون بن افراثيم: ٢٥٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨١ .

## فهرس الأبيات الشعرية

م	البيت	القائل	الصفحة
١	كيف يرجون سقاطي بعدما		
	لفع الرأس — شيب وصلع	سويد بن أبي كاهل	١٩٦
٢	واصفر مضبوح نظرت حواراه		
	على النار واستودعته كف مجمد	طرفة بن العبد	٢٠
٣	وما أدري وسوف إخال أدري		
	أقوم آل حصن أم نساء	زهير بن أبي سلمى	١٨٥
٤	وما المرء إلا كالشهاب وضوئه		
	يحسور رماداً بعد إذ هو ساطع	لبيد بن أبي ربيعة	١٩
٥	وكشع لطيف كالجديل مخصر		
	وساق كأنبوب السقى المذل	أمرؤ القيس	٢٤

## فهرس الأمثال

م	المثل	الصفحة
١	رمتني بدائها وأنسلت	٤٤٦، ٣٧٢، ٢٦٦
٢	لج فحج	٣١

## فهرس الأماكن والبلدان

المكان أو البلد	الصفحة	المكان أو البلد	الصفحة	المكان أو البلد	الصفحة
أريحاء	٢٥٦، ٢٤٦	صنعاء	١٢٨، ١٢٧	٥١٠، ٤٧٨	
أيلة	٢٣٥	قرية طبرية	٢٣٥	٥٢٧	
بحرالقلزم	٢٣٥	طور سيناء	٢٣٥، ١٢٦	٢٣٥	مقناة
بعلبك	٢٠٧	العراق	١٢٩	٦٦	منف
بيت المقدس	١٤٣، ٥٨	فاران - مكة	١٢٨، ١٢٦	١٢٦	ناصره
تبوك	٢٨١	فارس	١٢٧	٤٩	نجران
تيماء	١٢٧	فلسطين	٢٤٦	٢٢٧، ٧٤	واڊى طوى
التين والزيتون	١٢٦	الكعبة	٩٧		الولايات المتحدة
الجحفة	١٢٨	لبنان	٩٦، ٩٤	٥٢٥، ٩٧	الأمريكية
الجزيرة العربية	١٢٩	مجمع البحرين	٢٧٨، ٢٧٧	١٢٨	اليمن
الحديبية	٢٠٠، ٤٧	المدائن	٣٥٨	٤٣٥	اليونان
حضر موت	٨١	مدين	٧١، ٧٠، ٦٩		
الحيرة	٧٣		٢٣٥، ١٥٤، ٧٢		
الخنڊق	١٢٧	المدينة = يثرب	١٩٢، ٤٦		
خيبر	١٨٧	مصر	٦، ٥٨، ٥٧، ٥٦		
الرقه	١٨٤		١٢٨، ١١٣، ٦		
الروم	٤٣٥		٢٤٦، ١٤٢		
ساعير	١٢٦		٢٥٥، ٢٤٦		
سقيفة بني ساعده	٤٨، ٣٨		٣٢٨، ٣٢٧		
سيناء	٥١٠		٣٤٥، ٣٢٩		
الشام	١٩٩، ١٢٧		٤٣٣، ٤٠١		
	٢٥٥، ٢٠٧		٤٣٧، ٤٣٦		
شنوءه	٢٩١		٤٣٩، ٤٣٨		
صفيں	٤٧		٤٦٩، ٤٤٠		

## فهرس الفرق والقبائل والطوائف

الصفحة	الفرقة أو الطائفة أو القبيلة
٣٢٦	الأسباط
٩٨	الإسماعيلية
١٩٢	الإمامية
٢٣١	الأوس
٢٣٠	الأيوبيين
٢٣١، ٢٠٥	بنو قريظة
٢٣١، ٢٠٥	بنو النضير
١٠٤	الجهمية
٢٣١	الخزرج
١٠٣، ٤٩، ٣٨	الخوارج
١٩٢	الرافضة
١٩٢	الشيعة
٩٨	القاديانية
٤٦	قبيلة غطفان
١٠٤	القدرية
٢١٠	المعتزلة

## فهرس الألفاظ الغربية المشروحة

اللفظ	الصفحة	اللفظ	الصفحة	اللفظ	الصفحة
أدم	٣٦١	الذرية	٣٣٨	القضاء	٣٢٧
استسقى	٣٢٣	رباني	١٣١	القرح	١١٩
الاستعجال	٧٩	ربض الجنة	٥٢	القرية	٢٣٤
أسفار	٣٢١	ربعه	٢٩١	القرعة	٥٤١
الأوتاد	٤٣٣	السارية	١١٩	القمل	٣٦٥
الباب	٢٣٤	السبت	٢٣٣	القناطير	٤٥٣
البغى	٤٤٥	السحر	٣٥٧	الكشح	٢٤
بغير نول	٢٧٩	السرب	٢٧٨	الكنوز	٣٤٦
البقرة	٢٦٣	السلوع	٥٤١	لاذلول	٢٧١
البقل	٣٢٧	السلوى	٣٢٥	لاشية فيها	٢٧١
تثير الأرض	٢٧١	السنن	١٨٧	مسلمة	٢٧١
تسخم	٢٨٧	الشبهة	٤٠٥	المسومة	٤٥٣
التناد	٥١٧، ٣٩٠	الصرح	٣٤٧	المطية	٤٩
جبار	٢٤٩	صفراء	٢٧٠	المقنطرة	٤٥٣
الجبن	٤٥٢	الضفادع	٣٦٥	المكتل	٢٧٨
الجراد	٣٦٥	الطوفان	٣٦٥	الملا	٣٣٧
الجههر	٢٠٨	الطين	٣٤٧	الملاوصة	٣٨٩
الحزب	٣٦٨	العوان	٢٦٩	ملوخ	٢٠٧
حمى	٤١٤	العوسج	٧٣	المن	٣٢٥
الحوار	١١٥	الغلام	٢٨٠	المومسات	٢٢٩
الخصائص	١٣١	الغمام	٣٢٥	النسب	٤٣٢
الخليل	٤٥٣	الفارض	٢٦٩	النهر	٣٤٥
الدبرة	١١٩	فاقع لونها	٢٧٠	الوكز	٦٧
الدم	٣٦٥	الفرق	٣١٦	يجنأ	٢٨٨
ديماس	٢٩١	الفرقان	٣٢٠	يخزيان	٢٨٧
الدنية	٤٦	الفلسفة	٩٨		
ذات أنواط	١٨٧	القوم	٣٢٧		

## فهرس المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت .
- ٣- آثار البلاد وأخبار العباد، العلامة زكريا بن محمد بن محمود القزويني، دار بيروت للطباعة، ١٤٠٤هـ .
- ٤- آداب البحث والمناظرة، الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، دار ابن تيمية للطباعة والنشر، القاهرة .
- ٥- آداب العلماء والمتعلمين، جمعه الحسين بن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع .
- ٦- إبطال التنديد شرح كتاب التوحيد، العلامة حمد بن علي بن عتيق، الطبعة السادسة، ١٤١٥هـ، دار الهداية للنشر، الرياض .
- ٧- أبو الأعلى المودودي حياته وفكره العقدي، حمد بن صادق الجمال، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار المدني للنشر .
- ٨- أبو الأعلى المودودي والصحو الإسلامية، د. محمد عمارة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، دار الشروق .
- ٩- الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد الأمدي، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة ١٣٨٧هـ .
- ١٠- أحكام من القرآن الكريم، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع: عبدالكريم بن صالح المقرن، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ، دار طويق للنشر والتوزيع، الرياض .
- ١١- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ، الدار البيضاء .
- ١٢- أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ، جمال عبدالهادي محمد مسعود، د. وفاء محمد رفعت جمعة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار طيبة، الرياض .
- ١٣- الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن بن حسن حبنكة الميداني، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ، دار العلم للطباعة والنشر .

- ١٤- أدب الحوار والمناظرة، علي جريشة، الطبعة الأولى، دار ابن تيمية للطبع والنشر، القاهرة.
- ١٥- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي المتوفى سنة ٩٥١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٦- أساس البلاغة، أبو جبار الله أبو القاسم الزمخشري، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، مكتبة لبنان.
- ١٧- الأساس في التفسير، سعيد حوى، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.
- ١٨- أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: أيمن صالح شعبان، الطبعة الأولى، دار الحديث بالقاهرة.
- ١٩- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري المتوفى ٦٣٠هـ، تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، قدم له وقرظه: د. محمد عبد المنعم البري، د. عبد الفتاح أبو سنة، د. جمعة طاهر، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٠- الإسلام والعلم التجريبي، د. فاروق الدسوقي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ٢١- الأشباه والنظائر، زين العابدين بن إبراهيم بن نجيم، دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ.
- ٢٢- الإصابة في تمييز الصحابة، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل بن أحمد بن عبدالموجود، الشيخ علي بن محمد معوض، قدم له وقرظه: د. محمد عبد المنعم البري، د. عبد الفتاح أبو سنة، د. جمعة طاهر النجار، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية بيروت.
- ٢٣- أصول الأحكام الشرعية ومبادئ علم الأنظمة، د. عبدالعزيز العلي النعيم، الطبعة الأولى، دار الاتحاد العربي للطباعة والنشر.
- ٢٤- أصول الإعلام الإسلامي وأسس، سيد محمد الساداتي، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار عالم الكتب.

- ٢٥- أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، الطبعة السادسة ١٤١٣هـ، مكتبة القدس، دار الوفاء بالمنصورة.
- ٢٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، طبع وتوزيع: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٣هـ.
- ٢٧- الاعتصام، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي الشاطبي المتوفى سنة ٧٩٠هـ، عناية: أحمد بن عبد الشافي، الطبعة الثانية ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٨- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والمستشرقين والمستعمرين والنساء من العرب، خير الدين الزركلي، الطبعة الثالثة، وزارة المعارف - المكتبات المدرسية.
- ٢٩- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة المنصورة، حافظ بن أحمد الحكمي المتوفى سنة ١٣٧٧هـ، تحقيق: مصطفى أبو النصر الشلبي، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ، مكتبة السوادى للتوزيع، جدة.
- ٣٠- أعلام الموقعين عن رب العالمين، الإمام محمد بن بكر بن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ، راجعه: طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٣٨٨هـ.
- ٣١- أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٣٢- إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ، تحقيق وتعليق: محمد بن حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ٣٣- إقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: د. ناصر بن عبد الكريم العقل، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، شركة العبيكان للطباعة والنشر.
- ٣٤- الأنبياء في القرآن، سعد بن صادق بن محمد، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ، دار اللواء للنشر والتوزيع.



٣٥- الأنبياء في القرآن الكريم من البداية إلى النهاية، عبدالكريم الخطيب، الطبعة الأولى ١٩٧٩هـ، دار الفكر العربي .

٣٦- الأنبياء في القرآن (نوح وإبراهيم وموسى عليهم الصلاة والسلام)، د. مصطفى بن عبدالواحد، مكتبة ومطبعة دار إحياء الكتب العربية .

٣٧- الإنصاف فيما يجب إعتقاده ولا يجوز الجهل به، أبو بكر الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد بن حيدر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، عالم الكتب - بيروت .

٣٨- أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه، د. علي بن نفيع العلياني، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، دار طيبة - الرياض .

٣٩- الإيمان، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن تيمية، خرج أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٦هـ .

٤٠- بدائع الفوائد، أبو عبدالله محمد بن قيم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١هـ، دار الكتاب العربي .

٤١- البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ، تحقيق: د. أحمد أبو ملحوم ود. نجيب عطوى وفؤاد السيد ومهدي ناصر الدين وعلي عبدالستار، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية .

٤٢- البحر المحیط، أبو عبدالله محمد بن يوسف بن حيان، تحقيق: د. عادل بن عبدالموجود، وعلي بن معوض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية - بيروت .

٤٣- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ، دار المعرفة - بيروت .

٤٤- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن مرتضى الزبيدي، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان .

٤٥- تاريخ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان ١٣٩١هـ .

- ٤٦- تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، د. محمد الطيب النجار، دار الإعتصام، مصر.
- ٤٧- تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.
- ٤٨- تاريخ الرسل والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة، دار المعارف، المملكة العربية السعودية.
- ٤٩- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٤٠٤هـ.
- ٥٠- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ابن جماعة الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٥١- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان جمعها وصنفها عبد الرحمن بن عبدالعزيز السديس، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض.
- ٥٢- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، المتوفى سنة ٨١٦هـ، تحقيق: إبراهيم الإبياري، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٥٣- تفسير البغوي معالم التنزيل للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي المتوفى سنة ٥١٦هـ، حققه وخرج أحاديثه: محمد بن عبدالله النمر، عثمان جمعة ضميره، سليمان بن مسلم الحرشي، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.
- ٥٤- تفسير غريب القرآن، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٣٩٨هـ.
- ٥٥- تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، الطبعة الثانية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- ٥٦- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤هـ، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠١هـ.

- ٥٧- التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربي .
- ٥٨- التفسير القيم، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، جمعه: محمد بن إدريس الندوي، حققه: محمد بن حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت .
- ٥٩- تفسير مبهمات القرآن الموسوم بصلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الاعلام والتكميل، أبو عبدالله محمد بن علي البنسي، دراسة وتحقيق: حنيف بن حسن القاسمي، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، دار الغرب الإسلامي .
- ٦٠- التكملة لوفيات النقلة، أبو محمد بن عبدالعزيز بن عبدالقوي المنذري، حققه وعلق عليه: د. بشار عواد معروف، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة .
- ٦١- تنظيم الإسلام للمجتمع، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي - القاهرة .
- ٦٢- تهذيب الأخلاق، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تعليق: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٦٣- تهذيب الأخلاق في التربية لابن مسكويه، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٦٤- تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر بن شهاب الدين العسقلاني، إعتناء: إبراهيم الزبيق وعادل مرشد، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت .
- ٦٥- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أبو الحجاج يوسف المزي، حققه وضبط نصه: د. بشار عواد معروف، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، مؤسسة الرسالة .
- ٦٦- تهذيب مدارج السالكين لابن قيم الجوزية، تهذيب: عبدالمنعم الصالح العلي العزي، المكتبة العلمية .
- ٦٧- تهذيب موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي، جمال الدين القاسمي، راجعه وحقق أحاديثه: محمود مهدي الاستامبولي ومحمد عيد عباسي، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ، دار القيم للنشر والتوزيع .
- ٦٨- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب، الطبعة الثالثة، ١٣٩٧هـ، مكتبة الرياض الحديثة .

- ٦٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مركز صالح الثقافي في عنيزة، ١٤٠٧هـ.
- ٧٠- جارودي والحضارة الإسلامية، أمين الصاوي، د. عبدالعزيز شرف، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ، دار القبلة للثقافة الإسلامية.
- ٧١- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، أبو عمر يوسف بن عبدالبر النمري القرطبي الأندلسي المتوفى سنة ٤٦٣هـ، وقف على طبعه وتصحيحه: إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتبة العلمية، بيروت - لبنان ١٣٩٨هـ.
- ٧٢- جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- ٧٣- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.
- ٧٤- جمهرة أنساب العرب، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، راجع النسخة: لجنة من العلماء، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٧٥- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، مطابع المجد التجارية.
- ٧٦- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، الإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية المتوفى ٧٥١هـ، دار الندوة الجديدة، بيروت- لبنان، ١٤٠٥هـ.
- ٧٧- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، المتوفى سنة ٤٣٠هـ، الطبعة الخامسة، ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي، دار الريان للتراث.
- ٧٨- الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى بن محمد حسين بن أحمد زمزمي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، رمادي للنشر - الدمام.
- ٧٩- الحوار بين الأديان، وليم سليمان، تقديم: عبدالعزيز كامل.
- ٨٠- الحوار مع أهل الكتاب: أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، خالد بن عبدالله القاسم، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض.

- ٨١- خصائص الشريعة الإسلامية، د. عمر بن سليمان الأشقر، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
- ٨٢- الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
- ٨٣- خطبة الحاجة، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ٨٤- خوارق العادات في القرآن الكريم، عبدالرحمن بن إبراهيم الحميضي، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ، عكاظ للنشر والتوزيع.
- ٨٥- خواطر في الدعوة إلى الله، د. محمد بن لطفي الصباغ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.
- ٨٦- دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية الدولية، د. محمد بن عبدالله دراز، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ، دار القلم - الكويت.
- ٨٧- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، حققه وقدم له: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة - مصر.
- ٨٨- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
- ٨٩- درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- ٩٠- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، أحمد بن أحمد غلوش، الشركة العالمية للكتاب.
- ٩١- الدعوة الإسلامية والغزو الفكري، د. جعفر شيخ إدريس، رابطة الشباب المسلم العربي اللجنة الثقافية - سلسلة البحوث والدراسات، ١٩٨٧م.
- ٩٢- الدعوة إلى الله تعالى (دراسة مستوحاة من سورة النمل)، د. عبدالرب نواب الدين آل نواب، الطبعة الأولى، دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت.

- ٩٣- دعوة التوحيد (أصولها - الأدوار التي مرت بها - مشاهير دعائها)، د. محمد خليل هراس، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٩٤- دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام، مصطفى فوزي بن عبدالمطلب غزال، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، دار طيبة - الرياض.
- ٩٥- دعوة الرسل إلى الله تعالى، محمد بن أحمد العدوي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ.
- ٩٦- دعوة الرسل إلى الله تعالى غايتها وتاريخها، د. محمد بن رجب الشتيوي، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، مؤسسة سعيد للطباعة - طنطا.
- ٩٧- دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، د. محمد بن عبد الله بن سليمان السلمان، وكالة الفرقان.
- ٩٨- دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي وسبل علاجها، عبدالرحمن بن يوسف بن عيسى الملاحي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر - الرياض.
- ٩٩- الديانات والعقائد في مختلف العصور، أحمد بن عبدالغفور عطار، الطبعة الأولى ١٤٩١هـ، مكة المكرمة.
- ١٠٠- ديوان أمري القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، دار المعارف.
- ١٠١- ديوان طرفة بن العبد، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، ١٩٨٠م.
- ١٠٢- رسالة استخراج الجدل في القرآن الكريم (ضمن مجموعة الرسائل المنيرية)، أبوفرج عبدالرحمن الأنصاري، إدارة الطباعة المنيرية ١٣٤٦هـ.
- ١٠٣- الرسل والرسالات، د. عمر بن سليمان الأشقر، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ، مكتبة الفلاح - الكويت.
- ١٠٤- الرعاية لحقوق الله، الحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق: عبدالقادر عطا، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية.
- ١٠٥- روجيه جارودي لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة، دراسة أعدها: محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن بمصر.

- ١٠٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي المتوفى سنة ١٢٧٠هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ١٠٧- روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، محمد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، مطبعة الحلبي.
- ١٠٨- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ، المكتب الإسلامي.
- ١٠٩- زاد المعاد في هدي خير العباد، الإمام أبو عبدالله بن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، الطبعة السادسة والعشرين ١٤١٢هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت، مكتبة المنار الإسلامية - الكويت.
- ١١٠- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، العلامة محمد بن عبدالله بن حميد الحنبلي المتوفى سنة ١٢٩٥هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، مكتبة الإمام أحمد.
- ١١١- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشئ من فقهها وفوائدها، محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.
- ١١٢- سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيئ في الأمة، محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.
- ١١٣- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني المتوفى سنة ٢٧٥هـ، تحقيق وترقيم: محمد بن فؤاد عبدالباقي، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.
- ١١٤- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة المتوفى سنة ٢٧٩هـ، تحقيق: عبدالوهاب بن عبداللطيف، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ١١٥- سنن الدارقطني، علي بن عمر المتوفى سنة ٣٨٥هـ، حديث أكاديمي بباكستان، طبع في مطبعة فالكن بلاهور - باكستان.
- ١١٦- سنن الدارمي، عبد الله بن عبدالرحمن الدارمي، تحقيق: فؤاد بن أحمد زمزمي، خالد السبع العلمي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي.
- ١١٧- السنن الكبرى، الإمام البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ، دار الفكر بيروت - لبنان، طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد، الهند.

- ١١٨- سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ١١٩- سيد قطب خلاصة حياته، ومنهجه في الحركة، النقد الموجه إليه، محمد توفيق بركات، دار التوحيد - بيروت.
- ١٢٠- سير أعلام النبلاء، تصنيف الإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ١٣٧٤هـ، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ١٢١- السيرة النبوية، لابن هشام، حققها وضبطها: مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري وعبدالحفيظ شلبي، مؤسسة علوم القرآن.
- ١٢٢- سيكلوجية القصة في القرآن، د. التهامي نقره، الطبعة الثالثة، الشركة التونسية.
- ١٢٣- الشخصية اليهودية من خلال القرآن (تاريخ - سمات - مصير)، د. صلاح بن عبدالفتاح الخالدي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، دار القلم - دمشق.
- ١٢٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح عبدالحلي بن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩هـ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ، دار المسيرة - بيروت.
- ١٢٥- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح وتحقيق: حجر عاص، الطبعة الأولى ١٩٩٤م، دار الفكر العربي - بيروت.
- ١٢٦- شرح ديوان لبید بن أبي ربيعة، قدم له وشرحه إبراهيم جزيني، مكتبة النهضة - بغداد.
- ١٢٧- شرح السنة للإمام الحسين بن مسعود البغوي المتوفى سنة ٥١٦هـ، تحقيق وتعليق: شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثامنة ١٤٠٤هـ، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.
- ١٢٨- شرح العقيدة الطحاوية، خرج أحاديثها: محمد بن ناصر الدين الألباني، الطبعة الثامنة، ١٤٠٤هـ، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.
- ١٢٩- شرح الكوكب المنير - المسمى مختصر التحرير في أصول فقه السادة الحنابلة، أبو العباس أحمد بن عبدالعزيز بن علي الفتوح، تحقيق: محمد بن حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٢هـ.
- ١٣٠- شرح المفضليات للتبريزي، أبو بكر زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني، تحقيق: علي البجاوي، دار النهضة - مصر.



- ١٣١- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد بن عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ، على نفقة حسن عباس الشريتلي.
- ١٣٢- صحيح ابن حبان، تحقيق وتخريج: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثامنة ١٤١٤هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
- ١٣٣- صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي المتوفى سنة ٢٦٤هـ، طبعة الدار العامة، دار الدعوة بتركيا.
- ١٣٤- صحيح سنن الترمذي، محمد بن ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، مكتب التربية لدول الخليج العربي.
- ١٣٥- صحيح مسلم بن الحجاج بن أبي الحسين النيسابوري، تعليق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض ١٤٠٠هـ.
- ١٣٦- صحيح مسلم بشرح النووي، الطبعة الأولى ١٣٤٩هـ، المطبعة المصرية بالأزهر.
- ١٣٧- صفحات من حياة علامة القصيم الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، د. عبدالله بن محمد الطيار، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.
- ١٣٨- صفة الصفوة، أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي المتوفى سنة ٥٨٧هـ، ضبطها: إبراهيم رمضان وسعيد اللحام، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٣٩- صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم، الشيخ عبدالرحمن بن محمد الدوسري، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، مكتبة دار الأرقم - الكويت.
- ١٤٠- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبدالرحمن السخاوي، دار مكتبة الحياة - بيروت.
- ١٤١- الضوء المنير على التفسير، جمعة علي الحمد المحمد الصالحي من كتب الإمام أبو عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، مؤسسة النور للطباعة والتجليد بالتعاون مع مكتبة دار السلام بالرياض.
- ١٤٢- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد كاتب الواقدي، دار التحرير للطبع والنشر.
- ١٤٣- طريق الهجرتين وباب السعادتين، الإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية

- المتوفى سنة ٧٥٦هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ١٤٤ - العبادة في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، الطبعة الثانية والعشرون ١٤١١هـ، مؤسسة الرسالة.
- ١٤٥ - العبودية، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تقديم: عبدالرحمن الباني، الطبعة الخامسة ١٣٩٩هـ، المكتب الإسلامي.
- ١٤٦ - عصمة الأنبياء والرد على شبه الموجهة إليهم، محمد أبو النور الحديدي، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، مطبعة الأمانة.
- ١٤٧ - العقيدة في الله، د. عمر بن سليمان الأشقر، الطبعة العاشرة ١٤١٥هـ، دار النفائس للنشر والتوزيع - الأردن.
- ١٤٨ - علماء نجد خلال ستة قرون، الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح البسام، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة - مكة المكرمة.
- ١٤٩ - علماء ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب، الطبعة الثالثة، دار الإعتصام - القاهرة.
- ١٥٠ - عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، ضبط وتحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن عثمان، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ، مكتبة ابن تيمية - القاهرة.
- ١٥١ - غريب الحديث، أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. عبدالمعطي أمين قلعجي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٥٢ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ، رقم كتبه وأبوابه: محمد بن فؤاد عبدالباقي، وأخرجه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ١٥٣ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ.

- ١٥٤- الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي، ترتيب : يوسف النبهائي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان .
- ١٥٥- الفرق بين الفرق، عبدالظاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .
- ١٥٦- فصول في الدعوة والثقافة الإسلامية، د. حسن عيسى بن عبدالطاهر، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، دار القلم - الكويت .
- ١٥٧- الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، صححه: إسماعيل الأنصاري، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ١٥٨- الفوائد، أبو عبدالله محمد بن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ، تحقيق: بشير محمد عيون، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ، مكتبة دار البيان - دمشق، مكتبة المؤيد - الطائف .
- ١٥٩- في موكب الدعوة، محمد الغزالي، الطبعة الرابعة ١٩٦٥م، دار الكتب الحديثة .
- ١٦٠- في موكب النبين، سيد بن أحمد الكيلاني، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، دار القلم - الكويت .
- ١٦١- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، الطبعة الثانية ١٣٧١هـ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر .
- ١٦٢- قصص الأنبياء، الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ، تحقيق: عبدالحلي الفرماوي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، دار اليقين للنشر والتوزيع- المنصورة، دار الطباعة والنشر - القاهرة .
- ١٦٣- قصص الأنبياء، عبدالوهاب النجار، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .
- ١٦٤- قصص الأنبياء أحداثها وعبرها، محمد بن حامد الفقي، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ، مكتبة وهبة، القاهرة .
- ١٦٥- قصص الأنبياء (فصول في ذكر ما قص الله علينا في كتابه من أخبار الأنبياء مع أقوامهم)، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به وعلق عليه: أبو محمد أشرف بن

- عبدالمقصود، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ، مكتبة أضواء السلف - الرياض .
- ١٦٦- قصص الأنبياء: القصص الحق، عبدالقادر بن شيبه الحمد، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ، مكتبة الرياض الحديثة.
- ١٦٧- قصص الأنبياء - المسمى عرائس المجالس، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري المعروف بالثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧ هـ، الطبعة الرابعة، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان .
- ١٦٨- القصص القرآني منطوقه ومفهومه، عبدالكريم الخطيب، الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان .
- ١٦٩- الكافية في الجدل، الإمام الجويني إمام الحرمين، تقديم وتحقيق: د. فوقية حسين محمود، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة، ١٣٩٩ هـ.
- ١٧٠- الكامل في التاريخ، الإمام محمد بن محمد عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني المعروف بابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ، تحقيق: أبو الفداء عبدالله القاضي، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .
- ١٧١- كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (ضمن مجموعة التوحيد)، الشيخ محمد بن عبدالوهاب، دار الفكر.
- ١٧٢- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى سنة ٥٣٨ هـ، دار المعرفة للطباعة .
- ١٧٣- كلمة الحق في القرآن الكريم موردها ودلالاتها، محمد بن عبدالرحمن الراوي، أشرفت على طباعته ونشره، إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٩ هـ.
- ١٧٣- كيف نكتب التاريخ الإسلامي، محمد قطب، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ، دار الوطن للنشر - الرياض .
- ١٧٥- لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ، الدار التونسية للنشر والتوزيع .
- ١٧٦- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، طبعة مصورة عن طبعة

- بولاق - الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- ١٧٧- لماذا لعن اليهود في القرآن والسنة، إعداد: أحمد بن إبراهيم الحاج، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، دار ابن حزم للطباعة والنشر - بيروت.
- ١٧٨- لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، عبد الملك الجويني، تحقيق: فوقية حسين محمود، الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ، الدار العربية للتأليف والترجمة.
- ١٧٩- ما يعد به الإسلام، روجيه جارودي، ترجمة قصي أتاسي وميشيل واكيم، الطبعة الثانية ١٩٨٣م، دار الوثبة - دمشق.
- ١٨٠- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ١٨١- مجمع الزوائد وضبط الفوائد، الحافظ نور الدين الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر، مؤسسة المعارف، بيروت - لبنان ١٤٠٦هـ.
- ١٨٢- مجموعة التوحيد، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حققها وخرج أحاديثها: بشير محمد عيون، راجعها: عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، دار البيان - دمشق.
- ١٨٣- مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي.
- ١٨٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد بن عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبد العال السيد إبراهيم ومحمد الشافعي وصادق العناني، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، مؤسسة العلوم للطباعة.
- ١٨٥- محمد بن عبد الوهاب: مصلح مظلوم مفترى عليه، مسعود الندوي، ترجمة وتعليق: عبد العليم بن عبد العظيم البستوي، مراجعة وتقديم: د. محمد تقي الدين الهلالي، أشرفت على طباعته ونشره: إدارة الثقافة والنشر - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٤هـ.
- ١٨٦- مختار الصحاح، الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، طبع بمطبعة

- عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر.
- ١٨٧- مختصر منهاج السنة، أبو العباس شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، اختصره: الشيخ عبدالله الغنيمان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، مكتبة الكوثر - الرياض، دار الأرقم - برمنجهام - بريطانيا.
- ١٨٨- المرشد في علم النفس الاجتماعي، د. عبدالحميد بن محمد الهاشمي، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ، دار الشروق.
- ١٨٩- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى سنة ٩٥٦م، تحقيق وتعليق: الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، دار القلم، بيروت - لبنان.
- ١٩٠- مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ - أهل الجاهلية، محمد بن عبدالوهاب، توسع فيها محمود شكري الألوسي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، دار المجد - الرياض.
- ١٩١- المستدرك على الصحيحين، الإمام أبو عبدالله الحاكم، دار المعرفة، بيروت - لبنان، توزيع: دار الباز بمكة المكرمة.
- ١٩٢- المستدرك على معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة.
- ١٩٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي.
- ١٩٤- مشكاة المصابيح، محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد بن ناصر الألباني، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.
- ١٩٥- مسند الطيالسي سليمان بن داود بن الجارود المتوفى سنة ٢٠٤هـ، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ١٩٦- مشكل القرآن وغريبه، ابن قتيبة، الطبعة الأولى ١٣٥٥هـ، مكتبة الخانجي.
- ١٩٧- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، العلامة: أحمد بن محمد المقرئ الفيومي، الطبعة الثانية ١٣٢٤هـ، وزارة المعارف المصرية.

- ١٩٨- مصطلحات القرآن الأربعة في فكر المودودي (الإله - الرب - العبادة - الدين)،  
د. حمد بن صادق الجمال، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر  
- الرياض.
- ١٩٩- مصنف عبدالرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمان الأعظمي، الطبعة  
الثانية ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.
- ٢٠٠- مع الأنبياء في القرآن الكريم، عفيف بن عبدالفتاح طيارة، الطبعة الثالثة عشرة،  
١٩٨٧هـ، دار العلم للملايين - بيروت.
- ٢٠١- مع سيد قطب في فكرة السياسي والديني، د. مهدي بن فضل الله، الطبعة الأولى  
١٣٨٢هـ، مؤسسة الرسالة.
- ٢٠٢- مع قصص السابقين في القرآن (دروس في الإيمان والدعوة والجهاد)، د. صلاح  
بن عبدالفتاح الخالدي، دار القلم - دمشق.
- ٢٠٣- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، الشيخ حافظ بن  
أحمد الحكمي المتوفى سنة ١٣٧٧هـ، تعليق: عمر بن محمود أبو عمر، الطبعة الثانية  
١٤١٣هـ، دار ابن القيم للنشر والتوزيع - الدمام.
- ٢٠٤- معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، عبدالوهاب بن لطف الديلمي، الطبعة  
الأولى ١٤٠٦هـ، دار المجتمع للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية.
- ٢٠٥- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ، دار الفكر.
- ٢٠٦- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر للطباعة والنشر، ودار بيروت للطباعة  
والنشر ١٤٠٤هـ.
- ٢٠٧- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة  
والنشر.
- ٢٠٨- المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠هـ، تحقيق  
وتخريج: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، طبع في مطبعة الزهراء بالموصل، الطبعة  
الثانية، مكتبة العلوم والحكم.
- ٢٠٩- معجم الكتاب والمؤلفين في المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ،

الدائرة للإعلام المحدودة.

- ٢١٠- معجم المقاييس في اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، دار الفكر للطباعة والنشر.
- ٢١١- معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية، عمر رضا كحالة، مكتبة المشى ودار إحياء التراث العربى، بيروت - لبنان.
- ٢١٢- المعجم الوسيط، قام بإخراج هذه الطبعة، د. إبراهيم أنيس ود. عبدالحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، استانبول - تركيا.
- ٢١٣- المغني، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي المتوفى سنة ٦٢٠هـ، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، د. عبد الفتاح بن محمد الحلو، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، دار هجر للطباعة والنشر - القاهرة.
- ٢١٤- مفاتيح الغيب الشهير بالتفسير الكبير، الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربى.
- ٢١٥- مفاهيم من القرآن في العقيدة والسلوك، محمد البهي، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ، مكتبة وهبة.
- ٢١٦- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد مصطفى (طاش كبرى زاده)، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٢١٧- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ٢١٨- مقارنات الديانات القديمة، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربى.
- ٢١٩- الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: عبدالعزيز بن محمد الوكيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ٢٢٠- مناقب الإمام أحمد بن حنبل، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق وتقديم وتعليق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، قابل نسخه وصححه: علي بن محمد عمر، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، مكتبة الخانجي - مصر.
- ٢٢١- مناهج البحث العلمى، د. عبد الرحمن بدوي، الطبعة الثانية ١٩٧٧م، وكالات



المطبوعات - الكويت .

٢٢٢- مناهج الجدل في القرآن الكريم، د. زاهر بن عواض الألمعي، مطابع الفرزدق التجارية - الرياض، ١٤٠٤هـ.

٢٢٣- المنقذ من الضلال والمفصح عن الأحوال، أبو حامد الغزالي، تحقيق: عبد المنعم الباني، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، دار الحكمة - دمشق.

٢٢٤- منهج الدعوة الإسلامية في البناء الاجتماعي على ضوء ما جاء في سورة الحجرات، محمد بن محمد الأنصاري، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، مكتبة الأنصار.

٢٢٥- الموسوعة العربية العالمية، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.

٢٢٦- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض.

٢٢٧- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، أبو عبدالله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٢٢٨- النبوات، أبو العباس أحمد بن تيمية، دراسة وتحقيق: محمد بن عبدالرحمن عوض، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي.

٢٢٩- النبوة والأنبياء في ضوء القرآن الكريم، أبو الحسن علي بن الحسين الندوي، الطبعة السادسة ١٤٠٤هـ، دار القلم - دمشق.

٢٣٠- نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن العزيز، أبو بكر السجستاني، حققه وعلق عليه: د. يوسف بن عبدالرحمن المرعشلي، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، دار المعرفة - بيروت.

٢٣١- نسب قريش، أبو عبدالله المصعب بن عبدالله الزبيري، عني بنشره والتعليق عليه: إ. ليفي بروفنسال، الطبعة الثالثة، دار المعارف.

٢٣٢- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٣٣- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي البصري المتوفى سنة ٤٥٠هـ، حققه: خضر بن محمد خضر، راجعه: د. عبدالستار أبو غدة، الطبعة الأولى

- ١٤٠٢هـ، مطابع مقهوي - الكويت.
- ٢٣٤- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر بن أحمد الزاوي ومحمود بن أحمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت.
- ٢٣٥- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، الإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: عصام فارس الخرستاني، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، المكتبة الثقافية بيروت - لبنان.
- ٢٣٦- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت - لبنان.
- ٢٣٧- وقفات دعوية في رحلة سفير الدعوة الأول مصعب بن عمير إلى المدينة، د. زيد بن عبد الكريم الزيد، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، دار العاصمة - الرياض.
- ٢٣٨- الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف، محمد بن سعيد القحطاني، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ، دار طيبة - الرياض.
- ٢٣٩- اليهود في القرآن (تحليل علمي لنصوص القرآن في اليهود على ضوء الأحداث الحاضرة)، تحقيق: عبدالفتاح طبارة، الطبعة الأولى ١٩٨٦م، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.
- ٢٤٠- اليهود في القرآن والسنة بعض من خلائقهم، د. محمد بن أديب الصالح، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، دار الهدى للنشر والتوزيع - الرياض.

### الرسائل العلمية.

- ٢٤١- حياة الداعية الشيخ عبدالرحمن بن محمد الدوسري، (رسالة ماجستير) إعداد: سليمان بن ناصر الطيار، الرياض، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٠٣-١٤٠٤هـ، إشراف الشيخ: عبدالعزيز بن عبدالله الفالح.
- ٢٤٢- العبرة من قصة موسى في القرآن الكريم، (رسالة ماجستير) إعداد: محمد منير عدوي، مكة المكرمة، كلية الشريعة - جامعة أم القرى، ١٤٠٠هـ.

٢٤٣- منهج موسى -عليه السلام- في الدعوة كما يصوره القرآن الكريم، (رسالة ماجستير) إعداد: بدر الدين بن عثمان شيخ الياس، الرياض، قسم القرآن وعلومه، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

### الدوريات

٢٤٤- كتيب عن الاحتفال التاسع عشر لمنح جائزة الملك فيصل العالمية، مؤسسة الملك فيصل ١٤١٧/١١/١٣ هـ.

٢٤٥- مجلة المنار - عدد جمادى الآخرة ١٤٠٧ هـ.

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	- شكر وتقدير .....
٤	- مقدمة .....
٥	أولاً: سبب اختيار الموضوع .....
٩	ثانياً: منهج البحث .....
١١	ثالثاً: الكتابات السابقة .....
١٦	رابعاً: تساؤلات البحث .....
١٧-١٦	المخطط العام للرسالة .....
١٨	المبحث التمهيدي .....
١٩	المطلب الأول : تعريف الحوار وأهميته وأنواعه .....
١٩	أولاً: تعريف الحوار .....
٢٣	- الفرق بين الحوار والجدل .....
٢٩	- الفرق بين الحوار والمناظرة .....
٣٠	- الفرق بين الحوار والحجة والمحاجة .....
٣٥	ثانياً: أهمية الحوار .....
٤٤	ثالثاً: أنواع الحوار .....
٤٥	- الحوار الممدوح .....
٥٠	- أدلة المانعين للحوار والجدل والمناظرة .....
٥٤	- الحوار المذموم .....
٥٦	المطلب الثاني : حياة موسى -عليه السلام .....
٥٦	أولاً: اسمه ونسبه .....
٥٧	ثانياً: ولادته .....
٦٠	ثالثاً: وحي الله إلى أم موسى .....

٦٢	رابعاً : التقاط آل فرعون لموسى .....
٦٣	خامساً : موقف زوجة فرعون من الطفل الملتقط .....
٦٤	سادساً : حزن أم موسى -عليه السلام- على فراق ابنها .....
٦٤	سابعاً : إرسال أخته للبحث عنه .....
٦٥	ثامناً : عودة موسى -عليه السلام- إلى أمه .....
٦٦	تاسعاً : نشأة موسى في قصر فرعون .....
٦٨	عاشرًا : خروجه إلى مدين وزواجه فيها .....
٧٣	حادي عشر : نبوته . .....
	ثاني عشر : علامات شخصيته -عليه السلام- .....
٧٧	١- سرعة الانفعال .....
٧٩	٢- الاستعجال .....
٨٣	الفصل الأول : أهداف الحوار في دعوة موسى -عليه السلام- وخصائصه .....
٨٤	تمهيد .....
٨٤	- تعريف الأهداف .....
	- أقسام الأهداف :
٨٥	القسم الأول : الأهداف المشروعة .....
٨٦	أولاً : الوصول إلى الحق .....
٨٧	ثانياً : بيان الباطل الذي عليه الخصم .....
٨٩	ثالثاً : تثبيت قلوب المؤمنين على الحق .....
٨٩	رابعاً : تحقيق أهداف أخرى مشروعة .....
٩٠	القسم الثاني : الأهداف غير المشروعة .....
٩٠	أولاً : موالاة الكفار ومودتهم .....

٩٤	..... ثانياً: الحوار معهم لأجل التقارب
٩٦	..... ثالثاً: الحوار لتحقيق أهداف مشتركة
٩٩	..... - أهمية تحديد الهدف
١٠٢	..... المبحث الأول: أهداف الحوار في دعوة موسى عليه السلام
١٠٢	..... المطلب الأول: جذب المدعوين واستمالتهم إلى العقيدة الصحيحة ...
١١٩	..... المطلب الثاني: تحرير بني إسرائيل من العبودية
١٢٣	..... المطلب الثالث: بشارة موسى -عليه السلام- بنبينا محمد ﷺ
١٣١	..... المبحث الثاني: خصائص الحوار في دعوة موسى -عليه السلام-
١٣١	..... المطلب الأول: الربانية
١٣٣	..... المطلب الثاني: الوضوح
١٣٤	..... ١- وضوح الأصول الاعتقادية
١٤٠	..... ٢- وضوح الشعائر التعبدية
١٤٤	..... ٣- وضوح الأصول الأخلاقية
١٤٦	..... ٤- وضوح الشرائع
١٤٧	..... المطلب الثالث: التدرج في الدعوة
١٥١	..... المطلب الرابع: البساطة في عرض الدعوة
١٥٣	..... المطلب الخامس: اعتماده على العلم والمعرفة
١٦١	..... المطلب السادس: إقامة الحجة على الخصم وإفحامه
	..... المسالك التي إتبعها موسى -عليه السلام- في إقامة الحجة والرد على
١٦٥	..... خصمه
١٦٥	..... ١- الاستدلال بوجود الأثر على وجود المؤثر
١٦٥	..... ٢- الاستدلال بالمعجزة الإلهية على صدق الدعوى

١٦٧	٣- مجاراة الخصم لتبيين عثرته .....
	٤- بيان بطلان دعوى الخصم وأن البرهان الصحيح قام على
١٦٨	نقيضها .....
١٧١	الفصل الثاني : موضوعات الحوار في دعوة موسى -عليه السلام- .....
	المبحث الأول : الحوار في دعوة موسى -عليه السلام- لإثبات ما يتعلق
١٧٢	بالعقيدة .....
١٧٢	تمهيد .....
١٧٢	العقيدة لغةً وإصطلاحاً .....
١٧٤	علاقة العقيدة بالإيمان والأحكام .....
١٧٧	المطلب الأول : الدعوة إلى التوحيد .....
١٨٤	المطلب الثاني : التحذير من الشرك .....
١٨٩	المطلب الثالث : النهي عن عبادة العجل .....
٢٠٨	المطلب الرابع : قولهم أرنا الله جهرة .....
	المبحث الثاني : الحوار في دعوة موسى -عليه السلام- لإثبات ما يتعلق
٢٢٠	بالأحكام والأخلاق .....
	أولاً : الحوار في دعوة موسى -عليه السلام- لإثبات ما يتعلق بالأحكام .....
٢٢٠	تمهيد .....
٢٢٢	تعريف الحكم في اللغة والاصطلاح .....
٢٢٢	- أنواع الأحكام .....
٢٢٢	١- الأحكام الاعتقادية .....
٢٢٢	٢- الأحكام العملية .....
٢٢٣	٣- الأحكام الخلقية .....

٢٢٤	المطلب الأول : أحكام تتعلق بالعبادات .....
٢٢٤	١- أمهات الأحكام في العبادات .....
٢٣٣	٢- تحايلهم في الأوامر الشرعية .....
٢٤٥	٣- الأمر بدخول الأرض المقدسة .....
٢٦١	٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .....
٢٦٣	المطلب الثاني : أحكام تتعلق بالمعاملات .....
٢٦٣	١- الأمر بذبح بقرة .....
٢٧٧	٢- مشروعية طلب العلم والحث عليه .....
٢٨٤	٣- جملة من الأحكام في القصاص والدية والحدود .....
٢٨٩	المطلب الثالث : جملة من الأحكام في مواضع متفرقة .....
٢٨٩	١- مشروعية إتلاف الأصنام والأوثان .....
٢٩٠	٢- مشروعية إعفاء اللحي وشعر الرأس .....
	ثانياً : الحوار في دعوة موسى -عليه السلام- لإثبات ما يتعلق بالأخلاق .....
٢٩٢	تمهيد .....
٢٩٦	المطلب الأول : حوار موسى -عليه السلام- لتزكية النفس وتهذيبها .....
٢٩٩	المطلب الثاني : موسى -عليه السلام- وخلق الرفق .....
٣٠٢	المطلب الثالث : موسى -عليه السلام- وخلق الصبر .....
٣٠٧	المطلب الرابع : موسى -عليه السلام- وخلق الشكر .....
٣٠٩	ألوان النعم التي منحها الله لبني إسرائيل .....
٣١٠	١- نعمة تفضيلهم على عالمي زمانهم .....
٣١٣	٢- نعمة إنجائهم من آل فرعون .....
٣١٦	٣- نعمة فرق البحر بهم .....
٣١٩	٤- نعمة إيتاء موسى -عليه السلام- التوراة لهدايتهم .....



٣٢٣	٥- نعمة إغاثتهم بالماء بعد أن اشتد بهم العطش .....
	٦- نعمة تظليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوى عليهم وجحودهم
٣٢٥	بهذه النعم .....
٣٣١	المطلب الخامس : موسى -عليه السلام- وخلق الصدق .....
٣٣٦	الفصل الثالث : الحوار في دعوة موسى -عليه السلام- مع المدعوين .....
٣٣٧	تمهيد .....
٣٤٠	المبحث الأول : الحوار في دعوة موسى -عليه السلام- مع أصحاب السلطة .....
٣٤٠	المطلب الأول : تناول الأكابر على الإيمان وإصرارهم على الكفر .....
٣٥١	المطلب الثاني : احتقارهم لموسى وهارون عليهما السلام .....
٣٥٥	المطلب الثالث : طلب الآيات تعنتاً .....
٣٦٨	المطلب الرابع : زعزعة الثقة بموسى -عليه السلام- بالإفك والباطل .....
٣٨٠	المطلب الخامس : الصد عن الدعوة بالإغراء .....
٣٨٤	المطلب السادس : الصد عن الدعوة بالترهيب .....
٣٩٨	المبحث الثاني : الحوار في دعوة موسى عليه السلام مع عامة الناس .....
٣٩٨	المطلب الأول : جمهور الناس وتأثرهم بالملأ .....
٤٠٠	- أسباب تأثر الجمهور بالملأ .....
٤٠٠	أولاً: الخوف .....
٤٠١	ثانياً: الإغراء بالمال وحطام الدنيا .....
٤٠٢	ثالثاً: إثارة التساؤلات للإيقاع بموسى -عليه السلام- .....
٤٠٥	رابعاً: إثارة الشبهات .....
	المطلب الثاني : استجابة المستضعفين دعوة موسى -عليه السلام- وموقف
٤١٢	الملأ منهم .....

	الفصل الرابع : موانع الاستفادة من الحوار في دعوة موسى -عليه السلام -
٤٢٠	وسبل التغلب عليها .....
	المبحث الأول : موانع الاستفادة من الحوار في دعوة موسى عليه السلام .....
٤٢٢	تمهيد .....
٤٢٥	المطلب الأول : الكبر .....
٤٢٧	أولاً : أسباب الكبر .....
٤٢٧	١- الغرور .....
٤٢٨	٢- التعالي عن الخضوع للدعوة .....
٤٢٩	٣- الحقد .....
٤٣٠	ثانياً : دواعي الكبر في نفس فرعون وملئه .....
٤٣٠	١- التعصب للمعتقد .....
٤٣٢	٢- التكبر بالحسب والنسب .....
٤٣٣	٣- التكبر بالعدد والقوة .....
٤٣٣	٤- التكبر بالمال والثروة .....
٤٣٥	المطلب الثاني : حب الجاه والرياسة .....
٤٤١	المطلب الثالث : اتباع الآباء والكبراء .....
٤٤٥	المطلب الرابع : الحسد .....
٤٥٠	المطلب الخامس : الخوف والجن .....
٤٥٣	المطلب السادس : الشهوات .....
٤٥٦	المطلب السابع : الجهالة .....
	المبحث الثاني : سبل التغلب على موانع الاستفادة من الحوار في دعوة موسى -عليه السلام- .....

٤٦٠	تمهيد
٤٦٢	المطلب الأول : السبل العقلية
٤٦٧	المطلب الثاني : سبل العلاج الحسية
٤٦٧	١- التأييد بالمعجزات والحوار
٤٧١	٢- الحرمان من النعم
٤٧٨	المطلب الثالث : السبل النفسية
٤٨١	المطلب الرابع : السبل الاجتماعية
	الفصل الخامس : أوجه الاستفادة من الحوار في دعوة موسى -عليه السلام- في الوقت الحاضر
٤٨٦	تمهيد
٤٨٨	المبحث الأول : فوائد تعود على الداعية
٤٨٩	المطلب الأول : الفوائد المستنبطة من حوار موسى -عليه السلام- مع فرعون
٤٨٩	١- أهمية البدء بعقيدة التوحيد
٤٩٠	٢- التلطف في القول والدعوة بالحسنى
٤٩٢	٣- تحين الفرص واختيار الوقت المناسب للدعوة
٤٩٥	٤- إن البلاء في الدنيا سنة من سنن الله سبحانه لأنبيائه وأوليائه
	٥- إن التعنت والعبث في وجه الدعوة من أساليب خصومها في كل زمان
٤٩٧	٦- التصدي للشبهات التي يثيرها أعداء الدعوة
٥٠١	٧- إن أعداء الدعوة غالباً هم أصحاب السلطة والترف
٥٠٣	٨- الاقتداء بموسى -عليه السلام- في الدعوة
٥٠٥	٩- حرص الداعية على بناء أساس الإيمان بما تيسر له من أسباب
٥٠٧	١٠- أن الخوف على السلطان والجاه من أسباب عدم قبول الدعوة

٥٠٧	١١- التحذير من الركون إلى الدنيا والاعتزاز بها .....
	<b>المطلب الثاني : الفوائد المستنبطة من حوار موسى -عليه السلام- مع</b>
٥١٠	بني إسرائيل .....
٥١٠	١- إصلاح الأمم بعد فسادها .....
٥١١	٢- أهمية أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله تعالى .....
٥١٢	٣- وجوب تبليغ الدعوة في جميع الأحوال .....
٥١٤	<b>المطلب الثالث : الفوائد المستنبطة من حوار الرجل المؤمن مع فرعون وقومه</b>
٥١٤	١- أهمية أسلوب التخفي بالإيمان عند الخوف من بطش العدو .....
٥١٤	٢- استدراج المدعو بطريقة النصيح والملاطفة .....
	٣- ضرورة الاختلاط بأفراد المجتمع من أجل تحقيق المصلحة
٥١٥	للدعوة .....
٥١٥	٤- الاستفادة من المؤثرات التاريخية والحضارية .....
٥١٦	٥- ضرورة الاستعلاء بالإيمان .....
٥١٦	٦- استشارة مشاعر المدعوين بالترغيب والترهيب .....
	<b>المبحث الثاني : فوائد تعود على المدعو .....</b>
	<b>المطلب الأول : الفوائد المستنبطة من حوار موسى -عليه السلام- مع</b>
٥١٩	فرعون وقومه .....
	١- إن محاولة القضاء على الدعوة بكل وسيلة من طبيعة أعداء
٥١٩	الحق في كل زمان ومكان .....
	٢- الاعتبار بأحوال الأمم المكذبة وتجنب السبل التي أوصلتهم إلى
٥٢١	ذلك المصير المؤلم .....
	٣- إن المتكبرين والمجرمين والفسقة والظالمين هم دائماً أعوان
٥٢٥	الطاغوت في كل زمان ومكان .....

٥٢٧	٤- إنتصار الحق - وإن كان أهله قلة - على الباطل - وإن كان أهله أقوياء في الظاهر - .....
٥٢٨	٥- وجوب التحرر من سلطان التقاليد المانعة من قبول الحق .....
٥٢٩	٦- صمود العقيدة الصحيحة أمام ترغيب الطغاة وترهيبهم .....
٥٣٠	٧- تأثير بطانة السوء في المجتمع .....
٥٣٠	٨- الأخذ بالأسباب واغتنام الفرص المتاحة .....
٥٣٢	٩- عدم الاغترار بما يكون عليه أهل الباطل من إملاء واستدراج .....
٥٣٥	١٠- أثر الدعوة على المرأة إيجاباً وسلباً .....
	<b>المطلب الثاني : الفوائد المستنبطة من حوار موسى - عليه السلام - مع بني إسرائيل</b> .....
٥٣٨	١- تقرير حرية الشعوب وثبوت حقها في التخلص من إستعباد الأقوياء .....
٥٣٨	٢- الدعوة إلى الكفاح وعدم اليأس مهما حدث من المصائب والمحن .....
٥٤٠	٣- افتقار الخلق إلى الله مهما بلغت منزلتهم في الدنيا .....
٥٤٢	٤- عقوبة الإصرار على المعاصي .....
٥٤٣	- الخاتمة .....
٥٤٣	- النتائج .....
٥٤٧	- التوصيات .....
٥٤٨	- الفهارس .....
٥٤٩	١- فهرس الآيات القرآنية .....
٥٨٧	٢- فهرس الأحاديث .....
٥٩٠	٣- فهرس الآثار .....
٥٩١	٤- فهرس الأعلام .....

- ٥٩٩ ..... ٥- فهرس الأبيات الشعرية والأمثال
- ٦٠٠ ..... ٦- فهرس الأماكن والبلدان
- ٦٠١ ..... ٧- فهرس الفرق والقبائل والطوائف
- ٦٠٢ ..... ٨- فهرس الألفاظ الغريبة المشروحة
- ٦٠٣ ..... ٩- فهرس المصادر والمراجع
- ٦٢٥ ..... ١٠- فهرس الموضوعات